

مذكرات المارشال مونتيجو مري



كتب سياسية

الكتاب ٢٤٣

مذكرات

الاميرال مونجومي^٢ري

مقدمة

لم أدفع إلى تأليف هذا الكتاب بميل خاص نحو الانتاج الأدبي ولا بسبب توسيع شعبيتي بل فقط لأنني أظن أن بعض ما فيه من الاقتراحات ان تكون بدون جدوى ، وفائدة .

هدفي من هذا الكتاب أن أنقل إلى الاجيال المقبلة انطباعات جمعتها اثناء حياة لم تذهب سدى ، وأن احدد المبادئ التي بمقتضاها فكرت وعملت .

كل سطر من هذا الكتاب كتبته يدي أولاً على المسودة ؛ ثم بعد كتابة كل فصل على الآلة السكّانية ، كنت اسلمه إلى أصحاب لي أصحاب ثلاثة لينقحوه ، ثم اعيد النظر فيه أنا بنفسى ، واخيراً نقبل على التدقيق فيه معاً أنا واصحابى الثلاثة الذين ذكرت ، وهم قائم اللواء وليس والسر جامس جريج اللذين ورد اسمها غير مرة هنا طيه ، واخيراً المؤرخ المعروف السرا رثو بريانت . فلهم من ثلاثتهم ، الشكر الجزيل على الوقت الذى انفقوه فى الخدمة الجليلة الى ادوها لى . كما انى اشكر كل من ساعدنى ، بعمل مباشر أو غير مباشر على اخراج كتابى هذا .

لا انكر اننى تعرضت غير مرة للوم الشديد . إلا ان افكارى

واعمالى واخطائى لا مصدر لها إلا عاطفتى الإنسانية . فما سعت قط ،
مدة حياتى كلها ، ان احمل الغير على موافقتى فيما أرى ، بل ان اسير
بمقتضى معتقدى وواجبى ووجدانى . فما خفت يوماً من أن اجاهر بما كنت
اراه العبد ' والانصاف ، وان ابقى مصرأ على ما كنت مقتنعا به ، متيقناً
منه . واعترف أن ذلك طالما جر على المشاق .

ففى كتابى هذا ما حاولت أن ارد على النقد الذى وجه لى ، بل
أن أروى قص حياتى باقصى ما يمكن من البساطة ولا غرو فان رفاقى
فى الحرب العالمية الثانية ، سبقونى ورووا قصتهم ، ولقد حان اليوم دورى .
هذا وقد حاولت أن أعرض ما كنت اراه منها ، وأن اقف عند
مجرد الأمور التى أعرفها انا معرفة تامة .

فمها كانت نواقص مؤلفى من الناحية الأدبية ، إن املى ان يكون
كل ما ورد فى ذلك المؤلف ، لا عيب فيه ولا شوب من حيث
الصحة والحقيقة .

مونتجومرى العلمين ف . م .

الفصل الأول

خطواتي الأولى في الجيش

في سنة ١٩٠٧ كان دخول مدرسة سندهرست الحربية نتيجة امتحان يسبقه قبل ذلك فحص يثبت فيه المرشح أقل ما يطالب به من امكانيات عقلية . فاجزت هذين الحاجزين بدون صعوبة وكنت الثاني والسبعين في الامتحان . واغد بوغت ، فيما بعد ، عندما علمت ان بعض رفاقي كانوا قد غادروا المدرسة قبل نهاية العام الدراسي ليستعدوا لذلك الامتحان تحت توجيه مدرسين يضمنون لهم النجاح .

وفي ذلك الوقت ما كان الجيش ليستميل نخبة العقول في إنجلترا . فان المعيشة فيه كانت غالية جداً ولا يستطيع أن يدخل فيه إلا من كان له دخل لا يقل عن المائة جنيه سنوياً . وكنت جاهلاً هذه الناحية المالية ومشاكلها ، كما كان يجهلها والدي وما اطلعت عليها إلا عندما دخلت سندهرست وتحتم على أن اختار كتيبتى .

اما المصروف في سندهرست فكان يبلغ المائة والخمسين جنيهاً كل سنة مع ما فيه المرتب السنوى والسكن وما لهما من ضرورات المعيشة . هذا ما عدا اللازم للنفقات على اللهو مهما كان ضئيلاً . فبعد

المناقشة رضى والدى أن يتكرما على بجنهين كل شهر مع ما فيه أشهر
العطلة الصيفية .

فكان يصلانى منهما لهذا الغرض أربع وعشرون جنهيا كل سنة ولا
شك فى أن رفاقى الذين كانوا على حالتى تلك من حيث الفقر كان عددهم
قليلا . ولكن ما كنت لأتألم كثيرا من الأمر ولو كان عندى رغبة
قوية فى أن أشتري ساعة يد وكانت ابتدأت آنذاك أن تنتشر فكنت
أراها عند الكثير من رفاقى . فما حصلت على ساعة يد إلا فى أوائل
حرب سنة ١٩١٤ . وبما أن امكانياتى المادية ما كانت لتسمح لى أن
أهو كثيرا انصرفت إلى الرياضة البدنية وإلى الدرس .

أما فى مدرسة القديس بولس فما باليت بالدرس إلا بعد الصدمة التى
نالتنى عند قراءة شهادتى المدرسية التى كانت تذرني بصعوبة دخولى
المدرسة الحربية إن لم اجتهد . أما فى سندهرست فكان اجتهدى مرضيا
فى أول الأمر . والعادة آنذاك أن يعين من بين المنفوقين عرفاء ستة
أشهر بعد دخولهم المدرسة ، وكان ذلك امتيازاً لهم على سائر رفاقهم .
ثم كان هؤلاء "عرفاء يعينون رقباء فى النصف الثانى من السنة الدراسية
فيمتدنون حلة حراء وأخيراً كان يرفع واحد أو اثنان إلى رتبة نائب
ضابط وهى أعلى الرتب يومذاك لطلاب المدرسة الحربية . فعيّنت
عريفاً . ومهما كان من أمر فإن سقوطينى وتأخرى يرجعان إلى ذلك
العهد . ان فئة السرية د ج ، وهى سربى كان فيها عدد وافر من الطلبة
الطائشين فدفعتنى وظيفتى كعريف إلى أن أترأسهم . ثم دخلنا فى سلسلة
قتال مع طلبة السرية د ب ، الموجودة فوق طابقنا ثم فى مناطق أخرى .

ولقبت سریتنا السریة د ج المدیة ، لأسباب لا تحتاج إلى الشرح وأدى كل ذلك أن اضطر بعض الطلبة أن یذهبوا إلى المستشفی لیضمّدوا جراحهم وهی حالة ما كان من الممكن أن تدوم ولو كان ضباط سندهرست آنذاك لا یبالون بما كان یعمل الطلبة فی غیر أو ان الخدمة ، فما هی إلا وسافقتی حماسی أثناء عراك حدث إلى أن أحرق قیص أحد الطلبة فأصاب النار ففاه بما منعه من الجلوس براحة مدة طويلة - أما هو فلم یسمح باسم المذنب ولكن المذنب لا یلبث أن ینكشف ففضحت وأرجعت إلى الصف .

ثم صدر أمر بأن العریف موزجومری انتزعت رتبته وذلك بدون تعلیل . فأسرعت أمی إلى سندهرست لتتباحث عن مستقبلی مع قائد المدرسة فقیل لها إننی كنت علی وشك أن أعین نائب ضابط للسریة د ج ، ولكن الآن أصبح لا یبحث فی الأمر ، وكان علی أن أحسب نفسی سعیداً إذ أننی لم أطرد من المدرسة ، فإن القائد كان حاقداً علی ولا أعجب فی الأمر ، إلا أنه كان هناك ضابط یعطف علی بإخلاص وهو من کتیبة من الرماة الاسكتلندیین المملکیة .

بعد مدة غیر طويلة استشعرت بأننی لن أستطیع أن أخدم فی انجلترا لأسباب مالیة ، فإن والدی ان یتمکنا ، بعد إنهاء دروسی فی المدرسة الحریبة ، من أن یواصل فیساعدانی علی تأمین معاشی ، فیصبح لابدلی من أن أعتمد علی ما أتقاضاه كضابط وهذا لا یکنی لسد ما یترب علی من نفقات فی نای الضباط وحده . ثم إن التقدم فی الرتبة ما كان متعلقاً ، كما هو الأمر الیوم ، بمدة الخدمة بل بالفراغ الذی یحدث

في الجيش ، وكنت أسمع عن ملازمين بقوا على رتبتهم ولهم تسع عشرة سنة في الخدمة .

أما في بلاد الهند فكان الأمر على غير ذلك ففي جيش بلاد الهند كانت المعاشات عالية وكان من الممكن أن يؤمن العيش في فرقة بريطانية مقيمة هناك ، فقيدت اسمي للدخول في جيش بلاد الهند ، وكان الكثير يتزاحمون عليه للأسباب المالية التي ذكرت ولا يحصل عليه إلا من كان في الثلاثين الأولين أما أنا فكانت السادس والثلاثين فليشد ما كانت خيبتى .

وعرضوا على الطلبة أن يختاروا المرة الثانية ، أما أنا فما كان لي واسطة لا في الجيش ولا في السلطات المدنية وبما أننى كنت لابد لي من أن أذهب إلى الهند فقيدت في كتيبة الوركشير .

وكانت درجتى في لائحة طلبة سندهرست تفسح لي الأمل بأن أحصل على ما طلبت ، بعد تعيين المترشحين لجيش الهند ، شرط أن تقبلنى الكتيبة التى كنت قد اخترتها ، وما ندمت على اختيارى لأننى كثيراً ما استفدت من الكتيبة التى ضمنت إليها ، وذلك خاصة بفضل قائدها حينذاك الكولونيل ر . ماكدونالد . وهأنذا الآن كولونيل شرف لكتيبتى الأولى وهذا غفر لى ما كنت لا تصوره عندما انضويت تحت لوائها في الفرقة الأولى في البشاوار على حدود الهند الشمالية في ديسمبر ١٩٠٨ . كنت حينئذ أكبر الملازمين الأول سناً لتأخىرى في دروسى في مدرسة القديس بولس ولبقائى في سندهرست ستة أشهر زيادة عن المدة القانونية .

غادرت فرقتى بشوار فى أواخر ١٩١٠ ، للذهاب إلى بومباى حيث كان من الواجب عليها أن تقضى السنتين الأخيرتين من خدمتها خارج الوطن . وكنت أنا قد انكبت بجد على الدرس ، وتيقنت حينذاك أن النجاح لا يتم إلا للذين يتضاعون التضلع العميق من فئهم وصنائئهم ، ولاحظت أن الضباط القدماء ما كانوا يستطيعوا أن يؤمنوا بذلك التضلع للذين دونهم رتبة ومدة خدمة لا لشيء إلا لأن معارفهم فى الموضوع ما كانت تتجاوز مستوى الفرقه . فعندما كانت الفرقه تصل إلى قلعة جديدة لتقيم فيها كان أول سؤال يطرحه قائدها على نفسه هو السؤال التالى : « ما هو نوع القتال الذى يفضلُه القائد الأعلى المحلى ، فيطبق ذلك النوع بصرف النظر عن خواص الموقع والعدو والعوامل الأخرى . فكنت أحس أن فى ذلك النظر خطأ ولكن ما كنت قادراً على تحليل هذا الخطأ ، بل ما كنت أشغل نفسى بذلك الهم . كنت مسروراً فى فرقتى منصرفاً إلى الاهتمام بمجنودى . هذا علاوة على أن الحديث فى الشؤون الحربية لم يكن مسموحاً به فى أندية الضباط .

أغسطس ١٩١٤ . كنت فى السادسة والعشرين من عمري وكنت ملازماً . ولقد أطلعتنى الحرب ١٩١٤ - ١٩١٨ على نواقص الجيش فجمعت أفراد فرقتى فى شورنكليف وصدرت الأوامر إلى جميع الضباط أن يجهزوا سيوفهم مشحذة ، وما كنت أرى فائدة من ذلك إلا أننى خضعت وفعلت . ثم إن قائد فرقتى أشار إلينا أن نجز شعرنا قصيراً لبأمين النظافة ففعل هو وكان منظره مضحكاً نوعاً ما ، أما أنا فقصصت

شعري كما يليق عند حلاق في فولكستون . هذا ، سألت قائد فرقتي إذا ما كان ضرورياً أن أصطحب شيئاً من المال . فنصحني أن لا داعي لذلك فإن كل شيء سيكون مؤمناً لنا . ومع ذلك فاني أخذت معي عشرة جنيهات ذهبية وحسناً فعلت كما دلت عليه الظروف فيما بعد .

نزلنا في فرنسا مع الفوج الرابع ، أياما قليلة فتمط بعد معركة مونس ثم اتجهنا نحو لوكانو .

في فجر ٢٦ أغسطس ١٩١٤ ، كان اللواء العاشر وهو لواء فرقتي خيماً في الحقول قرب قرية هوكور بعد مسير طويل أثناء الليل مشياً على الأقدام . وكانت على قمة قريبة من هناك فرقة تغطي باقي اللواء القائم وراءها في الوادي . وفاجأ الألمان تلك الفرقة بهجوم عنيف فهرولت هاربة بدون نظام نازلة إلى الوادي نحونا .

أما فرقتي فكانت تنبسط على خطين : سريتي وسرية أخرى في الخط الأمامي . والسريتان الباقيتان مواريتان وراءنا على بعد بضعة مئات من الأمتار . فأسرع إلينا قائد الفرقة على جواده وأمرنا بمقابلة العدو على قمة التل ، طلب منا ذلك من دون أن يرسم لنا خطة ومن دون أن يحميننا بطلقات نارية . فتسلقنا الجبل تحت نار حامية من القنابل فجرح قائد سريتي ولحقت بنا خسائر فادحة . فان الحرب ان كانت كذلك فهي لأمر مدهش ولا علاقة لها بما كنت قد قرأت عنها .

وفي الأيام التالية أخذنا نتراجع القهقري كما ورد في الكتاب ، تقهقر مونس ، ، وبقينا كذلك مدة ثلاثة أيام نمشي غالب الأحيان في الليل

وتتوارى فى النهار وكان يقود سريتنا آنذاك ضابط ماهر هو الماجور
١ - ح بول ، والفضل له ان كنا قد استطعنا أن نصل إلى حيث كان
الجيش البريطانى وننضم إلى وحدتنا . وهناك بلغنا أر قائد فرقتنا كان
قد عزل عن وظيفته مع قائد فرقة أخرى من اللواء . أما قائد فرقتنا
المعزول العقيد الكنجتون فانه دخل فيما بعد الجوقة الاجنبية الفرنسية
وأبلى فيها البلاء الحسن .

هكذا كان أول اختبارى بالحرب وما كانت تلك إلا الخطوة الأولى
بعد معارك لا أهمية لها فى جهة «الين» ، نقلنا مع بواقى الجيش
البريطانى إلى الجانب الشمالى من جهة الحلفاء وهالك نشبت المعارك
الحامية ، وأمرنا بالقتال للمرة الثانية ؛ ولكن الآن كان «بول» قائدا
وأصبحنا نقاتل بتوجيه خطة مرسومة وأوامر دقيقة . كان يتقدمنا
سريتان وسرىتى عن الشمال موجهة نحو مجموعة أبنية فى ضواحي قرية
«ميتيرين» فعند الساعة «س» امتدشت سبى وصرخت بسرىتى أن
تأخرى بي فاجتزنا القرية عدواً تحت نار حامية من الرصاص . وأصابتنا
خسارات فادحة إلا أننا واصلنا هجومنا وفيما كنا نقرب من هدف
هجومنا وقع نظرى على ألمانى يوجه نحوى ببندقيته .

وعندما كنت أمضى إلى التمرين العسكرى وأنا لا أزال ضابطاً حديثاً
كانوا يدربوننا على استخدام الحربة لقتل العدو وكنت قد انتهيت
فى استعمال ذلك السلاح إلى مهارة أحرزت بها جوائز . ولكن الآن
ما كنت أملك لاحربة ولا ببندقية ، وليس فى يدى لإسيف قاطع ، ولم
يدربونى فيه على القتل به بل على استخدامه لأخذ السلام العسكرى

ومها كان من أمر فانتى ابتدرت ذلك الألمانى بطعنة برأس سيفى فى مؤخر بطنه وأصبلته فى جزء حساس من جسمه فسقط يتخبط فى دمه .

وواصلنا القتال بقية النهار إذ كان هدفنا أن نطرد الألمان من القرية وأصبت برصاصة فى صدرى . ولكن كنا قد طردنا الألمان وحصلنا على غرضنا فقلدت لذلك وسام الخدمات الممتازة وفى ذلك اليوم أنقذنى من الموت أحد جنودى ، عندما أصبت فى صدرى ارتيمت على الأرض آملا بذلك أن أصرف انتباه الألمان عنى ، فأسرع إلى أحد الجنود وأخذ يضم جرحى ، فأصيب برصاصة فى رأسه فسقط . لم يستمر الألمان يرمونا بالرصاص فأصبت برصاصة فى ركبتي وأصيب الجندى بعدة رصاصات كانت مصوبة إلى ، ولم يحاول أفراد . بقى أن ينقذونا لأنهم كانوا يظنون أننا قد قتلنا . وعند الليل جاء ناقلو الجرحى ليحملونا ، أما الجندى فكان ميتا ، وأما أنا فكانت على حالة سيئة جداً ، فأخذونا إلى حيث الإسعاف الحربى وحكم الأطباء بأننى لن أحيى وبما أن الإسعاف الحربى كان لابد أن ينقل إلى مكان آخر . أعدوا حفرتى ، ولكن عندما . ان وقت الانتقال كنت لا أزال حيا ، فوجهونى إلى أحد المستشفيات وبعد أن تماثلت للشفاء أرجعونى إلى إنجلترا حيث قضيت بضعة أشهر فى المستشفى بعيداً عن الحرب وهناك أخذت أفكر باختبارى القصير المدة فى الحرب ورأيت أن المثل القديم لا يزال صحيحا : القلم أقدر من اليف : فعندما شفيت طلبت ضمى إلى إحدى الأركان الحربية .

عدت إلى فرنسا فى أوائل ١٩١٦ برتبة مقدم . فى معركة السلوم

أثناء الصيف التابع ، كان لواء من المشاة . أفضل ألا أذكر اسمه ، قد عين ليكون لواء الاسطدام بالعدو في هجوم يقوم به الفوج جميعه فلا بد آنذاك من أن تصل قائد اللواء الأخبار بسرعة عند تقدم جنوده الموجودين في خطوط القتال الأولى ، إذ أن عمل الجنود المتخلفين وراء الجبهة كان متعلقا بمصير هؤلاء الذين كانوا في الخطوط الأولى فكيف السبيل لنقل تلك الاخبار بالسرعة اللازمة ؟ فكروا حينئذ في حامية تربي في محل إقامة أركان اللواء ثم تسلم إلى أحد الجنود الموجودين في مقدمة القتال ، وأفهموا ذلك الجندي بعدئذ أن ضابطاً سيدون على ورقة مصير أمرهم هناك فتربط الورقة في قدم الحامية وتفلت الحامية فترجع لا محالة إلى مقرها في محل إقامة أركان اللواء .

ثم مضت مدة طويلة وقائد اللواء يتربص رجوع الحامية حتى كان يوم شوهدت عن بعد فترقبوا هبوطها وأسرعوا إليها وفضوا الرسالة المعلقة في قدمها وفي تلك الرسالة ما يلي :

« لقد مللت من حمل هذا الطير الممقوت ،

كانت الاتصالات نادرة بين القواد وجنودهم المقاتلين . لقد تجولت في الجبهة الغربية مدة الحرب كلها ما عدا الوقت الذي قضيته في إنجلترا بعد أن خرجت ، فما رأيت قط القائد البريطاني الأعلى . لا فرنس ولا هيچ ، وما التقيت الا مرة واحدة بقائد احد الجيوش . فإن الاركان الحربية كان لا يتصل بها لا الضباط ولا الجنود المقاتلون ،

وبقدر ما كان البعد بين الأركان وبين جبهة القتال بذلك القدر كانت الرفاهية تزداد ، ولا ضير لو كان هناك اتصال وحب بين الطرفين . فالشعور العام حينئذ هو أن الجنود المقاتلين يعملون لراحة الأركان وأما اختبارى أبا بالحرب فهو بالمكس وهو أن تكون الأركان فى خدمة المقاتلين وأن ضابط الأركان الجيد يجب أن يخدم قائده وجيشه المقاتل مستتراً مجهولاً . فلا غرو أن كانت الخسارة فادحة . فالذين يعتبرون من « القواد الممنازين » آنذاك هم الذين لا يباليون بحياة جنودهم . لا شك فى أن هناك شذوذاً وبلومير كان من بينها ، ما رأيتُهُ إلا مرة وما قط تحدثت إليه .

والجميع يعلم قصة رئيس الأركان السير دو - لاس هيج فقبل رجوعه إلى إنجلترا بعد معارك شتاء ١٩١٧ - ١٩١٨ الدامية فى جبهة باسندال أبدى رغبته فى أن يزور مرتفعات باسندال ويأق نظرة على المنطقة فعندما عاين الوحل والظروف الشنيعة التى قاتل أثناءها الجنود وسقطوا مأسكه الرعب وقال :

— أمن الممكن أن يكون قد قاتل أناس فى موحلة كهذه ؟
وعندما أجابوه بأن هذا هو الواقع الراهن قال :
« ولماذا لم يطلعونى قط على الأمر حتى الآن ؟ »

ف رئيس الأركان الحربية فى الجيوش البريطانية فى أوروبا كان إذاً جاهلاً كل الجهل الظروف التى يحيا فيها ويقاتل ويموت الجندى حينذاك

وهذا يسكنى للبيان عن حالتي النفسية في آخر الحرب

أظن أنني أطلت وأسهب وأفهمت أنه كان قد اتضح لي في نهاية الحرب ١٩١٤-١٩١٨ أن فن الحرب قائم قبل كل شيء على درس الحياة وما كان يشعر بذلك ، فيما يبدو ، إلا القليلون من الضباط .

وفي تلك المدة عزمت على أن أهب نفسي مجرد فني فأتعلم في كل تفاصيله وأدع جانباً كل أمر سواه . هذا وأنا جاهل آنذاك ما عساني أن أفعل ولا معارف لي بين قواد الجيش الكبار ، إلا أنني كنت على يقين من أنه لا بد لي من أن أتابع دراسات مدرسة الأركان الحربية التي كانت قد عادت وفتحت أبوابها عند نهاية الحرب . فتقدمت لاتباع سلسلة الدراسات في ١٩٠٩ ثم في سنة ١٩٣٠ ولكن منعت عن ذلك في المرتين ولم يظهر اسمي في لائحة من كان قد سمح لهم بمتابعة تلك الدروس .

وكان حينئذ القائد الأعلى للجيش الاحتلال في ألمانيا السير ولبروسون فما كنت أعرفه ، كان يوصي النفس ودعيت يوماً إلى أن ألعب معه في كولونيا فعزمت على أن أخاطبته بنفسى وأن أطلعه على رغبتى ومركز اهتمامى ، وأنا عالم بأنه كثير أما كان قد جاهد هو أيضاً مدة شبابه وبأنه سيأخذ طليبعين الاعتبار وبعد مدة علمت بأن اسمي قد أضيف إلى اللائحة وبلغنى الأمر بالالتحاق بمدرسة الأركان الحربية في كامبرلي في يناير ١٩٣٠ . فان القائد الأعلى كان قد عمل حسب ما كنت قد طلبت منه .

وأصبحت الطريق مفتوحة أمامي . إلا أن الامر لم يكن من السهولة
كما ظننت .

ان تاريخ حياتي في الجيش - وسيدور ذلك جلياً في الفصول الآتية
- هو تاريخ جهاد مستمر حالفته الخيبة غير مرة . إلا أنني يمكنني
أن أقول إن ذلك التاريخ الآن ، مهما كان من أمر ، كانت نهايته
فيما يخصني ، نهاية حقاً حسنة .

الفصل الثاني

فيما بين الحربين

إلى ذلك العهد من حياتي ما كنت قط نلقت دروساً نظرية فيما يختص بمعالجة مهنتي ، وما كان علي من هذه الناحية يتجاوز اختبار الأربع سنوات التي قضيتها في المعسكرات ، وكنت قرأت يوماً عن فردريك الكبير أنه قال وهو يتحدث عن ضباط ليس عندهم إلا اختبارهم العلمي لوظائفهم ويحملون الدراسات النظرية المتعلقة بها :

« ان بغلتيين ولو حضرنا أربعين حرباً ببقيان بغلتيين ،

وكنت قد سمعت عن قائد ألماني ، وهو يتحدث عن الضباط الألمان فيما أرى ، أنه قال : « لمتى أقدم الضباط إلى أربع فرق : الأذكيا ، والحقى والمجتهدين والكسلة . فالأذكيا والمجتهدون لأعلى المراكز في الأركان الحربية ، والأذكيا والكسلة أهل لتسلم القيادة العليا إذ أن مزاجهم وأعضائهم تمكنهم من الصمود أمام كل موقف . أما الحقى والمجتهدون فإنهم يسكونون خطراً ويجب أن يجنبوا كل مسؤولية . »

دخلت مدرسة كمبرلي الحربية في يناير ١٩٢٠ ولا ادعاء عندي بأني ذكي . كنت أرى أن في بعض الفطنة والدهاء ولكن بدون خبرة

وكنتم مقتنعاً حينذاك أن المهم هو الفطنة والخبرة . إلا أنني أعترف أنني ماكنتم متساهلاً في الآراء ، أميل إلى نقد الغير ، فكان على إذن أن أتعلم أن روح النقد من دون اطلاع هراء لا قيمة له .

في (ديسمبر) ١٩٢٠ قدمت الامتحان الخروج من مدرسة الأركان الحربية وظنني أن علاماتي كانت جيدة ولو لم يطلعني أحد عليها . وهو أمر مدهش على الأقل .

على كل حال ومهما كان من أمر فإني عيذت كما جور في لواء المشاة السابع عشر في كورك لأشترك في القتال في أيرلندا الجنوبية ضد السن فن ، وهذه الحرب كانت أسوأ من حرب ١٩١٤ من عدة أنواع وتحولت إلى مجازر أظهر فيها الجنود مهارة لم تكن في محلها . فشعرت براحة قوية عندما انتهينا منها .

وفي هذا العهد ابتدأت تعمل في الجيش ما عرف بعدئذ « بفأس جد » وهو كتابة عن تطهير مبنى على بيان عن كل ضابط فيما إذا كان صالحاً أن يبقى في الجيش ، فعزل عدد كبير من الضباط غير الصالحين ولكن في المراتب السفلى ، أما المراتب العليا فبقيت على حالها ، ورأيت بعد اختباري المستنتج من الحربين العالميتين . هو أن التطهير يجب أن يكون في المراتب العليا فيفسح ذلك المجال لتقدم الضباط الشباب الذين أظهروا مقدرتهم أثناء الحرب وذلك ما حدث بعد حرب ١٩١٤ - ١٩١٨ ، ويمكنني أن أقول إنه لم يحدث بعد حرب ١٩٣٩ - ١٩٤٥ .

بعد انتهاء حرب « السن فن » ، فى أواخر ١٩٢٢ ، شذات فى انكازا
مناصب مختلفة فى الأركان حتى ١٩٢٦ . وفى ذلك العام عينت كمدرس
فى مدرسة الأركان .

أما السنوات الخمس السابقة فإنها كانت فى حياتى سنوات شغل
ودرس شديدين ، خدمت حينذاك تحت عدة قواد قادرين عطفوا
على وأحبونى ، ووثقوا فى وتركونى أحقق أوكارى فيما يختص بتدبير
الجندى : أذكر بين هؤلاء القواد السير شارلس هاريفتون وقائد اللواء
توم هولود ، فلقد علمانى على كيف أعتبر واجبى اعتباراً عالياً وكيف
أن النظام عند الجندى يجب أن يتحول لإخلاصاً عند الضابط
وأظن أننى ، فى ذلك الوقت اشتهرت فى الجيش على أننى ضابط يدرس
بجد كل ما يختص بفنّه وهذا الذى دفعهم أن يعينونى فى مدرسة الأركان
فسررت لذلك التعيين لأننى شعرت بأنه سيؤدى إلى نتائج حسنة فى
حياتى الجندية ، وهذا راجع إلى حب التقدم الذى يكون فى كل إنسان
وهو صفة جيدة ما زال فى مكانه ، وطالما رفع إلى السعى وراء النجاح
بالاجتهاد الشخصى ولا بالتباع آثار الذين سبقوا .

والآن يجب أن أتحدث عما كان بالنسبة إلى أهم من حياتى الجندية ،
وهى الحياة الزوجية التى عرفتها مدة عشر سنوات قصيرة .

أثناء كنت مدرساً فى مدرسة الأركان فى كمبلى . أحببت . فتزوجت
فى ٢٧ (يوليو) ١٩٢٧ وولد ابنى داود فى ١٨ (أغسطس) ١٩٢٨ .
ثم ماتت زوجتى فى ١٩ (أكتوبر) ١٩٣٧ .

في (يناير) ١٩٢٦ ذهبت إلى سويسرا أقضى فيها عطفتى قبل استلامى وظيفتى فى مدرسة الأركان فى آخر الشهر . كان عمرى حينذاك ثمانى وثلاثين سنة وكنت عازباً لا أريد الزواج . ماكنت أعرف امرأة قط وماكنت أحب الاجتماعات العالمية فى الصالونات . كل حياتى كانت موقوفة لمهمتى اشتغل منذ الصباح إلى المساء ولا اسمح لنفسى إلا ببعض التمارين الرياضية بعد الظهر . حتى أن بعض الضباط قال لى إن الجيش كان امرأتى وائتى لن اتزوج . وعلى كل حال فائى كنت عازماً على الانكباب تماماً على شئون وظيفتى وأنا لى يقين من ان بلادى ستجرى إلى حرب عالمية أخرى وكنت عارفاً ما جرى فى الحرب العالمية الأولى . وكنت على يقين من أن نداء بلادى سيوجه إلى شخصياً بوجه خاص فاطلب من الله أن يساعدنى إن أكون مستعداً عند الطلب .

فى سويسرا ، فى لنك من مدن الأوبرلند البرنى التقيت . بمسر كارفر وولديها، عمر الأول منهما اثنا عشرة سنة وعمر الثانى إحدى عشرة . كنت ولا أزال أهتم بالأولاد وذلك راجع ولا شك إلى بؤسى فى طفولتى . فاشتدت روابط الصداقة بين وبين الأم وولديها وقضيت عطلة سعيدة . وحصلت أثناء ذلك على صديق آخر السر ادوار كراو واشتدت صداقتنا فيما بعد ولو كان أكبر منى سنأ .

فى يناير ١٩٢٧ ذهبت للمرة الثانية إلى لنك مع السر ادوارد كراو وعائلته وأصحابه . وكانت مسر كارفر هناك مع ولديها كان زوجها قد قتل فى غايبولى سنة ١٩١٥ ونشأ الولدان على بغض الحرب وكل ما يتعلق بالجندي . وهذه المرة اجتمعت ببتى كارفر أكبر من المرة

الأولى ف وقعت في شرك الحب لأول مرة في حياتي . وكان زواجي سعيداً ، تزوجنا في كنيسة رعية شيسويك في ٢٧ (يوليو) ١٩٢٧ . وما كنت لأظن ان سعادة كالتى عرفتها في ممكنة . كانت زوجتى ترافقتى أينما حللت وتشاركنى في كل ما أعمل ولم نفترق إلا مرتين المرة الأولى عندما استلمت قيادة فرقتى في فلسطين حيث انضمت إلى بعد مدة ، للمرة الثانية عندما أرجعتها إلى انكلترا مع داود بعد الهزة الأرضية في (الباكستان) في (مايو) ١٩٣٥ . وفي كلنا المرتين كان افتراقنا لمدة قصيرة كانت امرأتى في الأربعين لما ولد داود وما كان لها صحة قوية فيما بعد إلا انها كانت دائماً فرحة وصاحبة عزم وحزم وما مرضت قط .

أثناء طفولة داود الأولى كانت أمه منهمكة بأمره وحدها وكان لا يرضى بتدخلى . كان ذا إرادة قوية وأمه تراجع أمامه دوماً . ثم إننى كنت أذكر كيف كانت طفولتى فقررنا أننى سأهتم أنا بتربيته عندما يدخل المدرسة الاعدادية . وكنا قد ابتدأنا بالمشروع ولا تجرى الأمور بدون شرارات تتقدح عندما ماتت أمه فاضطررنا إلى أن ننسجم الواحد منا مع الآخر وتم الأمر بسهولة لانه بعد موت أمه حول حبه بكامله على . وقضينا معاً فترات سعيدة من عطلاتنا وأصبحنا أصدقاء . وعندما ماتت أمه كان في التاسعة من سنه وكنت أنا في الخمسين .

وسر أصحابى برجوعى إلى الحياة العادية وظن بعضهم أننى سأزوج للمرة الثانية ولكنهم ما كانوا يعلمون ماذا يقولون فإننى لا أرى أن الرجل يمكنه أن يحب حقاً مرتين ، وعلى كل حال أن يحب كما أحببت .

الآن كنت أعيش وحدي ، فيما عدا عطلة داود . فانسكبت على عملي بنشاط مستجد . إن لوائى التاسع كان يستطيع أن يبارى خيرة الألوية وما كان لواء قط يمكنه أن يتفوق عليه فى المناورات .

وانتخبت لتطبيق التمارين الخاصة التى كان المكاتب الحربى قد قررها فى ٩٣٧ و ١٩٣٨ مما زاد فى شهرته وحسن سمعته .

أثناء السنوات التى تلت أواخر الحرب ١٩١٤ و ١٩١٨ خدمت تحت قيادة ضباط عندهم مقدرة عظيمة كانوا فى مدرستى الأركان فى كمبرلى وقطا ، ثم خدمت إلى جانبهم ومعهم ، وبفضل عملي المستمر وخبرتي بالسلطة أصبحت على اطلاع وافر على فنى مما قوى فى الثقة أتنى أستطيع . أن أكاد اتحدى كل موقف يعرض لى مهما كان صعبا .

ولربما ثقتى بنفسى فوق اللازم وكنت أبدى ذلك ، إلا أتنى صدمت بصدمات عديدة مما جعلنى أن أحذر من أن أكون جسوراً متهوراً وأظن أتنى ندما استلمت قيادة لواء بورسموث سنة ١٩٣٧ كنت قد اجتزت كل خطر وكنت أستطيع أن أسير مطمئنا لاسما وأتنى بحياتى المنفرة كنت قد تعودت على تركيز الفكر واستخراج الأمور الجوهرية من تفاصيل لا حصر لها تكتنفها وتوارىها وهذا ساعدنى على النشاط المستجد فى وظيفتى .

فى سنة ١٩٣٨ بعد سنة وأكثر بقليل قضيتها فى بورسموث بلغنى الأمر أن أسلم قيادة الوحدات المقاتلة فى شمال فلسطين ضد الثوار العرب وكان على أن أولف منها فوجاً وهو الفوج الثامن ، فسررت بذلك إذ

عينت ماجور - جنرال- بور تسموث إلا أنني أصبحت مضطراً أن أفترق عن داود وكان يصعب على ذاك لأنه بقى وحده يتنقل من بيت أطفال إلى بيت أطفال آخر ، حتى تعهد لإيواه في سنة ١٩٤٢ الماجور والمسترس رينولدز في بيت الأطفال الذي كان قد أحدثاه في هندهاد وكانا من أصحابي فارتحت إليهما في تربية ولدى في حين كنت أقاتل فنذ ١٩٤٢ إلى ١٩٤٨ أصبحت مدرستهما بيت داود وبيتي ، مات الماجور رينولدز سنة ١٩٥٣ بعد أن أنشأ هو وأمرأته عدداً كبيراً من الأولاد ، ولقد فقدت الأمة بموته رجلاً عظيماً . أما أنا وداود فإننا جد مدينين له ولامرأته .

في شتاء ١٩٣٨ - ١٩٣٩ ، أثناء كنت أحارب في فلسطين عينت لقيادة الفوج الثالث في إنجلترا ، كان ذلك الفوج فوجاً نظامياً ، مركزه العام في سهل ساسبرى وداخل فيه لواء المشاة التاسع الذي كنت قائده في بور تسموث قبل إرسالي إلى فلسطين تسمرت جداً ، فالفوج الثالث ذلك كان داخلا في القوى البريطانية المعدة لأوروبا إذا ما نشب حرب وكان مفروضاً أن أتسلم قيادته في أغسطس ١٩٣٩ .

غير أنني في مايو فاجأني المرض وحملت إلى مستشفى حيفا حيث تبين الأطباء بالتصوير الكهربائي قرحة في رتتي ، فظنوني مصاباً بالسل فطلبت الرجوع إلى إنجلترا وشغلت أثناء سفري في البحر ، فعند وصولي إلى مدينة لندن طلبت أن ألخص من جديد فرأوا أن القرحة قد اختفت فارتحت ثلاثة أيام وحضرت إلى المكتب الحربي

وسألت هناك إن كنت أستطيع أن أتسلم قيادة الفوج الثالث . وكانت الحرب على قرب من أن تقع والحكومة على قرب من الدعوة إلى التجنيد فقالوا لي إنه في حال التجنيد كل التعيينات تبطل ويبقى كل صاحب وظيفة في وظيفته ، ولذا فإن الفوائد السابق للفوج الثالث ؛ بعد تعيينه كحاكم على المستعمرات ، ترك في منصبه على رأس الفوج المذكور فافترحت أن أرجع إلى فلسطين على رأس الفوج الثامن فأجبت بالنفي وقيل لي أنني أصبحت ماجور - جنرال لا منصب معين له بل باقيات تحت الطلب مثل أفراد كثيرين كانوا في رتبتي ، فافلقت راحة المكتب الحربي وفي نهاية الأمر انتقل قائد الفوج الثالث إلى منصبه كحاكم المستعمرات وهو يليق له بالضبط وتسلمت أنا قيادة الفوج الثالث بيوميات قبل إعلان الحرب .

الفصل الثالث

دخول بريطانيا العظمى الحرب

تسلت قيادة الفوج الثالث ٢٨ (أغسطس) وكنا آنذاك في طور تجنيد جزئى إذ أن التجنيد الكلى لم يقرر إلا في أول (سبتمبر) يوم اجتاحت الألمان بولونيا وأرسل التهديد الأخير بالحرب إلى المانيا .

سأكتفى في هذا الفصل بسرد أخبار القوى البريطانية التى أرسلت إلى فرنسا قايلا بعد أوائل الحرب ، والتي كنت فيها كقائد فوج .

في سبتمبر ١٩٣٩ لم يكن الجيش البريطانى مستعداً لاحتمال حرب جدى في أوروبا . فإن الفكرة التى سادت الأوساط المسئولة في إنجلترا مدة طويلة هى أن بريطانيا ، في حال حرب جديد مع المانيا ، لن تساعد في الدفاع عن الغرب إلا باستخدام قواها البحرية والجوية . وهذا أمر لا يستسيغه الفكر الصحيح .

ففي أثناء السنوات التى سبقت الحرب لم تحدث في إنجلترا مناورات على مقياس واسع ، والحق أن الجيش البريطانى النظامى ما كان قادراً على الاشتراك في مناورات واقعية جدية .

أما الجيش المقاتل فكان نظام المخابرات والمواصلات فيه غير

مناسب ، وما كان له سند إدارى ولا تنظيم قيادة عليا قط . كل ذلك كان لا بد وأن يرتجل ارتجالا عند التجنيد . ثم إن وسائل النقل كانت لا تكنى ، ومن الواجب ، لتكميلها ، ان تصدر عربات نقل مدنية .

فوسائل النقل فى فوجى كانت مؤلفة من سيارات شحن صودرت فى عدة مدن انجليزية وهى فى حالة يرثى لها وعندما انتقل فوجى من المرائى حيث كان قد أنزل إلى مراكره على الحدود الفرنسية البلجيكية ، كنت ترى الشاحنات المكسرة منتشرة فى الحقول الفرنسية .

ومع ذلك فاننا كنا نحن الذين اخترعنا المصفحة والذين استخدمناها قبل غيرنا فى القتال ، فى سنة ١٩١٦ . لا بد إذن وأن نعترف مخجلين بأننا دخلنا الحرب على غير استعداد وكنا نحن المسئولين عن الكارثة التى نزلت بنا سنة ١٩٤٠ .

من كان المسئول عن ذلك النقص ؟ أرى أنها الحكومات البريطانية التى توالى فيما بين الحربين ولا سيما تلك التى تسلمت السلطة منذ ١٩٣٢ إذ أنه منذ هذا التاريخ شرع بالمناقشة فى تسليح جديد يتناسب والظروف المعاصرة . حتى ١٩٣٨ لم يتجاوزوا حد المناقشة ، وفى ربيع ١٩٣٩ لم يباشروا إلا على حذر بالابتداء فى تسليح جديد . وإننى ، إذ كنت مطلعاً اطلاعاً وافراً على سلاحنا وخاصة سلاح فوجى ، لأننى أقول قد مأسكتنى الدهشة عندما قرأت فى جريدة فرنسية تصريح سكرتير الدولة للحرب (هوربليشا) فى البرلمان أن الجيش البريطانى كان على خير استعداد وأنه يمكنه أن يبارى كل جيش سواه .

والآن فلنلق نظرة على تنظيم القيادة والمراقبة في الجيش المقاتل .
فنهائياً كل شيء متعلق بذلك بعد تأمين التسليح المناسب والتدريب
الصحيح . ففي الحرب المعاصرة كل شيء يتم بسرعة هائلة والهلاك محتوم
إذا كان هناك تنظيم غير تام في القيادة .

هذا وإن ضباط المكتب الحربى الثلاثة ، ولا شك في أنهم كانوا
الثلاثة المهمين عند إعلان الحرب ، كانوا يتتابعون كما يلي : رئيس
الأركان الحربية الامبراطورية (لورد جورث) ، رأس الجيش
البريطانى من الناحية الفنية ، فإن لفظ "امراطورية" كانت قد أضيفت
إلى اللقب فى ١٩٠٩ ، ولا معنى لها اليوم . مدير الوقائع العسكرية
والاستعلامات (ماجور - جنرال هزى برتيل) ، مسئول عن كل
الخطوط الحربية وعن المخبرات . المستندة إليها تلك الخطوط
فى ذلك الوقت كان ماجور - جنرال مكلفاً بالوقائع والمخبرات ،
أما الآن فإن هذين الفرعين قد فارقا وأصبح كل منهما معلقاً بموظف عام
المدير الأعلى للجيش الإقليمى (ماجور - جنرال دو جلاس برونديج) .
ولقد ضوعف عدد أفراد ذلك الجيش فى مارس ١٩٣٩ بعد قرار
من الوزارة اتخذه بدون استشارة رئيس الأركان الحربية
الامبراطورية .

هؤلاء الضباط الثلاثة غادروا المكتب الحربى نهار إعلان الحرب
أصبح جورث القائد الأعلى ، بونيل رئيس الأركان ، برونديج المساعد
العام فى القوى البريطانية الراحلة إلى فرنسا . وهذا أمر لا يكاد يصدق
ولكن فى الواقع - فإن المكتب أصبح فارغاً على نحو ما تم فى ١٩١٤ .

وكان من المعروف منذ البدء في الجيش أن القائد في الدرشوت سيكون القائد الأعلى المعين فوراً للجيش البريطاني المفروض إرساله خارج البلاد في حالة قيام حرب وكان معيناً لذلك . فالجنرال ديل كان في الدرشوت في سبتمبر ١٩٣٩ . وكنا نفكر بل نأمل جميعاً أنه سيكون هو القائد الأعلى . إلا أنه انتشر الخبر أن القيادة كان قد وعد بها في حالة الحرب للجنرال أير ونسيد ، تعويضاً عن أن جورث كان قد عين رئيساً للأركان الحربية الامبراطورية . وكان إذ ذاك مفتشاً عاماً للقوى الموجودة وراء البحار وهي وظيفة لا تزال حتى اليوم . وسمعت أنه كان ذهب حتماً إلى كمبرلي وشرع بتأليف مركز قيادته العام في بنابات سندرهست بيوويمات قبل إعلان الحرب .

ولا شك في أن ديل وبيرونسيد ملكتهما الدهشة عندما بلغهم أن مرشحاً ثالثاً حصل على المحل : جورث الذي كان رئيس الأركان الحربية الامبراطورية . فمن الأكيد أن الجيش وقع في الحيرة ، وازدادت حيرته عندما بلغه أن أير ونسيد عين رئيساً للأركان الحربية الامبراطورية ؛ فإنه عزل عن منصبه في (مايو) ١٩٤٠ . ولناق نظرة الآن على القائد الأعلى ومركز قيادته الأعلى .

كان جورث رجلاً لطيفاً ، وصديقاً مخلصاً ، صادة لا يمكن أن يأتي بشئ ذليل دنى .

كان المثل الأعلى للضابط في الجيش المقاتل ، لا يجمل شيئاً من لوازم الجندي وأعلى وظيفة كان قد شغلها فيما سبق هي قيادة لواء مشاة . كان حاد الذكاء ولا يزعم نفسه بالمسائل الإدارية

جعل جورث مركز قيادته الأعلى في هابارك وضواحيها ، في مساحة ثلاث عشرة قرية وهى تربو على الخمين كيلومتراً مربعاً . فكان ذلك الانتشار يتطلب شبكة مواصلات صعبة التحقيق ، مما يؤدى إلى صعوبة اتصال القائد بمن يريد الاتصال به .

لأننى لا أزال أرى أن تعيين جورث في منصبه كان خطأ ، فالعمل المفروض عايه كان فوق طاقته وكفى بإلقاء نظرة على ما وصله من أوامر مكتوبة وقع عليها هور — بلشيا للتيقن مما أقول . ثم انهم كانوا يطلبون منه المستحيل . فإن مراكزه العامة كان عليها أن تتصرف كمرکز عام أعلى وتقوم في الوقت نفسه بمهام قيادة ذات تنفيذ مباشر على القوى المقاتلة والإدارة الملحقه به ، وإليك التعليمات التى كان مأموراً أن يتقيد بها :

تعليمات للقائد الأعلى للقوى المقاتلة البريطانية

المهمة :

١ - مهمة قوانا الموجودة تحت قيادتكم أن تساعد مع حلفائنا على هزيمة عدونا المشترك .

٢ - ستكونون تحت تصرف القائد الأعلى الفرنسى « المسرح الشمالى - الشرقى للعمليات الحربية » ، . ففى ملاحقة الهدف المشترك ستطبقون بصدق كل التعليمات التى تنلقونها منه . وفى الآن نفسه إذا ما صدر منه أمر ترونه يجعل فى خطر القوى المحاربة البريطانية فالاتفاق قائم بين الحكومتين البريطانية والفرنسية أن تحتفظوا بحريتكم

في أن تراجعوا الحكومة البريطانية قبل تطبيق ذلك الأمر .
لنا الأمل أن حاجة إلى مراجعة كتلك لن تقع إلا فيما يندر . ومع ذلك
فإن وقعت لن ترددوا في استعمال ذلك الحق عندما ترونه مناسباً .

٣ - إن القوى الموجودة تحت أوامر كم تحدد أولاً إلى فرعين كل
فرع مؤلف من فوجين مع مركز قيادة أعلى ، كما أنها تحدد بفرع
الطيران الحربى الملكى المؤلف من سربى قاذفات قنابل ، وسربى
طاردات وسربى مساعدة .

٤ - رغبة حكومة صاحب الجلالة هي أن تكون القوى البريطانية
الموجودة تحت أوامر كم غير موزعة في أماكن شتى على قدر الإمكان .
وإذا أرغمت الظروف القائد الأعلى الفرنسى ، المسرح الشمالى
الشرقى للعمليات الحربية ، أن ينقل جزءاً من الجيش البريطانى المحارب
إلى منطقة غير التى تعمل فيها قوتكم الرئيسية . يجب أن يكون معلوماً
أن ذلك لن يكون إلا وقتياً وأن الجيش المنفصل هكذا سيرجع حالماً
يكون الأمر ممكناً ويضم إلى الكتلة العظمى من القوى البريطانية .

٥ - فى حين أن فرع الطيران الملكى موضوع تحت أوامر كم ،
فإن القوى الجوية المتقدمة التى تقوم بمهام من الأراضى الفرنسية هي
وحدات مستقلة موضوعة تحت المراقبة المباشرة من قبل ضابط الجيش
الجوى القائد الأعلى فى المملكة المتحدة . إلا أن المكتب الحربى قرر
أن تلك القوى ستبقى خارجاً عن قواعدها العادية ، وإنكم ستكونون
مسؤولين عنها بصفتمكم القائد الأعلى للقوى المحاربة . غير انكم لستم
مسؤولين عن حماية مطارات القوى الجوية المتقدمة . فإن تلك الحماية

يجب على الفرنسيين أن يؤمنوها ولكن إذا مست الحاجة إلى أن تأخذوا على عاتقكم حماية تلك القوى ، فستباغون التعليمات اللازمة من المكتب الحربى .

٦ - ربما اضطررتم إلى مساعدة جوية تتجاوز امكانيات فرع الطيران الحربى المملوكى الملحق بالقوى المحاربة . ربما مست الحاجة إلى مساعدة اضافية لحماية عامة تؤمنونها لجيشكم ضد هجوم جوى ، أو لهجوم جوى متصل بعمليات حربية برية ، أو للحصول وقتياً على تفوق جوى محلى . فستطلبون مساعدة كذلك ، عندما تمس اليها الحاجة ، من ضابط الجيش الجوى القائد للقوى الجوية المتقدمة .

التوقيع : لىلى هور - بليشا

٣ - ٣ - ٣٩

فبعد اطلاعك على هذه التعليمات التى نظرت على جدول الصفحة التالية وهى تدل على كيف كانت موزعة قيادة القوى المتحالفة فى فرنسا . فان الجنرال جاملين كان القائد الأعلى . ويبدو الجيش البريطانى المحارب على أنه ملحق لمجموعة الجيوش تحت الرقم ١ تحت أوامر الجنرال بيوت . إلا أن التعليمات المعطاة لجورت كانت تجعله مباشرة تحت قيادة الجنرال جورج . ومن ثم ترى جيداً سبب صعوبات لم تلبث أن تحدث فى الجهة الشمالية الشرقية .

ابتدأت العمليات الحربية فعلاً فى ١٠ (مايو) ١٩٤٠ وفى نهار الغد كان تنظيم الجهة ، من لونغوى إلى البحر ، على نحو ما يلى من الشمال إلى الجنوب :

بمجموعة الجيوش رقم ١ مع الجنرال بيوت

الجيش الثاني الفرنسي

الجيش التاسع الفرنسي

الجيش الأول الفرنسي

فهذه الجيوش كانت تضبط جهة من لوانجوى إلى وفر مارة في سودان . فالجزء اردن - موز من هذه الجهة كان يحل فيه الجيش الثانى والتاسع ، وهما مؤلفان خاصة من افواج من الدرجة الثانية . والجيش الأول كان مجاوراً للجيش البريطانى المحارب ، وكان مؤلفاً خاصة من افواج من الدرجة الأولى .

الجيش البريطانى المحارب :

ليس تحت قيادة الجنرال بيوت ، بل متقبلاً أوامره مباشرة من الجنرال جورج . وكان فوجى الثالث فوج القوى البريطانية المحاربة اليسرى ، وكان الجيش البلجيكي على يساره .

الجيش البلجيكي :

مستقل ، يقوده ملك البلجيكيين .

الجيش السابع الفرنسى (جيرو) :

كان داخل فى مجموعة الجيوش رقم ١ ، وكانت نية الجنرال جورج أن يبقياها لوقت الحاجة وراء الجانب الأيسر ، وكان ذلك من الصواب . إلا أن جاملين لم يوافق عليه بل أمر بأن يجتاز ذلك

الجيش المؤلف من سبعة أفواج بلجيكا متجهاً نحو انفرس ليسند
القوى الباجيكية والهولندية . فسكابد خسارات فادحة ولم تتوفر لديه
العتاد الحربية ثم ولم تؤمن نتيجة قط ولا بد للأمر من أن يكون هكذا .
وكانت حركة ذلك الجيش أكبر خطأ ارتكبه جاملين لأن تلك الحركة
أخلت في توازن الجبهة الشمالية الشرقية ، وما كانت الحالة أصبحت
هكذا سيئة لو كان الجيش السابع قد بقى على ما كان عليه في نية
الجنرال جورج .

وعدا عن ذلك الخطأ من القيادة ، فإن جهاز المواصلات لم يكن
ليسهل الأمور . وحينما ابتدأت الحرب ألح الفرنسيون على ضرورة عدم
استعمال اللاسلكي بحجة أنه لا يمكن التخابر عن هذا السبيل . ولذا فإن
القوات المتحالفة أخذت تتصل بعضها ببعض عن طريق التليفون العادى
مما أدى إلى اضطراب كبير . ومن ناحية أخرى فإن مركز القيادة الأعلى
للقوات البريطانية المحاربة لم تقم بمناورات حربية مع جيش أو بدون
جيش فيما بين انزالنا على أرض فرنسا سنة ١٩٣٩ وابتداء العمليات
الحربية الجديدة في (مايو) ١٩٤٠ وكان العذر دوماً ضرورة فرض
عدم استعمال اللاسلكي إلا أنه كان من الممكن أن ينظم تمرين على
الخريطة ، سيكون مرآة لما سيتم في الحرب . مما أدى إلى عدم وجود
سياسة مشتركة ومذهب استراتيجى عند القوى المحاربة البريطانية ،
والخلافات التى كانت تظهر ، فإنها كانت تبقي لأن أحداً ما كان يتلقى
أوامر سديدة من المركز الأعلى .

في ١٢ (مايو) اتفق على أن يجمع الجنرال بيوت بين عمليات

القوى البريطانية وعمليات الجيش البلجيكي وذلك باسم الجنرال جورج . ولكن لم يتحقق هذا لأن الجنرال بيوت جرح في ٢١ (مايو) ومات بعد ذلك بيومين ولم يعين محله الجنرال بلانشار إلا بعد ثلاثة أيام بعد موته وكان الأوان قد فات . وكان التليفون دائماً يكاد يكون الواسطة الوحيدة للتخاطر يحمله ضباط المواصلات مع زيارات القواد الكبار مع أركانهم . منذ ١٦ (مايو) ابتدأ الألمان يقصون الخطوط الجوية وفي النهار نفسه انقطعت المواصلات التليفونية (جاملين) ومركز قيادة الجبهة الشمالية الشرقية (جورج) . وفي التليفونية اليوم نفسه أيضاً انقطعت كل المواصلات المباشرة بين الجنرال جورج ومجموعة الجيوش رقم ١ (بيوت) ومنذ ١٧ (مايو) لم تبقى خطوط تليفونية تحت تصرف جورث ليتصل بمركز القيادة الباجيكية عن يساره ، وبالجيش الأول الفرنسي عن يمينه ومركز قيادة الجبهة الشمالية الشرقية (جورج) من ورائه . والواقع هو أن لم يكن ثمة اتصال قطفياً بين القوى الباجيكية والقوى البريطانية والجيش الأول الفرنسي . فإن قواد تلك القوى لم يستطيعوا أن يتصلوا بعضهم ببعض إلا عن سبيل الاجتماعات الشخصية .

وكانت خطة جورث أن يتقدم مع مركز قيادة صغير ، عندما ابتدأت العمليات الحربية الجدية ، وأن يترك في اراس مركز قيادته الرئيسي . ثم ألح عدد من الضباط أخذ يتكاثر بأن يكون حاضراً في مركز القيادة المتقدم مما أدى إلى ازدحام قوى . ففكروا حينئذ بجعل مركز قيادة صغير في خط لا بأس بتقدمه . وأخير اضطربت مصلحة الاستعلامات اضطراباً تاماً وابتدأ الفرنسيون في ١٥ (مايو) يشعرون

بالصعوبة الشاقة من يمين القوى البريطانية . وشق الألمان جبهة الحلفاء في منطقة الجيش التاسع الفرنسي ولم يكن لمركز القيادة الأعلى البريطاني ضابط يصله بمركز قيادة ذلك الجيش كما كان الأمر مع الجيش الأول الفرنسي فلم يحصل مركز القيادة إلا على تفاصيل الثغر الذي حدث لامن حيث حالة الفرنسيين ولا من حيث حركات العدو . واتخذ في هذا الوقت قراراً مدهشاً في (١٦ مايو) استدعى جورث رئيس مصلحة الاستعلامات الخاصة به (ماجور - جنرال مازون - ماك فرلان) وسلبه قيادة قوة صغيرة مكلفة بحماية الحرس الوراثي اليمين للقوى البريطانية . ثم أخذ الجنرال معه أقدم ضابط أركان تلك المصلحة بصفة ضابط أركان أعلى في القوى الجوية (العقيد جرال د تمبلره) فنتج عن ذلك أن جورث كثيراً ما حدث له أن يصبح بدون استعلامات عن العدو . وهكذا فإن توزيع أعمال الأركان بين مركز القيادة الأعلى ومركز القيادة كان يسيء التنظيم منذ البدء وذلك في كل مكان .

وكنتي بما قلت حتى يفهم أن المعركة كانت حائرة حقاً قبل أن تدخل فيها من حيث القيادة ومراقبة القوى المحاربة في فرنسا في (مايو) ١٩٤٠ فعلى من يقع اللوم أولاً ؟ لا شك أنه يقع على الجنرال جاملين . لأنه كان هو القائد الأعلى وعليه فإنه كان مسؤولاً ولم يأت بشيء تجنباً لذلك النقص . إلا أنني لا أتردد في لوم رؤساء أركان الحرب البريطاني لأنه كان من الواجب عليهم ألا يسمحوا فقط بأن يدخل الجيش البريطاني المعركة وهو على ذلك الحد من عدم تنظيم القيادة . وواضح أن جورث ورئيس أركانه يستحقان اللوم . فهما يعرفان نواصص تنظيم القيادة

العليا ، فكان من اللازم عليهما أن ينظما مركز القيادة الأعلى بشكل متقيد بالنظر أكثر مما كان . أما أنا فما كنت أعتبر جداً أركان مركز القيادة الأعلى حتى ولا هؤلاء الذين كانوا يشغلون القيادات المتعاقبة به .

إن منطقة فوجي كانت في جنوبي بيل وكانت مهمتي أن أعمل على دفاع الخط الممدود بعد خط ماجينو وراء الحدود البلجيكية . حتى ١٠ (مايو) وكانت بلجيكا بلاداً حيادية بالضبط . وعدا تلك الأعمال الدفاعية كنت أسعى في أن أدرب الفوج ليكون مستعداً لعمليات حرية وكنت على يقين من أنه سيطلب منه أن يقوم بها . وكنت ساخطاً على ما كان يجري . فإن فرنسا وبريطانيا العظمى لا تتحركان في حين أن ألمانيا تبتلع بولونيا . كنا لا نتحرك في حين أن الجيوش الألمانية كانت تنتقل نحو الغرب وقصدها واضح في أن تهجم علينا فيما بعد . وكنا ننتظر بصبر أن نهجم . وفي تلك الأثناء كنا نقذف ألمانيا بين الحين والحين بالمناشير والدعايات . إذا كانت الحرب هكذا فإنني لأفهم

أذكر زيارة قام بها نوفيل شميرلين إلى فوجي ، في ١٦ ديسمبر ١٩٣٩ وبعد راحته انفرادي وقال بصوت منخفض بشكل لا يسمعه أحد .

— لا أرى أن نية الألمان أن يهاجمونا . ما رأيك ؟

ما خفيت عليه أنني أرى أن الهجوم سيتم في الحين الذي يختارونه هم . كنا حينذاك في الشتاء وكان لابد لنا من أن نتوقع أن تبتدىء المعركة في أواخر الفصل المطر البارد .

أما الفوج الثالث فإنه ولا شك استفاد من ذلك الشتاء الأول

وتدرب تدريباً شاقاً ، فإذا هوجم البلجيكيون كان علينا أن نتقدم ونشغل منطقة تمتد إلى ماوراء لوفين ، وراء نهر الديل . فدربت فوجي على العمل على بعد مسافة مشابهة متجهة نحو الغرب ، أعنى فى فرنسا .

كان قائد الفرع الداخلى فى فوجى الجنرال بروك (الآن لورد النبوك) ، كنت معه مدرباً فى مدرسة الأركان وأعرفه جيداً . لأننى لا أزال أحبه وأعجب به إعجاباً يقويه لاحترام وأنه فيما أرى خير جندى أخرجته وطنى منذ أعوام . ما كنت أزججه وما كنت أثاقل عليه بالأسئلة بعد أن أعطى أوامره مهما اشتدت الصعوبات وما كنت فى حاجة إلى تلك الأسئلة لأن أوامره كانت فى غاية الوضوح . كانت ثقته فى كبيرة فیدعنى أطبق أوامره كما أشاء ودافع عنى ضد الذين كانوا يريدون هلاكى . حدث له أن يلمنى إلا لأننى كنت أقبل منه كل شىء لأننى كنت استحق كل التوبيخات التى وجهها إلى .

ليس قصدى أن أسرد بالتفصيل ما قام به الفوج الثالث فى المعركة التى ابتدأت فى ١٠ (مايو) ١٩٤٠ . إلا أن هناك وقائع لا بأس بأهميتها فالمهمة الأولى التى تحتم علينا أن نقوم بها هى بالضبط المهمة التى كنت أتوقعها ، أعنى أن نتقدم ونحل فى المنطقة الواقعة على الديل ولوفين فى وسطها . فقمنا بالحركة بنجاح تام . وعند وصولنا فى ١١ (مايو) كان البلجيكيون فى المنطقة نفسها ولا ينتظرون الألمان ، وكانوا لا يزالون نائمين إذ كنا قد أتممنا كل شىء فى الليل وانتهى احتلالنا للمنطقة عند الفجر . فذهبت إلى القائد البلجيكى وطلبت إليه أن ينسحب فوجه لیتاح لى أن احتل الجبهة ، فرفض وقال إنه لم يتلق أوامر فى الموضوع

وأضاف أنه على الجيش البلجيكي أن يحل في مدينة لوفين القديمة .

وكان الألمان يقتربون ، أما الجيش البلجيكي الذى كانت جبهته على خط قناة البير فراجع مهرولا . وكانت المنطقة مزدحمة بعدد من الجنود أكثر مما كان يلزم فركزت فوجى وراء الفوج البلجيكي . ورأيت أن خير وسيلة لأن أصرف البلجيكيين وأحل محلهم هو أن ألاحظ كرامتهم قليلا فقلت للقائد البلجيكي إنه لابد من أن توحيد القيادة فى المنطقة للنجاح فى عملنا ، وبما أنه هو الذى كان يشغل تلك المنطقة أولا فإننى أجعل نفسى تحت تصرفه . فسر . ووصل الخبر إلى مركز القيادة الأعلى فأحدث استياءا عظيما وجاء قائد فرعى إلى للاستفهام فقلت له ألا يضطرب لأننى لجأت إلى حيلة لإزاحة البلجيكيين وسأصبح عن قريب صاحب الجهة والقائد المسئول . فعندما وصل الألمان على مسافة مرمى المدفعية وابتدأ النصف لم يصعب على أن أحل محل البلجيكيين . فإن فوجهم رجع وراء فوجى ثم انسحب نحو الشمال حيث التحق بكتلة الجيش البلجيكي العظمى .

أظن أن أصعب العمليات الحربية التى قت بها حينذاك كانت فى ٢٧ (مايو) ، إذ تلقيت الأمر بأن أضع الفوج على يسار الجهة البريطانية لأسد الفرجة التى كانت قد حدثت بين الفوج الحشرين والبلجيكيين . وكان يقتضى ذلك نقل الفوج ليلا على نحو بعد كيلو مترين من الفوج الخامس حيث كانت لا تزال تجرى معركة اشتد وطيسها أثناء النهار كله .

ولو كان طالب في مدرسة الأركان قد فكر في هذا الأمر لاعتبر كجنون . إلا أنه في الحرب ، وفي شدة الازمة ، يقوم الإنسان بأعمال مدهشة .

وهكذا فعلت ، وسدت الفرجة في فجر ٢٨ (مايو) .
ويمكنك أن تتصور دهشتي عندما بلغني في صباح النهار أن ملك البلجيكيين كان قد سلم جيشه إلى الألمان في ٢٧ (مايو) في نصف الليل في حين كنت أنقل فوجي لأسد الفرجة . فبدلاً من جيش بلجيكي على يساري ، لم أر شيئاً مما اضطرني إلى الإسراع في اتخاذ تدبير آخر .
وفي أثناء تلك العمليات الحربية كاد الزاد أن ينفذ واضطروا أن ينصفوا الوجبات في القوى البريطانية المحاربة . أما فوجي فلم يشعر بذلك لأننا كنا نعيش مما كان يتركه المدنيون الهاربون وتعطى بطاقات المصادرة لحاكم المنطقة عندما نعرّ عليه .



الفصل النهائي في البان

استقر مركز القيادة الأعلى في البان في ٢٨ مايو وبقى هناك حتى النهاية . وقد اختير هذا المكان لأن السلك الموجود تحت البحر والذي كان يصلنا مع المملكة المتحدة كان يدخل هناك في البحر ؛ وبذلك استطعنا أن نبقى متصين تليفونياً حتى النهاية مع دوفر ولندن .

عسكر فوجي على يسار رأس جسر دنسرك في ليل ٢٩ إلى ٣٠ مايو وكنا محتلين خط القناة بين فورت ونيوبور . كان مركز قيادتي على تلال الرمل في جوار البان ، ومركز القيادة الأعلى ، أو ما كان باقياً منه ، في بيت من جهة البحر وما كان فيه آنذاك إلا جورث نفسه وبعض ضباط أركان .

في صباح ٣٠ مايو قصدني بروك إلى مركز قيادتي في تلال الرمل . قال لي إنه أمر بأن يعود إلى إنجلترا وكان جد مضطرب . وكنا أصحاباً فسعيت جهدي في أن أشجعه قائلاً إنه من المهم جداً أن تستعيد إنجلترا خيرة قوادها في أسرع وقت إذ أنه من المتوقع أن تقضى سنوات عديدة في الحرب . فلو هلكنا جميعاً . يجب على الأقل أن ينجو هو . فقال لي إنني سأحل محله كقائد للفرع الثاني فدهشت لأنني كنت الماجور - جنرال الأصغر في ذلك الفرع . وعاد بروك إلى إنجلترا في المساء نفسه .

وعقد جورث اجتماعاً أخيراً في مركز قيادته بعد ظهر ٢٠ (مايو) ليعطى أوامره ، وحضرت ذلك الاجتماع بصفة قائد الفرع الثاني فرأيت جورث لأول مرة بعد ١٠ (مايو) وتحدث إليه قبل الاجتماع لأنني استطعت أن أصل إلى الاجتماع قبل غيري لقرب مركز قيادتي من مركزه

وفي الاجتماع قرأ لنا البرقية التي تحتوي على تعليمات الحكومة الأخيرة . وهي تقول :

« واصلوا في مدافعة المحيط الحالي لحماية الإخلاء الذي يتم الآن بشكل مرضي . أفيدونا كل ثلاث ساعات عن سبيل البان . إن استطعنا أن نبقى متصلين بكم سنرسل لكم الأمر بالعودة إلى إنجلترا مع الضباط الذين تختارونهم عندما نرى أن قواكم تحف إلى حد أن تصلح أن تكون تحت قيادة قائد فرع . وإذا انقطعت المواصلات استعدوا للرجوع عندما تصبح قواكم لا تتجاوز معدل أفواج ثلاثة . إن ذلك في تمام اللباقة من الناحية العسكرية . . »

ثم إن قائد الفرع الذي تعينونه يجب أن يؤمر بتأمين دفاع وإخلاء دنسرك والشاطيء وذلك باتصاله مع الفرنسيين .

إلا أنه إذا ما رأى أن لا نفع في مواصلة القتال يجب أن يتفق مع القائد الأعلى الفرنسي فيستسلم وفرعه للعدو حقناً للدماء .

في مساء ٢٠ (مايو) جمعت قواد أفواج الفرع الثاني وأطلعهم على أوامري فيما يختص بالانسحاب وبالإخلاء في المساء المقبل ٢١ (مايو) .

وكانت القنابل تنفجر من كل صوب حول البيت الذى كان فيه الاجتماع منعقدآ .

ثم أمرت فيما يختص الرجال الذين لا يمكن إخلاءهم عن سبيل الشاطئ أن يتوجهوا إلى دنكرك حيث يؤخذون على سفن موجودة فى المرفأ وفى المساء التالى أصعدت الفرع الثانى إلى المراكب .

وأخيراً ذهبنا مشياً إلى دنكرك مع قائد اللواء رتشى (اليوم الجنرال سرنيل رتشى) وسائق سيارتى . ووصلنا هناك عند الفجر فأصعدنا إلى ظهر سفينة حربية ونزلنا فى دوفر فى صباح أول حزيران .

لورد جورث

سبقت وقلت إن تعيين جورث لقيادة القوى البريطانية المحاربة فى فرنسا كان خطأ وما قط عدلت عن رأى حتى اليوم .

وأول شيء يجب أن يفهم هو أن معركة ١٩٤٠ فى فرنسا والغلاندر كانت قد خسرت فى هويتال قبل أن تبتدىء ، ويمكن أن يضاف بعد لفظة « هويتال ، العبارة « فى باريس » . ولذلك فإن الموقف كان يقتضى أن يخرج من الجيش البريطانى رجلا ن فوق المستوى الإنسانى : الأول كرئيس الأركان الحربية الامبراطورية والآخر لقيادة المحاربة فى فرنسا . أما الرجلان اللذان انتخبا فكانا أيرونسيد وجورث وهما تعيينان لا يليقان فيما أرى .

فقد كلف جورث بمهمة يكاد لا يمكن القيام بها على ما يرام ،

إلا أنه تصرف على خير ما كان في إمكانه . رأينا أن الشيء الكثير الذى كان يجب تحقيقه لم يحقق هذا علاوة عن أن جورث لم يختار بحكمة أعضاء رئاسة أركانه ، فما كان كفوًا لمنصبه . فلم يكن جورث صاحب آفاق واسعة إلا أنه كان يتبين بوضوح ما كان ضمن نطاقه الضيق . وعند ما وقعت الزوبعة فأودت بالجيش الفرنسية والبريطانية رأى جورث أنه لم يبق عليه إلا شيء واحد : كان لا بد للجيش الفرنسى من أن ينهار ، فيجب إعادة القوى البريطانية إلى إنجلترا . صممت خطة الإخلاء في مركز الأركان الأعلى في ٢١ (مايو) فيما أظن وما عاد جورث يميل عما رآه الحل الوحيد المناسب . ثم تأثر عمله فيما بعد مع الوقت باعتبار آخر : واجبه نحو حكومة صاحب جلالته ، كقائد مسئول عن أمانة القوى البريطانية المحاربة . وفي الفترة الأخيرة تخلص من باركر إذ سلم لاليسكندر مهمة قيادة الفرع الأول والإخلاء النهائى .

وما استطعنا أن نخرج جميعنا من دنكرك إلا لأن جورث كان يتبين الأمور بوضوح ضمن نطاقه الضيق . رب رجل أشد ذكاء وقف غير ذلك الموقف فحاول أن يتوجه بالقوى البريطانية المحاربة نحو السوم محافظاً على الاتصال بالفرنسيين . ولو كان فعل لكان جنود القوى البريطانية المحاربة قد اتجهوا إلى إفريقيا الشمالية ووجدوا أنفسهم هناك لا سلاح لديهم ولا عتاد .

رأى جورث بوضوح أنه كان لا بد على الأقل من إرجاع القوى البريطانية المحاربة إلى إنجلترا مع أسلحتهم الفردية . وأنا جده شاكر

له ذلك ولى الأمل بأن التاريخ سيحفظه له كعمل يستحق الشكر عليه .
لقد أنقذ رجال القوى البريطانية المحاربة في فرنسا ، وبعد إنقاذهم
أصبح هؤلاء الرجال في إمكانهم أن يعودوا إلى القتال يوما وهذا
ما فعلوا لأمر كان ، كما أمكن الألمان أن يتحققوه .

الجيش في إنجلترا بعد دنكرك

وصلت إلى لندن في مساء أول (يونيو) وذهبت صباح الغد إلى
المكتب الحربى لأقدم بياناً شخصياً لجاك ديل ، وهو صاحب لى
قديم .

كان خائر القوى وقال لى : « أترى ؟ لأول مرة بعد ألف سنة
تهدد هذه البلاد بالفتح والغزو ، .

كنت قد قضيت الليل فى هدوء ونمت نوماً مريحاً ، فكنت على
خير حالة نفسية ترام . فضحكت : فأسخط ذلك منى ديل وسألنى ما عسى
أن يكون الأمر المضحك . قلت إن الشعب الانجليزى لن يصدق بخاطر
الغزو مادام على رأس الجيش قادة لامؤهلات عندهم وذكرت له بعض
الأمثال ، فلم يسعه إلا أن يوافق على ما قدمت ولكن منعنى عن الحديث
 العلنى بذلك فطلبت إليه أن أجتمع به وحده فى مكتبه فرضى . وفى
الغد وصلنى منه كتاب يطلب فيه منى أن أمتنع عن التكلم فى ذلك الأمر
فأطعت . إلا أن القادة الذين ذكرتهم عزلوا الواحد تلو الآخر .
مع أننى كنت قائد فرع فى دنكرك طلبت أن أرجع إلى فوجى
الثالث لأعده لما كان لابد أن يتم ، وحصلت على طلبى .

إن ضباط القوى البريطانية المحاربة ورجالهم كانوا الآن في إنجلترا ماعدا الشجعان الذى ضحوا بحياتهم ليتمكنوا غيرهم من العودة إلى الوطن أما الأسلحة والعتاد فلم يبق في إنجلترا حينذاك إلا ما يكفي لتجهيز فوج . فانفقوا على إعطائه للفوج الثالث ولإعداد ذلك الفوج لنقله إلى فرنسا من جديد ليعود ويحارب إلى جانب الفرنسيين . كان ذلك اعترافاً بمقدرتنا ولو كنا جميعاً على يقين من أن عودتنا إلى القتال كان لا نفع فيها . ومع ذلك فإن بروك عين كقائد أعلى وكنا نحن ، من الفوج الثالث ، مستعدين أن نذهب حيثما شاؤوا تحت قيادته فبعد أن لمنا شملنا في سمرست استعدادنا لقطع المانش للبرة الثانية ولكن في تلك الفترة وقعت فرنسا الهدنة في ١٧ يونيو .

فأمر فوجي بأن يحل في منطقة الشواطئ الجنوبية من إنجلترا حيث كانوا يظنون أن الألمان ينزلون قريباً فأسرعنا إلى تجهيز المنطقة لمنعهم من ذلك عندما يتم . واستاء السكان من عملنا الذى كانوا يرون فيه خراباً لحقوقهم وبسائيتهم وصرحوا لى عن استيائهم فما اكترت له .

ففي الأيام التى تلت سحق فرنسا ، ما كان الانجليز ليفهموا الحال على صحته . وشد ما كان سخطى وسخط أصحابى عندما كنا نرى أن جمهور الانجليز ينظرون إلى انسحابنا من دنكيرك نظرم إلى انتصار أحرزناه والجنود البريطانيون يتجولون في شوارع لندن كأبطال : يظنهم الناس هكذا وهم أيضاً يظنون أنفسهم أبطالاً . وما كان أحد يشعر أننا هزمنا هزيمة شنيعة هناك ، وأن جزيرتنا أصبحت الآن في

خطر هائل . ولقد أتى تشرشل في وقته ليصالح الناس عن ذلك الخطر
في لهجة هي أشبه شيء بلهجة المزامير .

ولند التقيت بتشرشل في ذلك الصيف ١٩٤٠ لأول مرة في منطقة
الشواطئ الجنوبية ، قرب بريتون : أصبحنا فيما بعد صاحبين حيمين
وحتى الآن لا أزال أعده في مقدمة خيرة أصحابي ولكن قبل سياق حديثي
أريد أن أقف قليلا لأروى قصة ذلك الاجتماع الأول إذ أتى طالما
أرجع إليه بفكرى .

كان مركز قيادتي قرب ستنيج في بيت واقع شمال تلال الرمل بلغنى
أن رئيس الوزارة كان يريد أن يقضى مع فوجي بعد ظهر ٢ يوليو
يصل في سيارة وينهى دورته في بريتون ثم يعود إلى لندن في القطار
الحديدي ، وكنت في ذلك الوقت لا أقدر رجال السياسة عندنا لأن
رأيت فيهم حينذاك هو أنهم المسؤولون عن مصائبنا إلا أنني كنت راغباً
في الاجتماع بذلك الرجل الذي طالما كان قد أُنذر الحكومات السابقة
عما سيتم وما سمعوا وهذا هو الذي كان قد أُنذر به قد حدث .

كان يصحب تشرشل زوجته وغيرها من الشخصيات وبينهم دنكان سانديس
لم أعرف حتى الآن ما كان رأى تشرشل في ، أما هو فقد أحدث في تأثيراً
عميقاً فسكنته من أن يرى كل ما كان يمكن أن يرى ودعوته إلى حضور
بعض المناورات التي كانت تقوم بها قطعة من الفوج الثالث ، فسررورا
عظيماً وعندما انتهينا إلى بريتون الساعة ٧٣٠ مساء دعاني إلى العشاء
في رويال البيون أوتيل وكان الحديث حماسياً أثناء الأكل . سألتني
تشرشل عن المشروب الذي أحبه مع الطعام فأجبت : الماء فأدهشه

جوابي فأضفت أنني لا أشرب ولا أدخن وكنت بذلك على خير حالة من العافية ١٠٠٪ . فأجابني بحدة أنه يشرب ويدخن وكان بذلك على خير من العافية ٢٠٠٪ . لقد سردت هذه القصة غير مرة مع تعديلات شتى والذي ذكرته منها هو الأصل

في هوايتي هول كان واضعو الخطط الحربية منهمكين في عدة مشاريع وكان الفوج الثالث دوماً يعين لتنفيذ كل مشروع يفكرون فيه لأن ذلك الفوج كان الوحيد المستعد للقتال . وهكذا قرروا يوماً أن يرسلونا خارج الوطن لأخذ جزر الاسور ، ثم عدلوا منه إلى مشروع آخر لأخذ جزر الكاب - فير . وأخيراً اتفقوا على إرسالنا لاحتلال كورك وكوينستون في إيرلندا الجنوبية لتحويل المربأ هناك إلى قاعدة حربية تستخدم ضد الغواصات الألمانية في الأتلانتيك . كنت قد قاتلت في إيرلندا الجنوبية في عامي ١٩٢١ و ١٩٢٢ : ورأينا أن تلك الحرب الجديدة مع فوج واحد ليست إلا نزهة . إلا أن مشروعاً من تلك المشاريع لم يتحقق وما كان يمكن أن يتصور أن يدع رئيس الوزراء الفوج الوحيد الكامل التجهيز بالسلاح والعتاد أن يغادر إنجلترا وهي كانت تمكاد بلا دفاع .

في (يوليو) ١٩٤٠ عينت قائداً للفرع الخامس . ومنذ ذلك العهد ابتدأت فعلاً أوائل تأثيري على توجيه الجيش . أعني بذلك أن الفرع الخامس أحدث نشاطاً شعرياً حتى خارج منطقته وهي منطقة الهامبيشير والدوستشير في (أبريل) ١٩٤١ . فلدت قيادة الفرع الثاني عشر في منطقة السكنت التي كانوا يتوقعون نزول الألمان فيها ، وفي (ديسمبر)

١٩٤١ عينت لقيادة جيش المنطقة الجنوبية - الشرقية الذى كان منتشراً فى السكت، والسرى والسوسيكس. وهكذا فإن مذهب الحرب والتدريب للحرب الذى ظهر غربى إنجلترا فى الدرستشير أخذ يمتد شيئاً فشيئاً إلى جنوبى إنجلترا حتى مسقط التاميز .

فلنلق نظرة على ذلك المذهب ، وهذا مهم لفهم ماسوف يلى . لأن ذلك المذهب هو الذى طبقته فى أفريقيا سنة ١٩٤٢ وصقلية وإيطاليا فى ١٩٤٣ ونزمنديا فى ١٩٤٤ والحق هو أن كل ما حدث فى شتى القيادات التى تسلمتها فى السنتين اللتين تلتا دنكرك هو أصل النجاح الذى تم أثناء ذلك السفر الطويل من العلين إلى برلين .

على قدر ما كان الوقت يمر كان اختبارى بالقيادة يزداد ، وهكذا حتى أننى أصبحت قادراً على تطبيق مذهبي عندما عينت قائداً للجيش الثامن فى ١٩٤٢ وأثناء هاتين السنتين خدمت تحت أوامرضباط ممتازين أخذت عنهم الشيء الكثير .

فى الفرع الخامس كنت أولاً تحت رئاسة أوسنلك ، لايمكن أن أقول أننا كننا متفقين فى رأى ، إلا أنه لم يلبث أن عين قائداً أعلى فى الهند فأصبحت تحت أوامر الكسندر وباجيت . أما بروك فكان تارة قائداً أعلى للقوى الداخلية وطوراً قائداً أعلى للأركان الحربية الإمبراطورية وكان ثلاثتهم أصحاباً أوفياء لى وأجلهم لإجلالا كبيراً من حيث أنهم رجال ومن حيث أنهم جنود .

وبما أنه يحدث دوما ، بعد انتهاء العمليات الحربية ، أن تتكثل

الأوراق الادارية فتأسر في المكتب ضباط أركان وسكرتيرين ، أمرت بأن يجبر كل من كان شغله في المكتب أن يمشى كل يوم سبعة أميال مشياً سريعاً . والامر هذا كان يقع على كل شخص لم يتجاوز الأربعين وذلك بدون استثناء قط . فالذين لا يريدون المشى السريع كان يمكنهم أن يسيروا المشية العادية ولكن كان لابد لهم من قطع المسافة المذكورة . فبدأ الاستياء أول الامر غير أن الجميع عملوا بما أمرت ، حتى الذين كان عمرهم فوق الخمسين ، الجميع وجدوا راحة وسروراً بذلك . واذكر أن أحد الكلدونوليين الكبار حاول أن يهرب ملتجئاً الى طبيب . فسألته هل يظن أن في ذلك المشى المفروض قتله . قال نعم ! قلت وإذن فمن الخير أن تموت حالا وبالمشى ، فتبدل فوراً وقام بقطع المسافة المفروضة وفيما أعلم هو لا يزال حياً اليوم .

كان من الضروري التخلص من الضباط المسنين لفسح المجال للشباب منهم الذين أبلوا البلاء الحسن فقطعت على نفسى أن أنحى ، الخطب اليابس ، عن الجيش وقت لذلك بزيارات شخصية إلى كل الوحدات أتحدث إلى ضباطها واحداً واحداً باحثاً عن سنه وعن مؤهلاته الفنية . وحدثت مقاومة عنيفة فيما يختص بالنساء . انتشرت العادة في أن يصطحب الضباط بزوجاتهم إلى الشواطىء حيث كان من المنتظر أن ينزل الألمان . فأمرت بإرحال الزوجات والعائلات فوراً عن المناطق التي من شأنها أن تصبح مناطق قتال مع الألمان . وعلقت موقفي بما يلي . إن الضباط ، أثناء القتال ؛ بعد نزول الألمان على شواطىء انجلترا سيفكر كل منهم في زوجته وعائلته الموجودتين على قرب منه وذلك

يضعف عزيمته في المعركة ، ويلهي عن الهدف الأول والوحيد وهو طرد الألمان من حيث كانوا قد نزلوا . وعارضوني بأن الضباط الصالح لا يمكن أن يضعف إلى ذلك الحد . فأجبت ، بلى ، وعلى أقل تقدير أن هناك محنة وتجربة قد تستولي على وجدانه وتفكيره وكنت أريد أن أجنبه إياها . ثم أن الجنود في الصف ليست زوجاتهم في جوارهم ، فلماذا يسمح بذلك للضباط . وعلى كل حال فإنه من الواجب أن ترحل الزوجات . فرحلن .

ثم إن مستوى القيادة أمر مهم جداً . فلا بد من نفخ الضباط وجنود الصف بروح ضرورة الاسراع في العمل وهذا ما يدفع إلى عزل كل عاجز في مضمار القيادة . أما الأركان فكان من الضروري أن تكون مثالا أعلى للفعالية الفنية .

كان تشجيعي للضباط الشباب يلعب دوراً هاماً فيما أرى . ثم كان ثمة بعض أخطار وهي أن تصبح الأركان بالنسبة إلى الضباط المحاربين مثلبا كان في ١٩١٤ - ١٩١٨ . فيصبح الذين يشتغلون في المكتب يظنون أن القتال ليس شغلهم فالقتال شغل الجميع ومن الواجب أن يدرّب عليه الجميع : كان هذا مذهبي وكنت ما أزال أصرح به . وهناك خطر آخر وهو أن تتصور الوحدات المحاربة التي تملكها في إنجلترا أن الألمان لا يمكن أن يهزموا . والخطر الثالث هو أنه بعد الحرمان الذي نزل بناً على أثر اخلائنا دنكرك يعود الراجعون من تلك الكارثة فيفكرون في الترفيه عن النفس . فقررت أن يحصل الضباط

على إجازات تمسكهم من الذهاب إلى بيوتهم ليشاهدوا عائلاتهم بعد منع تلك العائلات بالالتحاق بهم في منطقة القتال . ثم إنه إذا ما كانت التمارين عنيفة فإن الجنود ، عند انتهائها . كانوا يرجعون إلى مخيمات حيث تنتظرهم الحمامات الحارة والأكل الطيب . وهكذا أخذ الناس يفهمون الخطر المهدق بهم ويستعدون لمقابلاته وصدده .

وكانت التمارين التي كنت أهيئها وأطبقها أصعب من كل ما كان قد رآه الجيش في إنجلترا ، فتمتع عندما يسكون الشتاء والبرد أو الحر على أشده وكانت الدعوة إلى التمارين مفاجيء الضباط بعد أن يكونوا قد أعياهم التعب من تمارين غيرها . وأذكر من بين المناورات على هذه الصورة ، تلك التي حدثت في ربيع ١٩٤٢ حيث اجتمعت لأول مرة بأيزنهاور الذي كان قد وفد من أميركا — وهو في رتبة ماجور - جنرال - ليطلع على الحالة عندنا . فوقع على كتابي المخصص للتوقيعات في ٢٧ مايو ١٩٤٢ .

وفي أوائل أغسطس ١٩٤٣ وقعت مناورات على مقياس واسع في اسكتلندا واقترح الجنرال باجيت - وهو حينئذ القائد الأعلى للقوى الداخلية - وأن أحضر تلك المناورات معه . فسررت وذهبت . فتوالت إذ ذاك الحوادث بسرعة هائلة . في اليوم الثاني طلبني المكتب الحربي تليفونيا للحضور إلى لندن كنت قد عينت محل الكسندر على رأس الجيش الأول وللعمل ، تحت رئاسة أيزنهاور على تخطيط إنزال الجيوش في إفريقيا الشمالية في الثاني من نوفمبر ١٩٤٢ ، قيل لي إن الكسندر كان قد انطلق إلى مصر ليصبح القائد الأعلى في الشرق الأوسط

وأن الايضاحات اللازمة ستصلنى عن يد ضابط عام كان عليه أن يجتمع
بى فى لندن فعندما التقيت به لم أكرث له بل ذهبت توا إلى المكتب
الحربى . فألحوا على أن أحث أيزنهاور على الاسراع فى تخطيط العمائات
الحربية المقبلة ، وهو أمر مخرج لاذ أن لم يبق بيننا وبين إنزال الجيوش
المقرر فى إفريقيا الشمالية الا ثلاثة أشهر . وكنت أنا لا أزال معتقدا
بصحّة مذهبي فيما يختص بتسيير الحرب . فعدت إلى مركز قيادتي معللا
نفسى بالنجاح مع أيزنهاور ، وعلى كل حال فانتى كنت حتى ذلك الوقت
فى انجلترا منذ سنتين ، فلا بد لى بعدئذ من تغيير الهواء .

فى صباح الغد ، الساعة ٧ كنت أألق اذ اتصل المكتب الحربى
بى تليفونيا ليخبرنى أن الأوامر التى بلغتها فى الأمس عما يختص بانزال
الجيوش فى إفريقيا أصبحت ملغية ، واننى عينت الآن لاذهب حالا
إلى مصر حيث أستلم قيادة الجيش الثامن فى الصحراء . فان الكسندر
كان فى مصر وسأكون تحت سلطته ، وقيل لى فى أواخر ذلك الصباح
إن جوث كان قد عين لقيادة الجيش الثامن إلا أنه قتل تفيئت لأحل محله
وهكذا فبدلا من أن أحقق عملية انزال جيش فى إفريقيا الشمالية تحت
سلطة قائد أعلى لا أعرفه ، صرت لأخدم تحت أوامر قائد أعلى أعرفه
معرفة تامة ، ولأستلم قيادة جيش لمقاتلة رومل نفسه ، رومل قائد
الجيوش الألمانية - الإيطالية والذى كنت قد سمعت عنه كل الخير .

والحق هو أننى لم أحارب قط فى الصحراء ، وسيكون تحت سلطتى
قواد خيرون بالحرب فى الصحراء وأن رومل كان قد هزمهم جميعاً . علاوة

عن أتى كنت مسروراً بنوع خاص من أن الكسندر كان رئيسى الأعلى
وكننت على يقين من أننا سنعيش على وئام تام .

فى كتاب « مفترق القدر » يكتب ونستون تشرشل (مجلد ٢ ،
فصل ٣) ما يلى فيما يختص بمغادرتى انجلترا :

« انطلق مونتجرى إلى المطار بصحبة « لاسمى » الذى استطاع
هكذا مدة ساعة أن يطلع على أسباب التغيير الذى حدث فى المناصب
وهناك قصة - لم تؤكد صحتها ، للأسف - وردت عن ذلك الحديث
الذى دار بين « لاسمى » مونتجرى . فإن مونتجرى كان يتكلم عن
مهمات حياة الجندى وظروفها القاهرة . هو ذا رجل يقف حياته
لفنه ويقضى سنوات طويلة فى الدرس والحرمان ، وها هو الحظ
يحالفه والنجاح يظهر له ، فيتقدم فى الرتبة ويتسلم قيادة مهمة . ثم ينتصر
ويحرز شهرة عالمية ويصبح اسمه على كل لسان . وما هو الا والدهر
ينقلب عايمه وفى لحظة تقوض حياته كلها إلى اركانها ، ولربما لم يكن هو
المذنب فى ذلك ويصير اسمه فى لائحة الهزائم العسكرية التى لا نهاية لها .
فيقول « لاسمى » : لكن لا يمكنك أن تنظر هذه النظرة . فان جيشاً
قوياً ينظم فى الشرق الأوسط ومن المحتمل جداً ألا تكون ذاهباً
إلى كارثة . فيهتف مونتجرى وينتفض فى السيارة : « ماذا تقول ؟
كنت أعنى رومل » .

للأسف لم يؤكد من صحة القصة . فما كنت اجتمعت « باسمى »
منذ أسابيع عندما غادرت انجلترا لافريقيا ، ولم يصحبني إلى المطار .
غادرت انجلترا عن طريق الجو فى ليلة ١٠ أغسطس ووصلت إلى

« جبل الطور ، نهار الغد عند الفجر . فقضينا في جبل الطور النهار كله
وواصلنا سفرتنا إلى القاهرة في مساء ١١ أغسطس .

وأثناء السفر فكرت في المشاكل التي ستعرض لي ، وخططت
لنفسى صورة إجمالية عن الطريقة التي سوف اتخذها لحل تلك المشاكل .

مذهبي في ممارسة القيادة

غادرت انجلترا لممارسة قيادة عليا في الحرب ، وكان ذلك لي كامتحان
لعملي مدة سنوات طوال واختبار ضخم جمعبته . إلا أنني لم أعرض
بعد لمبادئ العام في ممارسة القيادة ، وهي مبادئ تبلورت شيئا فشيئا
في فكري على عمر السنين وأخذت أصرح بها منذ ١٩٢٤ ، إذ كنت
رئيس مدربين في مدرسة الأركان في قطا (باكستان) . وأعتقد
اعتقاداً متيناً أن مبادئ تلك في ممارسة القيادة والزعامة كانت من أهم
عوامل النجاح على ما ظهر فيما بعد .

غير أن تلك الامكانية لا تكفي . فالزعم يجب أن يصرح بأمره
بالحقيقة وإذا لم يفعل فإنهم يستشعرون فوراً فتخف ثقتهم فيه . لم أقل
دائماً كل الحقيقة لجنودى لأن السر الذى يجب أن يحيط العمليات
الحربية كان يقتضى على ذلك . إلا أنني أطلعهم دائماً على ما كان يجب
أن يعرفوه ليقوموا بعملهم على الوجه الأتم . وكل ما كنت أصرحهم
به كان الحق بعينه . وهم يعلمون ذلك فيتولد من هذا كله ثقة
متبادلة عميقة .

فسألة التقرير مسألة حيوية إذ أن ميل العصر أن يتجنب الناس تقرير شيء وأن يماطلوا بذلك التقرير أملاً بأن تصطلح الأمور من تلقاء نفسها . فسياسة الزعيم العسكري الوحيد هي العزم في العمل ، ورباطة الجأش في الأزيمة : وليس ذلك مذهبا سيئا فيما يخص الزعيم السياسي .

ومن اللازم على الزعيم أن يعرف ما يريد ويتبين هدفه بوضوح فلا يألو جهداً بعدئذ إلا ويدركه ، ويجب أن يجعل كل مأمور من مأموريه على تلك الحالة المطلوبة منه فتكون توجهاته واضحة وأوامره سديدة قوية . وبذلك يخلق ما يستطيع أن أسميه جواً فيه يحيا مأموره وفيه يعملون

عرفت قادة يرون أن بعد تصميم الخطة واعطاء الأوامر لا حاجة لهم في أن يشتركوا في التطبيق إلا بأن يؤثروا على المعركة عن سبيل قواهم الاحتياطية . وهذا خطأ كبير لأن المعركة في عصرنا هذا قد لا تسير على ما يرام . فالنجاح معلق هنا بالسيطرة القوية التي يحرزها القائد على آله العسكرية . . والسيطرة هذه لا تعنى التدخل أو الأزعاج في عمل المأمور المباشر ، إذ أن المعركة تكسب بذلك العمل إلا أن الحزم ضروري حتى لا يدك في أساس الحطة الابتدائية عن سبيل الآراء الشخصية التي قد يحاول المأمورون تحقيقها أثناء المعركة . فمن الواجب أن تتطور العمليات الحربية بحسب خطة عمل مصممة من قبل وإلا يلجأ الكل إلى حل اتفاقي بين التصورات الفردية الشخصية على كيفية تسيير العمليات الحربية ، أو تسير تلك العمليات تبعاً للظروف التي تولد من عمل المأمورين وبصورة لا تتفق والخطة الابتدائية .

وهناك افتراض ثالث وهو أن تصبح المباشرة بالعمل في يد العدو نفسه فتتكيف العمليات الحربية بحسب ما يشأ هو . وحينئذ فنلزام ألا يكون التصميم الابتدائي من الصلابة في درجة لا تسمح للقائد الأعلى أن يعدل فيه حتى يتناسب والظروف الاستراتيجية الجديدة . ولكن أحداً غيره لا يسمح له بالتعديل كما يشاء ، وخاصة العدو .

ومن الجوهرى أن يحدد المسكان الذى تقام فيه الاجتماعات بعد الدخول فى العمليات الحربية . فإن القائد ، فى أثناء مباحثاته مع قوات وحداته المحاربة ، يجب أن يعرف ماذا يريد وما يمكن أن يحقق من عمل . إذا اقتضت الظروف اجتماعاً بهم . فلا يستدعيهم إليه أبداً بل يذهب هو بنفسه اليهم ولا يجمعهم للاطلاع على آرائهم فهذا دلالة على ضعف عنده من الخطأ أن تعتقد أنه يكفى أن تعطى أوامرك ، بل يجب أن تتأكد من أن تلك الأوامر تطبق بحسب الروح التى كانت تنفذها عندما أمليتها .

ثم إن القائد الأعلى بعد تصميمه لخطة وللشكل الذى يريد أن يطبق تلك الخطة عليه ، يجب أن يكتب بنفسه الأوامر الأولية والتوجيهات المتعلقة بالعمليات الحربية ، فلا يسمح لأركانها بأن تحل محله . فإن أركانها وأموريه يتصرفون حينئذ إلى عمل يختص بالتفاصيل ومستند إلى أوامر القائد الأعلى المكتوبة . وبذلك يزول هامش الأخطاء أو يسكاد .

هكذا كانت خطى يوم تسلمت قيادة فرقة

في الحرب يجب أن يكون الجيش صلباً مثل الفولاذ وتستطيع أن تجعله كذلك بالتمرين والتدريب إلا أن الجيش على خلاف الفولاذ حساس وحاد حساس لأن مادته الأساسية هو الانسان ، فإذا كان اتصالك بالعامل الانساني بارداً لا روح فيه ، لن تحصل على شيء ، وإذا أحرزت على ثقة رجالك ورأوا أن مصلحتهم في مأمن بين يديك فحينئذ يمكنك أن تحقق معهم وبراسطتهم كل ما شئت من أمان فروح الجندي هو العامل الأهم في الحرب ، وخير وسيلة إلى أن تكون تلك الروح عالية هي النجاح في المعركة . فالقائد الصالح هو الذي يربح المعارك بقليل من الخسرات . ولكن ستبقى الروح عالية حتى مع الخسارات الفادحة بشرط أن تربح المعركة ويعرف الجنود أن الأرواح الإنسانية لم تنفق سدى وأن الجرحى محاطون بالعناية التامة وأن الموتى قد جمعت جثثهم ووريت باحترام تحت التراب .

ومن لجوهري أن تفهم أن طبائع الرجال تختلف بعضها عن بعض فعمال المعادن في درهام ونيوكاستل ، ورجال الميدلندز والكوكني (سكان لندن) وريفيو الغرب ، والاسكتلند والولش يختلفون بعضهم عن بعض . ثم إن هناك جنوداً يفضلون القتال في النهار وغيرهم في الليل ؛ وبعضهم يصلحون للمعارك المتنقلة القائمة على الحركة في حين أن غيرهم يرتاحون إلى المعركة المتجمدة المحصورة في حقل محدود . ولذا فإن الأفواج تختلف بعضها عن بعض : فكل فوج ميزته الفردية الخاصة ، يجب على القائد الأعلى درسها فيتبين بذلك نوع القتال الذي

يناسب ذلك الفوج . وهكذا القول عن القواد : فهم يختلفون بعضهم عن بعض . فمنهم من يصلح للحرب القائم على الحركة والتنقل ، ومنهم للحرب في جهة معينة محدودة .

كنت ، فيما يخصني ، اطبق هذه المبادئ في أعمالي كلها ونتيجة ذلك هي أن الحركة التي أدخلها كانت نصف رابحة منذ ابتدائها لأن العدو ، فيما بينت ، لم يكن متقيداً بالمذهب الذي كان مذهبي والذي عرضت له . كنت أقوم أنا بنفسى بتعيين قواد وحداتي الحربية حتى قائد الفرقة والكتيبة ، وكان ذلك يتطلب مني عناء شديداً فأصرف إليه ثلث وقتي . على نحو التقريب أدرس أثناءها مقدرة ضباطي الفنية وعندما يعين الضابط لوظيفته الجديدة كنت أسعى في أن يجد معاونين له ينصحونه في القيام بمهامه الجديدة وأنا على يقين بما يخالف رأي بعضهم وهو أن الضابط عندما يعلو في المرتبة ليس بحاجة إلى تعلم ما يترتب عليه في منصبه الجديد .

ثم إن لبعضهم حداً أعلى ، لا يستطيعون أن يجاوزوه ؟ فان قائد فرقة ممتاز قد لا يصلح لأن يكون قائد كتية وهكذا وهكذا حتى الوصول إلى القيادة العليا . فإن الحكم على ما هو الرجل في سلسلة الرتب العليا هو من المشاكل الأشد صعوبة التي تعرض للقائد الأعلى وكان يستهلك جانباً غير يسير من وقتي . والمشكلة نفسها هي قائمة في الحياة المدنية .

لا شك في أن القائد يجب أن يتحلى بصفات كثيرة مثل الإقدام والصبر والشجاعة من شأنها أن تنفع الثقة في الجنود ، ولكن الصفة

التي يحتاج إليها فوق كل شيء هي تلك الشجاعة الأدبية وذلك الحزم ،
ورباطة الجأش عندما تصبح العاقبة في حال اضطراب لا يقين منها .
فإن العامل الأقوى في نجاح قائد أعلى هو رباطة الجأش وإشعاعه ،
وإيصاله إلى رجاله عندما يكون ذلك القائد . في داخل أمره على غير
ثقة تامة من عاقبة معركته . ولذا فإن القائد الأعلى يجب أن يكون
مطلعاً اطلاعاً تاماً على رجاله حتى يضع كلا منهم في المكان اللائق به .
ثم إنه من الواجب عليك أن تراقب قلبك أنت عن كثب فإن القتال
معركة بين عزيمتين ، عزيمتك وعزيمة خصمك قائد جيش العدو ،
فيذا اضطرب قلبك عندما ترى العاقبة على غير ما تمنى ، فالمحتمل أن
المنتصر هو خصمك .

هذا وأنه من الضروري ألا يوزع انتباهه على التفاصيل فيصرفه
عن الأمور الجوهرية . فقد يحدث له أن يضطر إلى تعديل شيء في خطته
الابتدائية ، ولن يستطيع ما لم يبق متقيداً بالأمر الأساسي الجوهرى
فلا يزال حينئذ ذلك الصخر الصلب الذى إليه تستطيع الأركان أن
تستند . فليدع التفاصيل للأركان وإلا فلا يمكنه أن يجد الوقت اللازم
للتفكير في جو من الهدوء بتصميم معركة صحيح ، رفيع المستوى ، وأن
يوجه فعلاً عمليات حربية على مقياس واسع .

ثم إن خطة العمليات الحربية يجب أن يصممها القائد الأعلى
بنفسه ، فلا تفرضها عليه أركانه ولا الظروف ولا العدو خاصة . والقائد
الأعلى هنا يجب أن يوافق بين ما هو مرغوب من الناحية الاستراتيجية
وما هو ممكن من الناحية التطبيقية نظراً إلى القوى التي تكون تحت

تصرفه . وإذا لم يفعل فالأمل ضعيف في نجاحه : فالأمر كل الأمر في أن يميز بين ماهو ممكن مع قليل من الحظ وبين ماهو مستحيل .

وبعد تصميم الخطة . هناك تفاصيل عديدة يجب أن يدقق النظر فيها قبل الدخول في العملية الحربية . فالعمل هذا راجع إلى الأركان . إلا أن القائد الأعلى يحرص على أن كتلة التفاصيل التي تشغل بحكم الضرورة انتباه الأركان لا تزعزع أسس وحدود الخطة الأساسية . ولذا فلا بد من رئيس أركان يقظ متنبه . فلنصف جيل مضى ، كان القائد يستطيع أن يوافق بنفسه فيما بين أعمال أركانه . أما اليوم فلا يمكنه الأمر ويجب ألا يحاول أن يفعل .

على القائد الأعلى أن يقرر ، قبل المعركة ، كيف يريد أن تتطور . ولذا فمن الواجب أن يتخذ التدابير اللازمة ويوازن فيما بينها حتى يتمكن من أن يستفيد من حركات العدو بدون أن يضطر إلى أن يقاوم برد فعل منه ، ويفعل ذلك وهو يطبق خطته بدون هواده . فالتوازن ، من الطوابع الخاصة بعقيدتي العسكرية ؛ وهناك أيضاً ، التأليف ، أعني بذلك تعيين المهمة الخاصة بكل فرع مفروض فيه أن يدخل المعركة . فالمهارة في التأليف قبل المعركة والتجديد في التأليف عند حدوث تغيير في الموقف القتالي ، هما عمادان في القيادة .

وقبل الشروع بالعملية الحربية يجب أن تنفخ روح الحماسة في صدور الجنود ، فيقبلون إلى القتال على تفاؤل تام يشمل الأفراد جميعهم . فيخرج الرجال إلى المعركة ولا وكد لهم إلا إلتلاف العدو إلتافاً تاماً .

والخطبة في ذلك الظرف تفعل ما لا تفعل الأوامر والتعليمات المكتوبة . أثناء القتال يجب أن يتم تسيير العمليات عن سبيل مباشر شخصي ، بواسطة زيارات إلى مراكز القيادات المختلفة حيث تعطى الأوامر شفهيًا . فالقائد الأعلى يجب أن يمرن قواد وحداته وأركانها على الشغل والعمل بمقتضى أوامر شفوية واضحة ووجيزة . ومن يبدو عاجزاً عن ذلك فيعزل . فإن الأوراق الإدارية تضاهم عددها في الجيش ، وإن أحداً عند قراءتها ، لا يفهم حتى نصف ما تتضمن . لاشك في أن القائد الأعلى يجب أن يعرف كيف يعطى أوامره شفهيًا لمأموريه فإن بعضهم يكتفون بتوجيه عام والبعض الآخر يحتاجون إلى زيادة في التفاصيل فبوجه عام يجب أن تتولد وتتطور ثقة متبادلة بين القائد الأعلى ومأموريه من هذه الناحية . ولتأمين ذلك لابد من إنشاء مجموعة من الضباط يؤمنون المواصلات بين القائد ووحداته : فإنهم يؤدون مساعدة ثمينة اختبرتها منذ أن طبقت الخطّة تلك إذ عينت قائداً للواء مشاة .

وقصارى الكلام لا أظن أن قائداً أعلى اليوم يمكنه أن يهب بجيش ضخمة ، حتى وبوحدات بسيطة ، حتى وبأفراد فيقتودهم إلى النصر ، ما لم يكن عنده الإيمان . فمن الواجب عليه أن ينفحه في جنوده ويسوقهم بتلك الروح . من الواجب عليه ألا يزال متأكداً أن الهدف الذي يسعون إليه ، بعد عرضه عليهم بوضوح وجلال . هو حقاً الهدف الصحيح . وإذا لم يفعل فلا أمل له بنجاح مستمر .

هذا شرح وجيز لموضوع ضخم. وأنتى أرى أنه بالأحرى عقائدى .
لقد حاولت أن أعرض بصورة وجيزة أن ألخص ما أظن أنه
جوهر الموضوع . ولربما كان ذلك كافياً لتكوين القارىء من أن يزداد
فهماً لما كان يدور فى خلدى ، لما وصلت إلى القاهرة فى صباح
١٢ أغسطس ١٩٤٢ .



الفصل السادس



عندما غادرت انجلترا لمصر ، حملت معى عقيدتى العسكرية التى عرضت لها فى خطوطها العامة . ولكن كيف أطبقتها ؟

أن توپوغرافية لإفريقيا الشمالية تختلف عن التوبوغرافية التى ألفتها فيما سبق .

لا شك فى أن ذلك يجب أن يطبق فى المستوى الأدنى وأنه يجب إقامة علاقات بين التوبوغرافية وتسيير العمليات الحربية فى الوقت الذى نحن فيه .

كنت عارفاً أن الهدف كان طرابلس ، أكبر مرفأ غربى الاسكندرية وبين هاتين المدينتين عدة مرافئ صغيرة مثل طبرق ، بنغازى وغيرهما فبين العلمين وطرابلس صحراء قاحلة . ولكن كنت أتبين ثلاث نقاط مهمة :

١ - الطريق الوحيدة المرصوفة ، التى تسير مع الشاطئ حتى طرابلس . ولا شك أن تلك الطريق هى الوحيدة لتأمين الزاد بين المرفأ والآخر . ولكنه ممكن أن تكون أيضاً الطريق الرئيسية لتنقلات الجيش .

٣ - الجبل الأخضر ، وهى كناية عن سلسلة تلال تمتد بين طبروق وبنغازى .

ومما قرأت وسمعت ، أن قوى رومل كانت مؤلفة من وحدات قرارية تبقى مكانها ولا تغادره فتشغل محلات دفاعية ومناطق حيوية ، ومن وحدات تنقلية للهجمات المعاكسة . فالوحدات القرارية من الإيطاليين خاصة ، فما لديها مصفحات ، والوحدات التنقلية من الألمان وأعظمها عندها مصفحات فمخبة الجيش ، جيش البنزير كانت مؤلفة من الأفواج المصفحة الخامس عشر ، والحادى والعشرين والنسعين الخفيف .

فالنتيجة إذن هى أن يكون فى الجيش الثامن عندنا جيش البنزير ، أعنى فرعاً مصفحاً على خير حالة من حيث الجهاز والتدريب ويستخدم ذلك الفرع للهجمات . فإن عدم توفيره للجيش الثامن كان العامل الأول فى هزيماته الشتى ورأيت أن هدفى الأول أن أوفره له فى أقرب وقت .

ثم هناك مسألة الروح . ففما علمت أن تلك الروح لم تكن عالية وأن الجيش لا ثقة له بالقيادة العليا . فهذا أمر لا بد من تديره وفى أسرع وقت إلا أننى ما كنت لأستطيع أن أقرر شيئاً من هذه الناحية قبل الاطلاع بذاتى على كيف كانت الأمور تبدو وتظهر .

فهذه الأفكار وغيرها كثيرة كانت تدور فى خلدى أثناء السفر ، وعندما نزلت مصر كانت المشكلة قد أصبحت تتوضح فى عقلى وأصبحت

على يقين من أن الحل سيظهر لى حالما أتمكن من التعمق فى تلك المشكلة .

لم أكن مستعجلاً فى أن أجتمع بأوشنلاك . كنت قد سمعت أشياء عن أسلوبه فى ممارسة القيادة فعرفت أنى لن أكون سعيداً معه . وما كنت أراه مصيباً فى انتخاب رجاله أيضاً : فالعارف بالرجال مثلاً لا يأخذ أبداً الجنرال كوربيت كرئيس أركان حرب فى الشرق الأوسط وفكرة أوشنلاك فى تعيين كوربيت كقائد للجيش الثامن ما كان العقل ليستسيغها .

ثم أنه كان أوشنلاك قد عين ريتشى على رأس الجيش الثامن وليس ذلك يدل على وعى عنده . فان ريتشى ما كان فيه المقدرة الفنية اللازمة حينذاك ولم تستقر له إلا فيما بعد فى الحرب التى جرت فى شمال شرق أوروبا

فى ٥ أغسطس ١٩٤٢ قام تشرشل بزيارة إلى الجنرال أوشنلاك فى مركز قيادة الجيش الثامن فى الصحراء . وكان تشرشل حينذاك مسافراً إلى موسكو ، وأوشنلاك القائد المباشر للجيش الثامن بعد أن عزل ريتشى والقائد الأعلى للقوى البريطانية فى الشرق الأوسط فى الآن نفسه . وكان يصحب رئيس الوزراء بروك رئيس الأركان الحربية الامبراطورية . فأنفوا نظرة على الحالة العامة ولا حظوا على أوشنلاك أنه لا يمكنه أن يقوم بالمهمتين معاً ، أى أن يكون القائد الأعلى للقوى البريطانية فى الشرق الأوسط والقائد المباشر للجيش الثامن فى الآن نفسه . وعليه فرجوعه إلى القاهرة أمر لا بد منه ،

ويعين بعد ذلك من يحل محله على رأس الجيش الثامن . فوافق أو شنلاك مع بروك على أن أجيء إلى مصر لتسليم قيادة الجيش الثامن . إلا أن الفلد - مارشال سموتس كان يحبذ تعيين جوت الذى اشتهر فى الصحراء ويسنده الرأى العام فى الشرق الأوسط . فى ٦ أغسطس أبقى رئيس الوزراء إلى المكتب الحربى يطلعه على التغييرات التى كان من رأيه أن يحدثها وهى فصل بلاد فارس والعراق عن قيادة الشرق الأوسط وتبديل أو شنلاك بالكسندر وتعيين جوت على رأس الجيش الثامن . غير أن جوت سقط بطائرته وقتل فى ٧ أغسطس ؛ وفى نهار الغد عينت لاجل محله . وفى النهار نفسه جاء قائد اللواء جاكوب حاملاً إلى الجنرال أو شنلاك فى مركز قيادة الجيش الثامن فى الصحراء تعليمات رئيس الوزارة على أنه قد عزل عن منصبه . فى ٩ أغسطس وصل الكسندر إلى القاهرة واجتمع بأوشنلاك الذى كان قد غادر الصحراء بعد تسليمه الجيش الثامن للجنرال رمسدن قائد الفرع الثلاثين . أما أنا فأننى اليوم على يقين من أن تعيين جوت على رأس الجيش الثامن كان خطأ . لم أجمع به قط ، وكان جندياً ممتازاً أبلى البلاء الحسن فى الصحراء ، إلا أنه كان قد أعياه التعب وأصبح فى حاجة إلى الاستراحة . وأقول ذلك استناداً إلى البيانات التى اطلعت عليها .

وصلت إلى مطار القاهرة فى ١٢ (أغسطس) باكراً ، وانجهرت فوراً إلى المناهوز أوتيل فاستخدمت وتروقت ثم مضيت بعدئذ إلى مركز القيادة للشرق الأوسط فى القاهرة . كنت هناك فى نحو الساعة العاشرة وادخلت فوراً عند أو شنلاك . وكان الطقس حاراً ولا تزال

على ملابسى الرسمية فى انجلترا فأرسلت الضابط الملاحق بى لىبتاع لى ثياباً
تصاح للصحرأ .

وأخذنى أوشنلاك إلى حجرة الخرائط ثم سألنى : هل كنت عالماً
بأنه سىغادر مصر . فأجبته نعم . فعرض لى حينئذ خطه الحربية ،
وأساسها أن الجيش الثامن يجب أن يحافظ عليه مهما كلف الأمر فلا
يعرض لى أن يتلف فى القتال . فإذا هجم رومل - وكان ذلك منتظراً -
يجب أن ينسحب الجيش الثامن إلى الدلتا وإن لم يتيسر الاستقرار
فى الدلتا والقاهرة ، فيواصل الانسحاب نحو الجنوب على نهر النيل
أو نحو فلسطين . وكانت الخطط قد أعدت لنقل مركز قيادة الجيش
الثامن نحو النيل .

كنت أصغى مندهشاً وحاولت مرتين أن ألقى سؤالاً فاستشعرت
انزعاجاً من أوشنلاك فلزمت الصمت . ثم قال لى إنه من الواجب
على أن أمضى نهار الغد إلى الصحراء وأقضى يومين فى مركز قيادة
الجيش الثامن لأطلع على الحالة الراهنة . وأصاف أنه لا يزال قائد
الجيش الثامن وإنه كلب رمسدن أن يقوم مقامه ، ولن استلم قيادة
ذلك الجيش إلا فى ١٥ (أغسطس) وهو اليوم الذى فيه يسلم قيادته
فى الشرق الأوسط إلى الكسندر . وكانت رغبته فى أن يتم التسليمان
فى يوم واحد . فإذا ما حدث هجوم من العدو ، فسيزهدب هو بنفسه
إلى مركز قيادة الجيش الثامن ويسترجع سلطته من رمسدن . كنت
مستغرباً كل ذلك وانسحبت حالما تمكنت من الانسحاب بأدب .

فضيت أبحث عن الكسندر وما لبثت أن وجدته فى مركز القيادة

هادئاً ، واثقاً ، بشوشاً كما هو دائماً . فكم كنت سعيداً أن أخدم تحت أوامره : كنا مختلفين في طبائعنا إلا أنني كنت أحبه واحترمه كرجل . فعرضت له فكرتي عن الجيش الثامن ولأنتى أريد أن أوجد له فرعاً احتياطياً مجهزاً بالمصفحات . فوافق مبدئياً ليس أكثر لأنه ما كان قد أصبح بعد القائد الأعلى ، وكان من الواضح أنه لا يمكن مناقشة الموضوع مع أوشنلاك أو رئيس أركانه وهما راحلان معاً . فقصدت رئيس الأركان المساعد ، المأجور — جنرال (اليوم فلدر مارشال) سير جوهن هاردينج كان طالباً في مدرسة الأركان في كبرلي وأنا أدرب فيها وكنت أقدر مؤهلاته الفنية تقديراً عظيماً . فقلت له سبب وجودي في القاهرة مع الكسندر وهو جاهل لذلك السبب ثم عرضت خطتي وطلبت إليه إن كان يستطيع أن يؤلف الفرع الذي يريده من المقطعات المنتشرة في مصر . فإن ٣٠٠ مصفحة شيرمان كانت منتظرة في السويس في ٣ (سبتمبر) آتية من أمريكا ، وهي تكفي لتجهيز الأفواج المصفحة . فوعد خيراً واتفقنا على أن نعود ونجتمع في اليوم نفسه في الساعة ٦ مساءً ويكون الكسندر معنا .

وكننت قد دعيت إلى أن أقضى الليلة في المفوضية البريطانية في القاهرة فدبرت أمرى بحيث اجتمع بقائد اللواء في أركان الجيش الثامن في نهاية الغد الساعة ٩ عند مفترق طرق الاسكندرية ، ليذهب بي إلى مركز قيادة الجيش الثامن .

في الساعة السادسة مساءً رجعت مع الكسندر إلى مركز القيادة

الأعلى للاجتماع بهاردينج ، فابلغنا أنه يمكنه أن يجمع الفرع المطلوب ،
فيكون الفرع العاشر ويؤلف من :

| | | | |
|---|----------------------|---|------------------------------|
| { | المفوج الأول المصفح | { | يحتوى كل فوج منهم على : لواء |
| | المفوج الثانى المصفح | | مصفر ولواء مشاة من الوحدات |
| | المفوج العاشر المصفح | | الفوجية . |

الفوج النيو - زلندى : مشاة ولواء مصفر .

كان على أمر آخر اسعى إليه وهو البحث عن مساعد حربى ثان .
كنت قد اصطفت من انجارت بالسكابتان سبونر من كتيبة نورفولك
الملكية إلا أننا كنا لا عهد لنا بالصحراء لا أنا ولا هو ، فبلغنى أن
جوث كان قد اتخذ ضابطاً شاباً من لواء الفوارس الحادى عشر ولم
يكن فى الطائرة التى كانت تقل جوث عندما قتل وهو الآن فى القاهرة
قدياً الى أنه سيكون الرجل الذى أريد . كان يدعى جوهن پوستون
فعرضت عليه رغبتي وما كان يعرفنى وكان يعتبر جوث بطلاً مثل
غيره من الضباط الشباب . إلا إنه لم يلبث أن أجابنى بالإيجاب .

وكان اخيارى له من حسن حظى فعشنا معاً وقطعنا الطريق
فى ما بين العلمين والالب وقاقلنا فى ١٠ بلدان مختلفة . كنت أحبه
جداً جداً . قتل فى ألمانيا أثناء آخر أسبوع من الحرب .

فى ١٣ (أغسطس) ، الساعة ٥ صباحاً اقلتنى السيارة من السفارة
البريطانية متجهة بي نحو الصحراء .

كان الرئيس المساعد في اركان الجيش الثامن قائد اللواء الجنرال (الآن ماجور - جنرال) سر فرنسيس ده غنغان وكنا صديقين حميمين جمعتنا الظروف غير مرة في يورك أولا حيث كنت ماجور وهو ملازم أول ، ثم في مصر ١٩٣٢ و ١٩٣٣ ثم في قطا (الباكستان) ١٩٣٥ ، وفي سنة ١٩٣٩ إذ كان سكرتير هور - بليشا . كنت أرى فيه ضابطاً ممتازاً ذا مستقبل باهر . وجدته ضعيفاً هزيبلاً ، متشائماً . حاولت أن أكون معه صديقاً أول الأمر حتى أعيد إليه الاطمئنان والامل ثم طالبت إليه أن يطلعني على الحالة .

فأخرج بياناً خطياً كان قد أعده لي فذكرته لى فذكرته لى فذكرته لى دائماً للبيانات الشفهية . فذكر لي كل القصة مع التفاصيل عن العدو وعن الأوامر الصادرة عن أو شنلاك وصارحنى بأرائه الشخصية في الموضوع فتركته يحكى . ثم سأله عن روح الضباط والجنود ، فقال إنها ليست جيدة فدخل في حديث من الأخطاء التي ارتكبت وعما كان ينتظر من القيادة ، ولم أذهب معه بعيداً في ذلك إذ أحسست بأنه يحاول الإخلاص لرئيسه الأول .

وهكذا قبل وصولنا إلى مركز القيادة كنت قد قررت أن أعين ده جنغان رئيساً لأركانى وأطلق له السلطة التامة فنأزر ونحرز النجاح معاً . إلا أنني لم أبح بالأمر له فوراً بل فكرت أنه من الخير أن أصرح بفكرتى أمام جميع ضباط الأركان حتى يميز بذلك موقف ده جنغان ويظهر جلياً الفرق الناتج عن هذا التعيين فيما بين الظروف السابقة لعهدى وتلك التي سيقضيها الجيش الثامن معى .

وما قط ندمت على ما عزمته وقررت . أن جنغان صحتى مدة الحرب كلها وقطعنا جنباً إلى جنب الطريق فيما بين العلين وبارلين ، وكنت ازداد له تقديراً وبه إعجاباً على عمر الزمن . فلقد كان رئيس أركان ممتازاً وانتهى لاشك فى أن يكون قد وجد قبله أو أن يوجد بعده رئيس أركان من طرازه فى الجيش البريطانى .

وفى ما كانت السيارة تسير بنا انتهى بي الأمر إلى اليقين من أنه أصبح الآن بين يدي عاملان مهمان من عوامل النجاح : فورانى الكسندر رئيسى وصديقى يسندنى ويلبى كل طلب منى ما دام ذلك الطالب معقولاً وما دام عملي مكللاً بالنجاح ؛ وإلى جانبي هذا جنغان رئيس أركانى الأمين . والذى بقيت فى حاجة إليه الآن هو أن أؤمن لى قادة وحدات عندهم قدرة فنية ويوثق منهم الثقة التامة .

استقبلنى هناك القائد الحالى للجيش الثامن الجنرال رمسدن . كنت أعرفه منذ كان قائداً لكتيبة همبشير فى فوجى الثامن فى فلسطين سنة ١٩٣٨ - ١٩٣٩ ، كان آنذاك قائد فرقة ممتازاً لم اجتمع به قط من بعد . اطلعنى على الحالة . فسألته عن توضيحات ضرورية فيما إذا حدث اضطراب للانسحاب فلم يجبنى كما كنت اتنى وبدأ لى بجلاء أن الموقف لا يستسيغه العقل بل هو خطر فقررت أن أبشر العمل حالاً .

كانت الأوامر ألا تسلم قيادة الجيش الثامن قبل ١٥ أغسطس وكنا حثيثين فى ١٣ منه ورأيت أنه لا نفع فى مراجعة مركز القيادة الأعلى وأنه من اللازم على أن اتخذ المسؤولية التامة حالاً وبنفسى . فأمرت الجنرال رمسدن بالرجوع فوراً إلى فرعه فبدأ عليه الاندهاش

لأنه كان لا يزال في الواقع القائد الأعلى للجيش الثامن إلا أنه رضح لأوامري ثم أبرقت إلى مركز القيادة الأعلى اتى اتخذت بنفسى قيادة الجيش الثامن فى ذلك النهار ذاته ، ١٠ أغسطس منذ الساعة ٢ بعد الظهر . كان ذلك تمرداً منى ، ولكن ما كنت لأستطيع أن اتراجع فى موقفى . ثم اننى ألغيت كل الأوامر السابقة فيما يختص بالانسحاب ، وقلت أنه لن يكون انسحاب بل نقاتل فى المكان الذى نحن فيه حتى نقتل جميعاً أو ننال الفوز .

واكتفيت بذلك حينذاك ريثما يتسع اطلاعى والتقى ببعض قواد الوحدات . ثم قررت بأن أغادر مركز القيادة بسرعة فى حال إذا ما حصل رد فعل قد يصدر عن مركز القيادة العليا من وراء اتخاذى المفاجئ لقيادة الجيش الثامن . إلا اننى قبل ارتحالى طلبت من ده جنغان أن يجمع الأركان كلها الساعة السادسة مساء لكلمة أريد أن ألقيا . كنت قد اجتمعت برمسدن قائد الفرع الثلاثين فى الجانب الشمالى ، اتجهت إلى مركز قيادة الفرع الثالث عشر على الجانب الجنوبى لاجتماع بالجنرال فرايرج : فدار بيننا حديث طويل وهكذا الأمر مع مرسهاد قائد الفوج التاسع الاسترالى . كانا اثناهما جنديين ممتازين ولا أقول ذلك فقط لأنهما وافقا على خطى من صميم القلب .

رجعت متأخراً إلى مركز قيادة الجيش حيث وجدت الأركان . كان ده جنغان قد جمعهم قرب الخيمة الخشبية التى كانت مكتبي وكانت الساعة السادسة والنصف مساء .

عرفتهم بنفسى وقلت لهم أن أوامر أخرى ستتبع تلك التى تلقوها

فإن الأمر بعدم الانسحاب ، يقتضى تغييراً تاماً فى الخطة الاستراتيجية وبما أنه كان من الواجب علينا أن نقاتل حيث كنا ولا نانسحب فلا بد من أن نمتد إلى مسافة بعيدة فى الورا . فترسل أدوات النقل إلى الورا . وأما ذخائر الأسلحة والماء والحصص تجمع فى الأمام على الجهة .

وقلت أن الأمر بعدم الانسحاب ، يقتضى تقوية الجيش الثامن ولذلك فإن القوى الجديدة الواصلة من إنجلترا وقدرها فو حان ، ستنقل إلى الصحراء هنا بدلاً من أن تبقى فى الدلتا لحفر الخنادق . ثم إنى سأجمع كل الوحدات المفرقة فى مصر وأؤلف فرعاً جديداً هو الفرع العاشر الذى سيكون مصفحاً نصفياً شديداً . فلا يكون ذلك الفرع ليحارب مستقراً فى مكان واحد ، بل يعمل فى جيشنا عمل الفرع الأفريقى فى جيش رومل . ولقد بوشربتشكير ذلك الفوج أما خطة مقاتلة العدو بكتل موزعة ووحدات منتشرة فى الصحراء فستبطل وتلقى . ومنذ الآن ستحارب الأفواج مجتمعة بعضها على بعض . كل فوج باقياً فى كامله .

ثم قلت إننى لا أحب الجوال الذى وجدته فى مركز قيادة الجيش الثامن فالروح لا تكون نشطة فى مكان حزين كهذا وفى ما نحن عليه من الضيق والانزعاج فى العيش . فلا بد من أن يكون مركز قيادتنا قرب البحر . فلتستغل بقوة وعنف ثم نستحم ونجدد بذلك قوانا .

ان أوامر الكسندر بسيطة جداً : يجب أن تتلف رومل وجيشه . ولقد سمعت أن رومل سيهاجمنا عن قريب : فإذا ما أسرع فى هجومه

فنحن في خطر ، وإذا ما تأخر أسبوعاً فنسكون قد أعدنا مقاومة
لأبأس بها . أما إذا تباطأ أسبوعين فسيأتي حثفه وسيأتي حينئذ دورنا
ولسكني لن أهاجم قبل أن نصبح على جانب قوى من الاستعداد وحينذاك
نطرد رومل من أفريقيا .

ولاشك في أنه ، حتى تلك الساعة ، لابد لنا من عمل مرهق فإن
مركز القيادة يجب أن ينقل بأسرع وقت ممكن إلى شواطئ البحر
المتوسط ، قرب مركز القيادة العامة للقوى الجوية فنصمم هناك خطتنا
مع تلك القوى . أما الأمر بعدم استخدام الخيم فهو ملغى : فلمستورد
خيماً وفرشاً وأواني للاندية ولنا من لانفسنا الرفاهية ليكون
عملنا منتجاً .

وفي الختام صارحتهم بأساليبي في الشغل وبكرهي للاوراق الإدارية
والتفاصيل ثم اخبرتهم بتعيين ده جنغان كرئيس أركان الجيش الثامن
فكل أمر يصدر منه كأنه صادر عني ويجب تنفيذه فوراً . هو محطة
ثقتي بوجه مطلق وأقلده السلطة على مركز القيادة كله .

سمع حديثي بصمت تام وكان وقعه في النفوس عميقاً وبدا عند
الجميع شعور بالامل . فالآن كل شيء واضح للاركان : لاغموض ولا تردد .
كان نهاري الأول في الصحراء في ١٣ (أغسطس) نهائياً متعباً . ولكن
لا ضير لأن عملي فيه كان ناجحاً . لاشك في أن التغيير في الجيش الثامن
كان لا يزال في اوائله إلا أنه كان من الواجب على أن أسير بهدوء وحكمة
وحذر خوفاً من مركز القيادة العليا حيث لم أكن محبوباً ولا محبباً .

أما في ١٥ أغسطس عندما يصبح الكسندر القائد الأعلى فسيسير حينئذ كل شيء على ما يرام . هذا وإن ده جنغان كان إلى جانبي يخفف من ثورتى واقدامى حتى مساء ١٤ أغسطس ، وكان جنغان الرجل الحكيم الذى طالما جنبني التهور والاسراع فى العمل فيما بعد .

وفى ليلة ١٣ (أغسطس) وقع بينى وبين ذلك الرجل حديث طويل نافع . كان يتمتع الآن بسلطة واسعة بما رغبه فى ان يقوم اطلاقه على رأيى فى بعض المسائل . كان لابد من ان ابتعد عن مركز القيادة فأغيب عنه ، ف يريد ان يكون حينئذ على اتفاق تام معى

واخيراً استسلمت إلى النوم . كنت قد اعياني "تعب ولكنى على يقين من اننا اصبحنا الآن على طريق النجاح .

لم ألبث ان اتبين بجملاء ، بعد محادثات بينى وبين ده جنغان ، ان كل الدلائل تنبئ بهجوم قريب من قبل رومل ؛ انه يحاول للمرة الأخيرة ان يستولى على القاهرة والاسكندرية ويستقر فى الدلتا واذا فعل فن المحتمل جداً ان يحول مجهودة الاقوى على الجانب الجنوبي ثم يميل إلى اليمين ليراء الجيش الثامن ذلك لأنه لايسعه أن يهمل الجيش الثامن ليصل إلى مصر ، فلا بد له من ان يتلف اولاً ذلك الجيش .

فع افتراض هذا ، كان تصميمى يبدو لى بوضوح فى خطوطه العامة . أما الجانب الجنوبي فسيقوى فى جهة الفرع الثلاثين بواسطة حقول اللغام واسلاك الحديد الشائكة حتى لا يقتضى الدفاع فيه إلا العدد الأقل من الجنود . واذن فلا حاجة لى بزيارة تلك الجهة الآن .

أما الجانب الجنوبي فكان يفرض على شخصاً دقيقاً ، فلا بد من ان امضى إليه بدون ابطاء . ثم اننى كنت بحاجة ماسة إلى قائد جديد للفرع الثالث عشر الموجود فى ذلك الجانب إذ ان احداً لم يعين بعد ليخلف جوث .

فقضيت النهار كله متفقداً المكان فى الجانب الجنوبي وفى محل ملتقى الفرعين وتبينت فوراً أهمية تلى الرويسات وعلم حلفاء وكان هذا التل الأخير مفتاح مركز العلين كله . فإن حلفاء يقع على بعد عدة اميال وراء خط العلين وفى جنوبى — شرقى الرويسات وكان لا دفاع له اذ أنه لم يكن لدينا القوى اللازمة .

كنت قد فكرت طويلاً بما سمعت عن معارك المصفحات فى الصحراء وبدأ لى أن الذى كان يهبه رومل هو أن يدعينا نهاجه بمصفحاتنا ، فيستخدم حينئذ مصفحاته وراء حجاب يشكله خط مدافع ضد المصفحات فيبطل عمل مصفحاتنا ويسيطر بذلك على ساحة القتال . فعزمت على ألا تجرى الأمور على هذه الصورة معى . لن أسمح لمصفحاتنا بالهجوم السريع بل نبقى متمسكين بمركز العلين ونحتل تلى الرويسات وعلم حلفاء ، فنحارب فى المكان الذى نحن فيه ولن نتحرك قوانا وندع مصفحاته تتقدم ضد مصفحاتنا وهى تكاد تكون مطمورة على تخوم علم حلفاء الغربية .

وفى النهار التقيت ، فى الجانب الجنوبي ، بقائد الفوج السابع المصفح ، فيران الصحراء المشهورين . فتجادنا عن هجوم رومل المتوقع

وسأل من عسى أن يرتقى بمصفحاته على رومل . قلت أن أحداً لن يرتقى بمصفحاته على رومل بل سنغير خطتنا هذه المرة وندعه يأتي ويشج رأسه ضد جبهتنا . وكانت الفكرة جديدة بالنسبة إليه — فناقشها مدة طويلة .

وعندما رجعت تلك الليلة إلى مركز قيادتي كان قد نوضح لي تصميم الخطة العاجلة التي سألجأ إليها لتقوية مركز العلين .

وكنيت عازماً على أن أجعل ذلك المركز قوياً بحيث نستطيع أن نباهر بإعداد هجومنا نحن بدون أن نبالي بهجمات رومل مهما كانت .

ان كل التعليمات الواردة كانت تدل على أنه سيهاجم في أواخر الشهر . وكنيت عازماً على أن أباهر ، قبل ذلك التاريخ ، بالاستعدادات اللازمة لمعركة العلين ، وأن أتابع تلك الاستعدادات مهما فعل رومل . فلا بد لنا إذن من أن نكون أقوياء . وأن تكون قوانا متوازنة منسجمة بعضها مع بعض بحيث لا تحدث هجماته وحركاته الاستراتيجية رد فعل أو تغييراً قط في خطتي الهجومية . ثم كان لا بد من أن أكون بالجانب اللازم من القوة بحيث أستطيع أن أصد هجماته بدون أن أضطر إلى توقيف الاستعدادات الرئيسية . كان ذلك هدفي .

تباحثت في الأمر مع جنغان وقررنا معاً أن نطب من مركز القيادة الأعلى أن يرسل على الفور الفوج الرابع والأربعين إلى الجيش للثامن وأن يستقر به بحيث يتمكن من أن يحتل مرتفعات علم حلفا .

وزال اضطرابي أو كاد أن يزول بعد احتلال ذلك الفوج بكامله
للمرتفعات المذكورة ، واحتلاله لها وهو مستتر مخبأ وآسنده المصفحات
(المتجمدة) كما يجب ويليق .

وفيما بعد طلبت فوجاً آخر الفوج الواحد والخمسون ، وكان
قد شرع بالنزول إلى السويس . كان على أن أدع الفوج الثالث
عشر يهتم بنفسه بتفاصيل الخطة الاستراتيجية على الجانب الجنوبي
إلا أن ذلك الفوج لم يكن له قائد في ذلك الوقت . فطلبت من الكسندر
أن هو وروكس من إنجلترا وكان هذا قد خدم تحت سلطتي هناك ، فسلته
قيادة الفوج الثالث عشر فقام بمهمته خير قيام .

أجل أننا لاقينا بعض الصعوبات في مركز القيادة الأعلى عندما
عرض ده جنغان طلباتنا بالتليفون ولكنني اتصلت أنا ذاتي بالكسندر
الذي وافق على كل شيء ولا أدري أن استشار في الأمر أو شلاك الذي
كان مزماً على الرحيل صباح غد .

وهكذا في ١٥ أغسطس وهو التاريخ الذي كان أو شلاك قد عينه
لي لأستلم فيه قيادة الجيش الثامن . كنت الأمر والنهي في ذلك الجيش
منذ يومين ، وفي هذين اليومين قمت بأعمال مفيدة وجهت جيشنا
التوجيه السديد وخاصة أرجعت إليه روح النشاط والحماسة وهذا كان
مهماً جداً

كان قد بقي علينا الآن تصميم خطة ما عرفت فيما بعد باسم معركة
العلين ، ولكن قبل أن أصف ، في بعض وجوها ، إستعدادات تلك

المعركة وتسييرها لا بد لنا من أن نلقى نظرة خاطفة على معركة علم حلفا فإن تلك المعركة نظراً للظروف التي وقعت فيها ، كانت مثال المعركة الدفاعية . وفي رأيي أنا تمهيداً أساسياً لمعركة العلبين فبدون علم حلفا لما كان نجحنا في العلبين عند ذلك الحد من السجال .

قام رئيس الوزارة بزيارة إلى الجيش الثامن في ١٩ أغسطس عند عودته من موسكو فأريته الجهة وعرضت له خططى لصدهجوم رومل أننى أطلعتة على كيف كنت أتصور هجومنا نحن .

قضى الليل معى فى مركز قيادتنا على الشاطئ قرب برج العرب وكانت سهرتنا سهرة السرور وفرح فى نادينا وكان ده جنجان قد إتخذ التدابير اللازمة بحيث يوفر لرئيس الوزراء خمرألاً بأس به وزجاجة كونياك معتقة .

وعند ذهابه فى الغد ، طلبت إليه أن يوقع بإسمه على دفترى المخصص للتوقيعات .

كنت اتخذت قيادة الجيش الثامن فى ١٣ أغسطس وهو يوم تذكاري - معركة بلانهم .

فكتب هذه الأسطر : « وددت لو أن يوم تذكاري بلانهم الموافق اليوم لإبتداء القيادة . يؤمن لقائد الجيش الثامن واجنوده المجد والسعد اللذين هم جديرين بهما ونستو تشرشل .

الفصل السابع

معركة علم حلفا

٣١ أغسطس — ٦ سبتمبر ١٩٤٢

كان من العادة في الجيش الثامن ، قبل وصولي ، أن ينقد المأمورون أوامر القائد الأعلى مدعين بأنهم أوفر اطلاعاً منه على تسيير القتال في الصحراء ولذلك يسمحون لأنفسهم بتبديل نقاط من تلك الأوامر لأدنى سبب ، وذلك حتى في أثناء المعركة ، فأهتمت الجميع أن أوامري يجب أن تنفذ بحذافيرها حسب الخطة العامة التي كنت قد صممتها وأن تلك الأوامر لم ألقها كأسس للمناقشة بل كقوانين بها يتقيد عمل الجميع فالذي كنت أريده الآن هي معركة تبتدىء وتتطور كما كنت أنصور ، وأريدنا معركة تنتهي بالنصر حتى ترجع الثقة بالقيادة العليا إلى قلوب الجنود فالحالة النفسية هذه ما كان يمكن نزاعها إلا بانتصار على رومل و بانتصار سهل لا يكلف الجيش الثامن خسارات جسيمة .

ما كنت أستطيع أن أهاجم أنا . ولذا فكان من اللازم أن يباشر رومل نفسه بالمعركة فيمكنني من أن أنتصر عليه وهذا ما تم في علم حلفا

كانت منظمة الاستعلامات في جيوشي على يقين من أن رومل سيحاول خرق جبهتنا على الجانب الجنوبي ، فيلبي ذلك عدول في الهجوم نحو الشمال إذ تحاول مصفحات رومل أن تتجه نحو مرتفات علم حلفا والرويسات . وكان هذا اعتقادي وعليه صممت خطتي .

كنا مطلعين على تاريخ الهجوم وعلى اتجاهه وقوته . فنظمت قواي على ضوء تلك الاستعلامات .

ركزت الفوج الرابع والأربعين على قمة علم حلفا ومصفحاتي الجنوبي الطرف الغربي لذلك التل . ثم أننى بعد أن تأكدت أن هجوم العدو الأساسى سيتجه نحو قمة علم حلفا نويت أن أنقل المصفحات من المنطقة الموجودة بين غربي القمة ومراكز القوى النيوزيلاندية في خط العامين الرئيسى ، أما وأمرى فكانت صارمة بأن تبقى المصفحات في مكانها ولا تتحرك ، فالمفروض أن يصطدم بها العدو وينكسر وكان من الواضح أن رومل لن يهمل قواي ويتجه توأ نحو الشرق قاصداً القاهرة ، فان فعل لكانت . . . ٤ مصفحة انقلبت على قواه الورائية فالتف جيشه .

وعليه قررت على أن يبقى طرف جانبي الجنوبي قابلاً للحركة والتنقل وأن يمتد الفوج السابع المصفح على جبهة واسعة فيتوارى عن المعركة إذا حدثت ، وإذا ما اتجه جيش رومل نحو اليسار وقمة علم حلفا فان الفوج السابع يتحرس به من الشرق ومن الجنوب ، وفي أثناء ذلك كان هوركس قد وصل من إنجلترا ليتسلم قيادة الفوج الثالث عشر وافهمته أن من الواجب الا يصاب ذلك النوع ، وخاصة الفوج السابع بخسارات

جسيمة ، بل يبقى سالماً على قدر الإمكان للدور المعد له في هجومنا نحن في أكتوبر وأطلعت هوركس على كيف كنت أتصور ذلك الهجوم ، فوافق بحماسة العادية .

وهكذا فإن المعركة وقعت وتطورت حسب الخطه التي كنت صممتهما فإن قوى رومل عندما اصطدمت بمركزنا القوية . أصبحت عاجزة عن كل حركة إذ أننا صليناها ناراً من كل جهة وصوب وأخذ الطيران الحربي يقذفها من عل .

فاضطر الألمان آخر الامر ، إلى الانسحاب . وكان لذلك الطيران التأثير العميق في المعركة ، تحت قيادة مارشال الجو كوينجام ، وصار الجيشان البري والجوى يتآزران منذ ذلك الحين وصاعدأوما كانا يفعلان من قبل أما السبب القوي الذي حمل رومل على الانسحاب فهو القرار الذي اتخذته مارشال الجو تندر في أن يرسل قاذفات التنازل حتى إلى طبريق لنفسها فمنع ذلك رومل من التزود المنتظم بالعتاد والاسلحة والتمط خاصة خوفه أن يقطع عن قواعده الاساسية وعدل عن مواصلة القتال .

أما الهجوم فحدث ليلة ٣١ (أغسطس) ، قليلا بعد نصف الليل كنت قد نمت باكراً كالعادة ويقول ده جنغان أنه رأى من الواجب عليه أن يفيقني ليطلعني على الخبر ، وفيما يقول هو ، يظهر لائننى أجبهه . حسن ! هذا ما أريده ،، ثم تناولت الراحة في الساعة المخصصة عادياً لها . لا أذكر كل ذلك . إلا أنني لا أستبعده لاننى كنت على يقين

من أن النصر لا بد وأن يكون حليفنا إذا ما نفذت خطتي بحذايرها فهمى الوحيد كان أن أنحقق من أن المعركة الاولى التى أقوم بها مع الجيش الثامن ستتطور حسب خطتي الاساسية بالضبط . فعندما بلغنى أن قوى رومل كانت قد اتخذت الاتجاه المنتظر، أمرت بتقدم فى جنوب منطقة الفوج النيو - زلندى لسد الفرجة التى كان العدو دخل فيها إلى مركزنا فكان رد فعله عفويآ : رجع بسرعة نحو حقل ألغامنا من حيث كان قد دخل إلى صفوفنا . فتركناه هناك وأوففت جنودى عن التقدم إذ أنه كان من مصلحتنا أن تترك قواه فى الجانب الجنوبي لا تمكن من شن الغارة القوية التى كنت أنوى عليها فى جانب الجهة الجنوبي . وأذكر أن هوركس كان غير راض بخطتي الاخيرة تلك لان العدو كان لا يزال محتلا بعض مراكزنا وقائماً على مرتفعات تمسكنه من مراقبة حركاتنا ولا سيما حركات فرعه . فأجبت به بأن يحدث هو حقول ألغام جديدة فى ساحة قتاله . وأما وجود العدو فى المرتفعات فكان مساعدة لنا إذ أنه بذلك يصبح مطعاً على كل الاستعدادات التى نتخذها للهجوم فى الجنوب فيصرف انتباهه عن الشمال فنشقلب عليه حينذاك بالضربة القاضية هنا وتكون حيلتنا ناجحة .

وعاب على بعضهم لأننى لم أطارد رومل فى انسحابه وأدفع جيشى الثامن إلى الهجوم عليه . فإن لم أفعل فذلك راجع إلى أن أفراد ذلك الجيش لم يكونوا بعد مدربين على السير الطويل ولم يكونوا مجهزين بالعتاد اللازم لذلك . فالأحرى بنا أن نجبر رومل أن يشن علينا هو نفسه هجوماً ويكون هو بعيداً عن قواعده الاساسية ونكون نحن قريبين

من قواعدنا الاساسية وهذا ماتم في معركة العليين .

وهكذا فإن معركة علم حلفا وقعت وتطورت كما كنت أشاء أنا ولقد قرأت بلذة ، في ١٩٥٥ كتاباً عنوانه « معارك البانزرس » ، ألفه فون ميلنتين الذى كان حينذاك من أركان رومل . يصف المؤلف علم حلفا كما يلي : « هى محور الحرب فى الصحراء والحلقة الاولى فى سلسلة الهزائم على كل الجبهات وهى الحلقة التى أئذرت بستموط المانيا ،

ويمكننى الآن استنتاج بعض العبر من معركة علم حلفا . وأول أمر يبدو هو أن تلك المعركة كانت معركة « جيش » ، فإن قوى الجيش الثامن أخذت آنذاك تنبسط وتتطور بمقتضى خطة دقيقة وكان مركز القيادة محتفظا بالسيطرة التامة على كل أطوار المعركة . مما جعل الضباط والجنود يشعرون بضرورة التوجيه الواحد يسير عملهم ويراقب مصيرهم وبعد معركة علم حلفا رضوا جميعهم أن أكون ذلك الرأس المفكر الموجه ثم أن أفراد الجيش الثامن كانوا مدنيين فى الاصل ولم يكونوا رجالا وقفوا حياتهم للجندية ، فهم أناس يطالعون الجرائد من عاداتهم أن ينقذوا كل شئ حتى شخصية قائدهم ، فلا بد إذاً من أن يكون ذلك القائد ليس رأينا موجهاً بل أيضاً مركزاً انتباه وجاذبية فلا يقدره رجاله فقط بل يحبونه ويتعلقون به . فأخذت ايجول فيما بين صفوفهم واسعى إلى أن الفت انتباههم إلى . ففي معركة علم حلفا ابتدأت ألبس القبعة الاسترالية ، وهى . علاوة عما كنت أسعى إليه ، كانت فعلاً تقيتى ضرر حرارة الشمس . ثم عدلت إلى لبس « البيريه » ، التى اشتهرت بها فيما بعد .

وعندما انتهت معركة علم حلفا ، كتبت إلى صديق لى فى انجلترا .
« إن اجتماعى الاول برومل افادنى جداً . لحسن حظى ، استطعت
أن أعيد النظام المفقود وأصم خططى فى الوقت اللازم ، فما صعب على
أن أهزمه وشعورى هو أنى ربحت الجولة الأولى فى حين أنه هو الذى كان
قد باشر بالعمل . أما الجولة الثانية فسيكون دورى أنا أن أباشر بالعمل .
عدنا إلى الاستعداد لمعركة العليين وكان هناك مسائل لا بد من
الاسراع بمعالجتها قبل الانتقال إلى تنفيذ خطط تلك المعركة .

كنت قد عزمت على أن أركز انتباهى على نواح ثلاث لإعداد
الجيش الثامن للجهود المطلوب منه . وهى القيادة ، والاجهزة والتدريب
وثلاثها فى حاجة إلى شىء من التكميل والاتقان .

اما الأجهزة فما كانت نهمنى كثيراً إذ أنى كنت على يقين
من أن الكسندر سيزودنى حالا بما أشاء منها .

اما التدريب فكان همى الكبير . أن أفراد الجيش الثامن كانوا
أصحاب أجسام صحيحة ، ولكن كان يعدمهم التدريب على فنهم ،
من وراء اهمال الضباط ، ولا سيما أصحاب المراتب العليا منهم . فاخذت
من هذا الوجه ، التدابير الصارمة ، اراقب تطبيقها بنفسى عن كثب
فلا اتردد عن العزل عن الرتبة والوظيفة إذا ما اقتضى الأمر

اما من حيث القيادة والاركان فانه كان لا بد لنروعى الثلاثة قادة
ثلاثة من الطبقة الأولى . كان هر كس موجوداً للفوج الثالث عشر ،

ثم بدلت رمسدا على رأس الفوج الثلاثين بسر اوليفر ليز الذى طلبته من انجلترا . اما الفوج العاشر . وهو نخبة جيشى لانه مؤلف من وحدات المصفحات ضد وحدات البنترس عند رومل فسلمت قيادته إلى رمسدا ، قائد الفوج الاول المصفح فى الصحراء سابقاً ثم طلبت كقائد للفوج السابع المصفح هاردينج من مركز القيادة الأعلى فى القاهرة . واستقدمت من انجلترا قائد اللواء كركان وسلمته قيادة المدفعية ، وهو خير مدفعى الجيش البريطانى وهو الآن الجنرال سرسدى كركان . المكلف بالدفاع المدنى فى الهوم اوفيس . وبعد ذلك عينت القس هيوز كمرشد عام فى الجيش ، فهيوز هو المثل الأعلى للبرشد العسكرى وبقي إلى جانبى حتى انتهاء الحرب . اما الامور الإدارية فسلمت تدبيرها لفائد اللواء روبرتسون ، وهو اليوم الجنرال سربريان روبرتسون ، رئيس اللجنة البريطانية لنواصلات ، وكان يساعده العقيد ميلز جراهام ، فلما تركنى روبرتسون للوظيفة التى ذكرت ، حل جراهام محله ، وبقي معى حتى آخر الحرب .

اما الآن فبعد أن حللت مشكلة القيادة وحدثت التبديلات اللازمة ، أصبحت على اطمئنان تام إلى أن لى . ساعدين صالحين فى المجهود المطلوب منى ، فاخذت اعلى نفسى بان أدرك بسهولة الهدف الذى كان أمامى وهو أن أخرج ظافراً منتصراً من معركة العلبين .

معركة العامين في مورها الأول

١٩٤٤ م



محطة الغزال

سيدي عبد الرحمن

عملية سيور شاج

القوات الأولى
والعناصر الصغرى

القوات
الصغيرة

نيل المكاليه

الفرع ٥

القوات
الصغيرة

القوات الأولى
والعناصر الصغرى

القوات الأولى
والعناصر الصغرى

شاهة صخرة

الدراسة

الخط المدركة ١

عملية ٢

عملية ٣

عملية ٤

منطقة مركزية مدافع غدا بعد
والتي جردت من المدفعية



الفصل الثامن

معركة العلمين

د ٢٣ (أكتوبر) - ٤ (نوفمبر) ،

لا شك في أن علم حلفا كانت قد أخرجتنا في استعدادنا للهجوم الذى كنا نريد أن نشنه نحن إلا أنه كان من الواجب على أن أرجع الثقة بالقيادة العليا إلى أفراد الجيش الثامن .

اما فيما يختص بمعركة علم حلفا فاني كنت قد وعدتهم بانتصار ، وتم ما وعدت به ، فنتج من ذلك عندهم ثقة بي لم تنزعزع فيما بعد .

فالمشكلة الأساسية التي وجدت أمامها بعد معركة علم حلفا كان حلها من الصعوبة بمكان . كنا نواجه قوى رومل بين البحر ومنخفضات قطاره ، على جبهة طولها ٤٠ ميلا ، والعدو متمركز وراء خط دفاعي جد منيع ، تدعاه حقول الغام عميقة وممتدة . وما كان قط جانب مكشوف . فكان يترتب علينا ما يلي :

١ - شق ثغر في خط العدو

٢ — تمرير الفرع العاشر في ذلك النغر إلى مراكز العدو ، والفرع العاشر ذلك مصفح ومؤلف من قوى سريعة الحركة والتنقل .

٣ — مواصلة العمليات الحربية التي من شأنها ائتلاف قوى رومل ائتلافاً تاماً .

فلا بد لتأمين ذلك من هجوم مفاجئ* ، يقتضى عدم اطلاع العدو على نوايانا . فعزمت على تصميم خطة اتوصل بها إلى تضليل رومل وصرف انتباهه عن المراكز التي ستنصب عليها قوانا وعن تاريخ هجومنا عليها وسيرد وصف تلك الخطة فيما بعد .

وأول ما كنا في حاجة إليه قبل كل شيء* هو أن نباشر بهجومنا في ليلة مقمرة ، بسبب اضطرارنا إلى قلع الألغام من أماكنها ، بما يتطلب شيئاً من الضوء في العمل . ومن المعروف أن الليالي المقمرة لا تحدث إلا في مدة محدودة من كل شهر ، وما كنت أرى اننى سأصبح على الاستعداد التام في تلك الفترة من سبتمبر ومن ناحية أخرى ، كل الجيش الثامن والشعب البريطاني ينتظران انتصاراً تاماً ، ووعدت جنودى اننى لن أقوم بهجوم ما لم يكونوا على اهبة تامة من ناحية العتاد والزاد والأسلحة . فأدى بي كل ذلك أن أرجى* المباشرة بالمعركة إلى ٢٤ أكتوبر . فقررت الهجوم في ليلة ٢٣ أكتوبر وأخبرت الكسندر بالامر . إلا أن المكتب الحربى في هوايت هول كان ملحاً على أن أباشر بالعمل في سبتمبر الانسجام مع عمليات حربية يقوم بها الروس ومع انزال الجيوش في افريقيا الشمالية وكان مقررأ في نوفمبر . فقصدنى الكسندر لينا فشنى في الموضوع . فقلت له أنه من المستحيل أن

أهاجم في سبتمبر ولأفليجل محلي واحد آخر . وكنت أرى أن انتصارى في علم حلفا يسمح لى بذلك الموقف الصارم . فأزرنى الكسندر ، وما عدت سمعت بأوامر تفرض على القيام بهجوم في سبتمبر .

بلغنى أنه قد أذيع أن صاحب خطة معركة العلين هو الكسندر . والخبر لا صحة له . فإنتى كنت أنا نفسى اصمم خططى وهذا فيما يختص بالعلمين وغير العلمين ، إلا أنتى اطلع الكسندر عليها دائماً ، فما ما نعى قط فى تنفيذها . بل يدع لى ولاركانى المسؤولية فى ذلك للثقة العظيمة التى كان يشعر بها نحوها . فهو من هذه الناحية خير المثال للقائد الأعلى .

أما الخطة الأولى فوضعها حالا بعد معركة علم حلفا . وغواها أن هجومنا سيكون على جانبي العدو معاً وسيكون ذلك الهجوم على اشدّه فى الشمال حيث يعمل الفوج الثلاثون تحت قيادة ليز . وكانت نيتى أن اشق لى طريقين فى خط العدو الدفاعى وفى حقول الألغام فيمر الفوج العاشر (لومسدن) فيهما ويحتل جزءاً كبيراً من مراكز العدو ثم يقطع عليه مواصلاته لنقل الزاد . فلا بد حينئذ من أن تسرع مصفحات رومل إلى القتال . وكان أملى أنها ستدمر جميعها أثناءه .

أما فى الجنوب فلم يكلف بالعمليات كان الفوج الثالث عشر وهدفه أن يجذب إليه مصفحات العدو ليسهل العمل على الفوج العاشر فى الشمال ، كان عليه أن يفعل ذلك بمساعدة الفوج السابع المصفح شرط أن لا ينال ذلك الفوج خسارات فادحة لحاجتى إليه عند المطاردة ، بعد شق خطوط العدو .

ويلاحظ بسهولة أن خطتي هذه كانت جديدة للحرب في الصحراء، حيث كان يتم الهجوم بشدة في الجانب الجنوبي فيمتد نحو البحر. أما خطتي فكانت تهدف إلى الهجوم لاني الجنوب ولاني الشمال ولكن في الوسط ، فيتسنى لي بعدئذ أن اتجه إلى الشمال أو إلى الجنوب حسبما يتيسر الأمر أماًى . ولم يتقبل مركز القيادة الأعلى خطتي تلك بعين الرضا أولاً وحاولوا الضغط على رئيس أركانى ليحتملى على أن اتركها. إلا أن الكسندر فهم غرضى منها وهو ألا أقلد من سبقنى حتى يكون هجومى مفاجئاً بغرابته ، فوافقنى عليها ودافع عنها معى .

وبعد ذلك أخذت أراقب مناورات الجيش وتمرينه عن كثب فأحسست أنه لم يكن على ما يرام من هذه الناحية لا من حيث الضباط ولا من حيث الجنود وهؤلاء متعلقون بأوائك ، خفت من أن يتطلب هجومى مجهوداً من جيشى لا طاقة له به . ففى ٦ أكتوبر أسبوعين قبل المعركة ، غيرت خطتى . فبدلاً من أن أباشر بتدمير مصفحات رومل كما هى العادة المطردة آنذاك ، قررت أن أصد هجومها وأقف أمامها بتصفحاتى .

وفى أثناء ذلك انقلب على أفواج المشاة الموجودة فى جهاز العدو الدفاعى فأهلكها فوجاً فوجاً بعد عزلها بعضها عن بعض ومهاجمة العدو من الجانب ومن الوراى وقطع الزاد عنه وكان ذلك فى امكانيات جيشى .

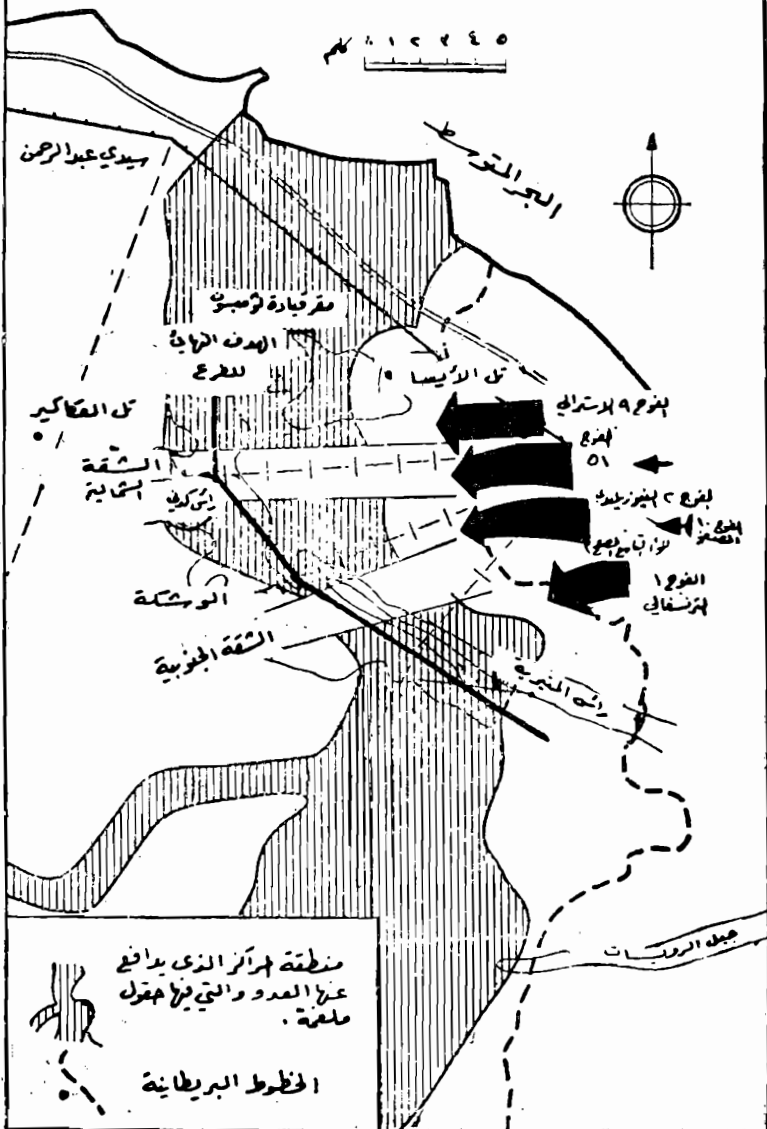
وفسرت أن مصفحات العدو ، فى ذلك الحين ، لن تقف جامدة متفرجة على تدمير الأفواج غير المصفحة ، ، بل تندفع فى هجومات

عنفية، وهذا ما كنت أريده إذ أن خير وسيلة لتدمير مصفحات العدو هو حملها على الهجوم على مصفحاتنا الموجودة والثابتة أمامها ونجاح العملية كان قائماً خاصة على نجاح الفوج الثلاثين في هدفه وهو أن يشق في خط العدو طرقات تدخل فيها أفواج الفلوج العاشر المصفحة . ولذا فإنني عمدت إلى أن أدفع تلك الأفواج حالا في أثر أفواج المشاة من الفوج الثلاثين وقبل التيقن من أن الطرق قد عبدت وأمنت بعد مجرد شقها . وعلاوة على ذلك عزمنا على أن آمر الأفواج المصفحة ، في حال عدم تعييد الطرق في صباح ليلة ابتداء الهجوم ، بأن تنبل هي بنفسها في (٢٤ أكتوبر) وتشق لها الطريق وهي تقاتل مكشوفة وذلك حتى تصل وراء الحدود الغربية لحقول الألغام . والامر هذا لم يحظ برضى الوحدات المصفحة إلا أنني كنت عازماً على أن ينفذ بحذافيره . وسرى بآتني اضطررت إلى أن أتدخل بشدة في الامر من وراء ضعف عزيمة بعض قواد الوحدات .

أما تدمير وحدات العدو غير المصفحة فخطته كانت قائمة على استعلامات بلغت الماجور ويليمس رئيس مصلحة الاستعلامات في أركاني وهي أن رومل ما كان متأكداً كل التأكيد من الجنود الايطاليين فينظم خطة الدفاعي أو الهجومى بحيث يحيط الايطاليين الالمان حتى لا يسرع الايطاليون، إلى اللواذ بالفرار عند شدة المعركة . ومن ثم صار هدفنا الاول أن نفرق الالمان عن الايطاليين فنستطيع بعدئذ أن نسيطر على جهة مؤلفة فقط من الايطاليين ونؤمن لنا النصر في النهاية .

معركة العامين الخطة العامة لجبهة الفرع (٣٠)

١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠ ١١ ١٢ ١٣ ١٤ ١٥ ١٦ ١٧ ١٨ ١٩ ٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٠ ٣١ ٣٢ ٣٣ ٣٤ ٣٥ ٣٦ ٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٠ ٤١ ٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠ ٥١ ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦٠ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠



الخطـة لتضليل العدو

إن غرض تلك الخطـة كان على وجهين

١ - أن نخفي ما أمكن لامر على العدو نيتنا في الهجوم .

٢ - وإذا لم نتمكن من ذلك طويلا ، أن نغشه فيما يخص التاريخ والمنطقة حيث يتم هجومنا الرئيسي مما يقتضى عناينا اخفاء حركاتنا في الشمال والتظاهر بحركات عنيفة في الجنوب وذلك باللجوء إلى حيل ومخاتلات تخدع العدو وتصرفه عن نيتنا الحقيقية . وهكذا دعنا فيما يخص بتورية الزاد والنقط والعتاد الميكانيكى كما اننا تظاهرنّا بمد خط أنابيب في الجنوب مع كل ما يتطلب ذلك الخط من الأجهزة لنحمل الألمان على الظن أن هجومنا سيكون من تلك الناحية وما كل ذلك إلا فاصيل داخلـة في خطـة عامة صممت خداع العدو، وهى خطـة عرفت بلقب « جهاز برترام السرى » ، والذين نفذوها يستحقون كل الثناء على مهارتهم واخلاصهم لأنها كانت خطـة ناجحة .

ثم أن الطيران الحربى كان لابد من أن يكون له الاشتراك القوى في تلك المعركة وكان قائده يريد أن يؤمن له التفوق تدريجياً على طيران العدو حتى يصبح ذلك التفوق كاملا في (٢٣ أكتوبر) . وفى ذلك النهار كان من المفروض على الطيران الحربى أن يقوم بهجمات جوية

ضد مطارات العدو حتى يتلف طيرانه اتلافاً تاماً ويمنعه من عمليات الاستكشاف الجوى . وفى الساعة « دس » ، كان لابد من أن تنصب قوى الطيران كلها على مدفعية الألمان لترغمها إلى الصمت وكان أملي قوياً أن فى (٢٤ أكتوبر) ، قبل الصباح يتمكن طيراننا من مساعدة الجيش فى العمليات الحربية البرية إذ يكون ذلك الطيران قد أحرز حينئذ الفوز التام على قوى الألمان الجوية .

ثم أعطيت أوامر صارمة فيما يختص بمعنويات الجيش وبقيادة الجنود أما فيما يختص بمعنويات الجيش . فصدرت عن مركز قيادتي تعليمات فى ١٤ (سبتمبر) بأن المعركة ستكون شديدة ولربما استغرقت مدة طويلة . فإذا ربحناها ربحنا الحرب ولن يبق علينا سوى تنظيف أفرقيما الشمالية من العدو . ولذا فإنه من المفروض أن تكون معنويات الجنود على أحسنها فيدربون ، منذ الآن على رباطة الجأش والجلد والصبر على المتاعب والمشاق وهم حتى ذلك العهد ليسوا على خير ما يرام من تلك الناحية .

ثم تلا ذلك فى (٦ أكتوبر) توجيهات فيما يختص بالقيادة ذاكرأ أنه يجب ألا نظن أن تفوقنا بالمصنوعات والمدفعية سيؤمن لنا انتصاراً سريعاً ؛ فإن العدو لن يستسلم بالسهولة . ولذا فعلى المشاة أن يقاتلوا ويقتلوا وأن يواصلوا عملهم ذلك مادام فيهم رمق حياة فلا يستسلم أحد منهم كأسير حرب ، كما كان يجرى فى الماضى مما جعل عدد الأسراء وافرأ ضخماً . فلا نياسن من العقاب ما دامت معنويات الجنود حسنة وما دامو مزودين بالعتاد والأسلحة .

وواضح أن لزوم الصمت والتقيد بالسركانا من العوامل الأولى في تأمين النجاح ولحفظ السركان لابد من إلغاء الإجازات إلى القاهرة والاسكندرية . إلا أن ذلك ما كان ليكن إلا تدريجياً فأخذت أطلع القواد أولاً على تاريخ المعركة ثم الضباط المستوائين وأخيراً في ٢١ أكتوبر ألغيت كل الإجازات وطلبت أن يطلع الجميع على تاريخ المعركة ذلك النهار نفسه . إلا المتقدمين في الجهة المتصاين بالعدو اتصالاً مباشراً فهم على خطر مستمر في أن يؤسروا ؛ فهؤلاء يطلعون على الخبر قبل الصباح بقليل في ٢٢ أكتوبر وهو اليوم المعين لابتداء الهجوم والاطلاع على الخبر ذلك ما كان يتم عن سبيل وثائق كتابية ، بل شفها .

ثم أطلعت كل وحدة على الوظيفة المطلوبة منها وجمعت قواد تلك الوحدات جميعهم من قائد الفرع إلى العقيد حتى أحيطهم علماً بتفاصيل خطة المعركة كلها . فإن تلك المعركة كنت أريدها معركة جيش تسير وتتطور تحت مراقبة مركز قيادتي المباشرة ، فمن اللازم أن يطلع كل قائد فرقة على ما كان ذلك المركز قد عينه له من عمل . وقلت للقواد حينذاك أن المعركة ستدوم ، في نظري ، ١٢ يوماً وكان اسم مجموعة تفاصيل الخطة ، ليتفوت ، .

وأخيراً أذعت على أفراد الجيش الثامن جميعهم ضباطاً وجنوداً بياناً أحثهم فيه على الاستبسال وأطلب منهم ألا يستسلم أحد منهم مادام غير مصاب بجراح وقادراً على القتال . ووعدتهم بالنصر

إذا ما قام كل بواجبه ، وكنت على يقين من النصر لأننا كنا الآن على استعداد تام للهمة المطلوبة منا وهي طرد رومل من أفريقيا الشمالية .

في صباح ٢٣ أكتوبر أدليت ببيان للصحافة ، ثم قصدت مركز قيادتي الاستراتيجية المنصوب قرب مركز قيادة الفرع الثلاثين . وفي المساء قرأت كتاباً ونمت باكراً . وحسنا فعلت لأنني كنت على يقين من أنهم سيحتاجون إلى فيجب أن أكون في تمام الراحة لألى الطلبات ؛ وفعلا قصدت وطلبت قبل ما كنت أظن .

في الساعة ١٠.٠٠ مساءً ابتدأت القنابل تقذف من نحو ١٠٠٠ مدفع ، وبأشر الجيش الثامن بالهجوم ، وهو يملك نحو ١٢٠٠ مصفحة . لقد سردت قصة هذه المعركة في كتاب عنوانه : « من العلين إلى نهر السانجرو » ، وعرض لها ده جنجان في كتابه « العملية فيكتورى » . وقصدي الآن أن أذكر ما كان طابع تدخلاتي في أوان الشدة .

يوم السبت ٢٤ أكتوبر

ابتدأ القتال في ٢٣ أكتوبر وفقاً للخطة التي عرضت لها إلا أن الطريقين المفروض شقهما في الشمال لأفواج الفرع العاشر المصفحة ما كان قد تم شقهما عند الساعة ٨ من صباح ٢٤ أكتوبر . وذكرت أن الأمر ذلك إن حدث ، سيتحتم على الأفواج أن تشق الطريقين بنفسها وهي تقاتل . إلا أن قوادها ما كانوا ليظهروا الإقدام اللازم وبدأ لي بعض الفتور في وحداتهم وجميعهم خائفون من خسارة المصفحات . فدعوت لومسدن قائد الفرع العاشر وصارحته بأنني على استعداد لتبديله وتبديل قواد أفواجه المصفحة بغيرهم إذا بقوا هكذا لا حماسة فيهم على العمل . فكان كلامي هذا الوقع الحسن ، إن اللواء المصفح في الفوج الأول استطاع أن يشق طريقاً ونفذ منها نحو الساعة ٦ مساءً إلى مراكز العدو حيث أصبح مكشوفاً عن جانبيه . فانقلب عليه فوج البانزر الخامس عشر ، وهذا ما كنت أريده بالضبط . وفي الجنوب أخذ الفوج النيوزلندي بالاتجاه نحو المنطقة الجنوبية الغربية وياشر بعملية التحطيم والانحلال في مشاة العدو . في الجنوب أيضاً شرع الدوج الثالث عشر يلعب الدور المطلوب منه .

الأحد ٢٥ أكتوبر :

في الساعة ٢٣٠ ورد الخبر من الفرع العاشر أن الفوج العاشر المصفح ما كان يتقدم بسهولة في الطريق التي ابتدأ بشقها في جنوبي منطقة الفرع

الثلاثين . وقال قائد الفوج أنه ليس مطمئناً إلى حمايته وأنه ولو خرج من الطريق التي يشقها فإنه سيصبح في موقف حرج إذ أن فوجه لم يكن مدرباً على عمليات كهذه . وكان لومسدن يميل إلى الموافقة على ذلك . أما الفوج الأول المصفح ، في الطريق المشقوقة في الشمال ، فكان قد نفذ إلى مراكز العدو فانقلبت عليه مصفحات الألمان بهجمات عنيفة كما كنت أتوقع ، فقرر ده جنجان أن يدعو قائد الفرعين العاشر والثلاثين إلى مكنتي . وهنا علمت أن قائد الفوج العاشر كان عازماً على إرجاع وحداته المصفحة من حيث كانت قد وصلت إلى ما وراء حقول الألغام فيذهب سدى كل ما كان قد أصابه من إفادة ، وهو يحاول تعليل ذلك بأن فوجه ستلحق به خسارات فادحة إذ بقي هكذا معرضاً مكشوفاً للجباين — وكان لومسدن من رأيه فطلب مني أن أتصل أنا ذاتي بقائد الفوج العاشر ، ففعلت وملكنتي الدهشة عند ما علمت أنه يوجه سير قواته وهو نحو ١٦ كيلومتراً بعيداً عنها فأمرته للحال أن يتقدم إلى الأمام ويقود قواته في الجهة لامن الورا .

ثم صرحت علناً لقائدي الفرعين ، ليزولومسدن أن خطتي لن تبديل وصرفت ليز واحتفظت بلومسدن ، فصارحته بأن إرادته أن تخرج المصفحات من منطقة حقول الألغام إلى مراكز العدو حيث تعمل حرة منطلقة ، وإذا لم يكن مستعداً هو وقائد الفوج العاشر أن ينفذ أوامري تلك ، فإنني سأبدلهما بغيرهما ، وكان ما أردت . ففي الساعة ٨ صباحاً نفذت مصفحاتنا إلى مراكز العدو ، وأصبحنا في الحالة التي كنت أتمناها في نهار الأمس في الساعة نفسها .

وعند الظهر جمعت قواد الفروع في مركز قيادة الفوج الثاني النيوزلندي وهناك اتضح لنا أن عمالية الفوج النيوزلندي في الجنوب الغربي ستكلفنا خسارات فادحة فعدلت عنها وبدلتها بعمليات من شأنها تحطيم مشاة العدو ، يقوم بها الفوج التاسع الأسترالي في الشمال . والعمالية تلك كانت تقتضى تغيير اتجاه قدره ١٨٠ درجة وهو تغيير لا بد من أن يكون له وقع المفاجأة على العدو ، فيما كنت آمل .

الأربعاء ٢٨ أكتوبر :

كنت عالماً أن الصدمة الأخيرة كان لا بد من أن تقع في جهة الفرع الثلاثين ولكن في هذه الساعة كنت جاهلاً بالموقع بالضبط . إلا أنه من الواجب على أن استعد لها . فقررت أن أسر الفرع الثالث عشر في الجنوب بأن يتخذ موقفاً دفاعياً وأن احتفظ بالفوج النيوزلندي كقوة احتياطية . ثم إن كل قوى البانزرس الألمانية أصبحت الآن في منطقة الطريق التي كنا قد شققناها في الشمال ، فلا سبيل إلى الهجوم هناك إذن ، فحلت تلك المنطقة من الجهة إلى جهة دفاعية واحتفظت بالفوج الأول المصفح كقوة احتياطية . وقررت أيضاً أن استخدم للوقت الحالي الفرع الثلاثين للقتال في الشمال واحتفظت بالفرع العاشر كقوة احتياطية للهجوم . وأخيراً أمرت بتشديد عمليات التحطيم المكلف بها الفوج التاسع الأسترالي ، طالباً الاتجاه نحو الشاطئ . إذ أصبحت ونيقي تنظيم شق جهة العدو ومطاردته في محور طريق الساحل .

الخميس ٢٩ أكتوبر :

كان العدو قد جمع معظم قواه في الشمال ظاناً أن نيتنا أن نهجم في تلك المنطقة ، على الساحل . وهذا كان صحيحاً في الاول ، إلا أننا كنا انتهينا الآن من فصل الالمان عن الإيطاليين . فأصبح الالمان في الشمال والإيطاليون في الجنوب ، والخط الفاصل بين الفريقين يقع بالضبط شمال الطريق التي كنا قد شققناها في الشمال .

فغيرت خطتي فوراً وقررت أن أحدث صدمتي على نقطة الاتصال تلك ولكن مع جانب أقوى من العنف على الجبهة الإيطالية . وقررت ذلك في ٢٩ أكتوبر ، الساعة ١١ .

ولكن متى يكون تنفيذ قرارى الاخير ذلك ؟ كنت عارفاً أن العملية الحربية تورش المصممة في إنجلترا ، تطبيقها هي انزال الجيوش في ٨ نوفمبر في منطقة كازابلانكا - أوران . فمن الواجب علينا إذن أن نهزم عدونا وننلف جيشه في الوقت المناسب للمساعدة على تحقيق العملية الحربية ، تورش ، هذا علاوة على رغبتنا الشديدة في أن نصل إلى طرابلس الغرب ، وفي استيلائنا على مطار مرطوبا لحماية السفن الحاملة النفط والأجهزة إلى مالطا .

فقررت بأن الفوج التاسع الاسترالى سيهجم بشدة نحو الشمال ليصل إلى البحر وذلك في ليلة ما بين ٣٠ و ٣١ (أكتوبر) مما يحمل العدو على تركيز انتباهه في الشمال ثم في الليلة التالية ، من ٣١ أكتوبر إلى أول نوفمبر أشق فرجة عميقة في جبهة العدو ، شمال الطريق التي

شققتها أولاً بالضبط والفرجة هذه سيشقها الفوج الثانى النيوزلندى يساعده اللواء التاسع المصفح ولواء مشاة ، والعملية كلها ستكون تحت إشراف الفرع الثلاثين ، ثم د فى الفرجة المفتوحة يمر الفرع العاشر مع أفواجه المصفحة ، وقوام خطى تلك هو أن أحمل بضربة قوية - إلى اليمين ، أردفها فى الليلة التابعة بضربة قاضية على الشمال د وكان اسم لعملية بكاملها : سوبرشارج .

فى الصباح وصل إلى مركز قيادى الاستراتيجى الكسندر وده كازى ، وهو وزير دولة فى الشرق الأوسط ، وهما موفودان من قبل هو ايتها للاطلاع على الأسباب التى دفعتنى إلى الاحتفاظ ببعض القوى الاحتياطية فى حين أنه كان يبدو من اللازم رى القوى كلها فى المعركة .

مما حمل بعضهم على الظن أن نيتى الانسحاب فى حين كنت على وشك الانتصار .

فأوضحت خطتى كلها ووافق الكسندر . وما علمت قط ، فيما بعد . ماذا أبرقوا إلى هوايتها إلا أنني كنت على يقين من رأى بروك فى .

الجمعة ٣٠ (أكتوبر)

قضيت الصباح أدون توجيهاتى فيما يختص بعملية د سوبرشارج ، كُنت أكتب أنا بنفسى ولا أدع شيئاً للأركان ، تاركاً لها هم تنظيم التفاصيل للخطوط العامة التى أسلها لإياها .

فدونت إرشاداتى من حيث التعليمات العامة التى كنت أريد الجيش الثامن كله أن يتقيد بها .
ثم من حيث عمل الفرع الثلاثين والفرع العاشر .
ثم حددت العمل المتوافق فيما بين الفرع العاشر والثلاثين .
ثم عينت العمل للفرع الثالث عشر وللعموى الاحتياطية وللطيران الحربى الملكى .

السبت ٣١ (أكتوبر)

رأيت أن العمليات اللاحقة « بالسوبر شارج » قد تكون نتيجتها الفشل إذا ما هاجمت فى تلك الليلة . فوفقا لذلك قررت فى أن أرجى الهجوم إلى الليلة فيما بين أول وثانى (نوفمبر)
وكان من شأن الإرجاء ذلك أن يفيد العدو ، فقررت مد الشقة التى كنت قد أحدثتها فى جبهته إلى بعد ٢٠٠٠ متر ، حتى لا أترك له مجالا للراحة .
ولابد لى من أن أضيف أن السلطات العليا أخذت تشك فى حسن عاقبة خطة « السوبر شارج » ، وتتوقع فشلا من ورائها .

الاثنين ٢ (نوفمبر)

ابتدأ هجوم خطة « سوبر شارج » فى الساعة ١ بعد نصف الليل . على جبهة وسعها ٤٠٠٠ متر . أحرزنا نجاحا باهرا ، عند الليل كان بين يدينا ١٥٠٠ أسير .

الثلاثاء ٣ (نوفمبر)

كل شيء يدل على أن العدو على وشك الانسحاب والهزيمة .

الأربعاء ٤ (نوفمبر)

في الساعة ٢ بعد نصف الليل حلت ضربتين قاضيتين في منطقة الشقة التي كنا أحدثناها وحيث كان العدو يحاول أن يمنعنا عن توسيعها . وكان ذلك خاتمة المعركة .

فانطلقت المصفحات في مناطق لا ألغام فيها وأخذت تنصب صباً على وراء العدو وعلى قواه المتقهقرة . تتقدمها المصفحات الفرنسية .

أما في الجنوب فإن القوى الإيطالية ما كان يسعها إلا أن تستسلم لأن الألمان كانوا قد انتزعوها كل ما كانت تملك من أدوات نقل ومواصلات .

فكلفت هروكس بأن يجمعها ، وصرفت أنا اهتمامي إلى مطاردة قوى رومل المهرولة نحو الغرب .

عمل مصلحة الاستعمالات

هي منظمة الغاية منها تبليغ التعليمات الواردة من الوحدات المتقدمة إلى مراكز قيادة الجيش وقيادات الفروع المختلفة . وكانت تعرف تلك المنظمة بالحرف د ج ، وبخترعها ضابط ممتاز من أركان اسمه هيومج مينوارينج أسر قرب مرسى مطروح في ٢ (نوفمبر)

والتعليقات تلك تنقل بواسطة اللاسلكي فتطاع القائد الأعلى على حالة الجنود ومعنوياتهم وتشد الروابط فيما بين أفراد الجيش كله ،

بعض العبر : صارت معركة العلمين على مراحل ثلاثة تطورت العمليات الحربية بمقتضاها .

أولاً : الهجوم وكانت الغاية منه الحصول على التفوق الاستراتيجي حتى نستطيع أن نستقر فيما بعد وتندسجم قوانا بعضها مع بعض ، فنتمكن حينئذ من الانتقال إلى المرحلة الثانية .

ثانياً : التصارع العام وهي مرحلة عنيفة دامية ، الغاية منها تصديق قوى العدو فنتمكن بعدئذ من الضربة القاضية التي يتم بها تحطيم جيشه

ثالثاً : الفرجة وهي نتيجة ضربة قاضية في منطقة اخترتها أنا في خط العدو . ففي أثناء القتال ظن العدوان تلك الضربة ستكون في الشمال فجمع الألمان هناك وترك الجنوب للايطاليين خمنتها على النقطة الفاصلة بين الفريقين مع التشديد فيها من ناحية الايطاليين فكان ما كان ونجحنا راجع إلى أنني ثبت على خطتي وما تزعزعت قط عما ضاعف في حماسة جيشي واندفاعه في القتال .

إن مصير رومل قرر في علم حلقا ، فهناك كان محور الحرب كما كتب فون ملتسن ، ثم سحق رومل في العلمين .

إن رومل ، ولو كان قد حدث له أن ينفذ زاده ، ما كان قد هزم قط ، أما الآن فإنه قد حطم تحطيماً ، وقضى على الألمان والايطاليين في أفريقيا .

الفصل التاسع

من العلبين إلى تونس



هـ (نوفمبر ١٩٤٢ - ٧ (مايو) ١٩٤٣

المطاردة نحو آجیلا

ابتدأت المطاردة الحقيقية في هـ (نوفمبر) مع الفرع العاشر في الإمام . أما الفرع الثلاثين (ليز) فتركته يرتب في الغرب المنطقة حيث كانت الفرجة . واما الفرع الثالث عشر (هروكس) فكان عمله تنظيف موقع معركة العلبين وجمع عتادنا وعتاد العدو الحربى ، مع لم الاسرى الايطاليين الذين كان عددهم وافراً .

وغايتى القصوى كانت طرابلس الغرب وهى ابدأ ودوماً هدف الجيش الثامن إلا أنه كان يقف دائماً عند بنغازى ويرجع القهقرى امام هجومات رومل . أما انا فكننت عازماً على ان انهى كل شىء واؤمن مصر من شر العدو مدة الحرب كلها . فعندما ابتدأت المطاردة اتضح لى اننى لن ادرك غايى ما لم أعمل بما يلى :

الاستيلاء على مركز آجیلا وتحصينه من الغرب .

ج) انزال فرع مصفح بقوة في الجبل في جوار مكيلي ، وهو فرع مروض على القتال نحو الجنوب ضد كل قوة من العدو تحاول المرور في مركز اجيلا للدخول إلى مصر .

ح) الحصول من قيادة الجيش الجوى على ان يتواجد طيران الصحراء الحربى في مطارات مرطوبة ، وفي جنوب بنغازى .

فلتسير هذه العمليات الحربية اتفقت مع القائد الأعلى لطيران الصحراء الحربى ، كوننجام على الخطة المفصلة التالية : تكون المساعدة قوية بين الطيران وألوية المدرعات . فالمدرعات تدل قوى الطيران المطارد على المطارات الممكن استخدامها بعد الاستيلاء عليها ، وذلك في مكان بعيد عن معظم الجيش المطارد فتمكن الطائرات من أن تحط على تلك المطارات وتتابع مطاردها . وغاية العملية المشتركة تلك ان تتحرش قوانا بالعدو وتنبهه عن كشب في حين أن الطيران يحمىها في مطارتها .

وما كنت أظن أننا سننصطدم بدفاع جوى قبل أجيلا . فلا شك في أن رومل سيعسكر هناك ويحاول توقيفنا . وحينئذ يكون هو على قرب من قواعد تموينه ونحن على بعد من قواعد تمويننا وهو عكس ما حدث في العلبين .

ولذلك قررت أن أدعو الفرع العاشر يتابع المطاردة حتى الجبل فواقفه هناك وأمره بأن يواصل سيره نحو بنغازى واجدابيا شرط أن تواصل ذلك السير قوى خفية من فرعه . ورأيت أن لومسدن سيسطيع

أن يقوم بتلك المهمة . فأكلف حينئذ الفرع الثلاثين بالهجوم على مركز أجيلا وبابتداء السير نحو طرابلس الغرب . وقررت أيضاً أن أسلم قيادة الفرع العاشر لهر وكس إلى أن يستقر ذلك الفرع في الجبل ، وأن أرسل لومسدن إلى انجلترا لعجزه عن قيادة فرع في معركة كبيرة وطلبت دمبسي من انجلترا ليحل محله . وهكذا أصبحت مطمئناً كل الاطمئنان إلى قيادة فروعي الثلاثة ، وأنا أعرف معرفة تامة بمقدرة قوادها وهم ليز، هوروكس ودمبسي . ووافق ألكسندر على التبديلات هذه كلها .

بلغت لومسدن التعليمات اللازمة لمطاردة العدو وحتى أجيلا ، وأشرفت إشرافاً دقيقاً على تسيير العمليات خوفاً من أن يحدث بمض القواد تغييرات يرونها موافقة للظروف وطالما كان يحدث ذلك فيما سبق فكذلك نخسر مصر بسببه --- فأفهمت لومسدن أن كل الوحدات يجب عليها أن يتقيد بخطى هذه المرة . كنت قد وعدت الجنود بنجاح تام ، وكنت عازماً على أن أقوم بوعدي .

وقليلاً ، بعد ابتداء المطاردة ، كدت أفزع أسيراً بين أيدي العدو . إلا أنني نجوت وتطورت العمليات على خير مايرام ، ولم ينج جيش رومل من الهلاك التام بفضل المطر الذي هطل مرتين ، مرة منهما في مرسى مطروح حيث كدنا نحيط به من كل جانب ونملك عليه بأسره .

ومهما كان من أمر ، فإنني كنت أدفع الجيش الثامن بقوة إلى الأمام دوماً حتى ١٧ نوفمبر فاجتاز ٥٦٠ ميلاً في ١٣ يوماً . إلا أن

الحالة الإدارية أخذت تقلقني حينذاك . ذلك لأن القوى الجوية الموجودة في مرطوبا كان عليها أن تشن الغارات الجوية على الطرق البحرية لتأمين رومل ، وعلى طرابلس الغرب وعلى خطوط مواصلات العدو فيما بين طرابلس الغرب وأجیلا . والعمليات تلك تتطلب زادا من النفط لا يستهان بضخامته ، لا نستطيع أن نعد الطيران الحربي به من مستودعاتنا التي كنا في حاجة ماسة إليها إذا كانت نية رومل أن يكون موجوداً في أجیلا فيضطرنا إلى مقاتلته فيها لنزعها منه . ومن ناحية أخرى ما كنا لنستطيع أن نستغنى عن مساعدة الطيران الحربي : فإنه في غاراته البعيدة المدى كان يسهل على الجيش عملياته .

ومهما كان من أمر فإنني في ١٢ نوفمبر بعد طرد العدو ، من مصر ، إنني أقول أذعت على الجيش الثامن بياناً أبشره فيه بالأمم وأطلعته على خسارات العدو . فإن جيش البانزرس الألماني قد فني . وهكذا أيضاً الفروع العشرون والواحد والعشرون والعاشر الإيطالية ، وكان عدد الأسرى يربو على ٣٠٠٠٠ وبينهم ٩ قواد . وأثبتت في نفس البيان على الطيران الحربي وتأثيره الفعال في تأمين انتصارنا . وأضفت بأنه من الواجب علينا ألا نكتفي بطرد الألمان من مصر ، بل يجب أن نواصل مطاردتنا حتى نطردهم من أفريقيا الشمالية كلها . وكان يدل توقيع بياني ذلك انني كنت قد عيذت قائداً .

معركة أجیلا : ١٣ - ١٧ ديسمبر ١٩٤٣

وفما كنا نقرب من أجیلا أخذت أحس عند أفراد الجيش الثامن

بشيء من الاضطراب والقلق . فانهم لاشك كانوا يتساءلون هل يحدث لهم أم لا ما كان يحدث لهم سابقاً أى أن يصلوا إلى أجيلا سم يرجعون على أعقابهم مهرولين أمام جيش رومل الذى يتتبعهم . فرأيت أن أهاجم المركز حالا وألا أبتاطاً حفظاً لمعنويات جيشى وقررت بأن أحتال على رومل ولا أزال أنحرس به حتى يظن أنه إذا قبل القتال فهو لا بد خاسر .

أجل إن المركز كان صعب الاحتلال ولكن جيش رومل هو أيضاً ، كان لا معنويات له وهو فى انسحاب مستمر منذ اساييع وقد اجتاز فى انسحابه ١٠٠٠ ميل ، هذا علاوة على أن الطيران الحربى كان يتتبعه من مكان إلى مكان بلا شفقة ولا هوادة ، فلا يصل إلى مركز إلا ويفكر بالفرار إلى المركز الذى وراءه ، كما كان الأمر للجيش الثامن سابقاً فقررت حينئذ أن أهاجم وأن أوجه هجوى لا من ناحية الجنوب بل من ناحية الغرب حيث الساحة أشد موافقة لنا ، وذلك بعد إرغام رومل من الخروج من أجيلا وقررت أن يكون الهجوم فى القريب العاجل مادامت معنويات الجيش الثامن لا بأس بها .

فان الفرع الثلاثين كان قد حل الآن محل الفرع العاشر ، فتفقدت المركز مع ليز فى آخر أسبوع من (نوفمبر) وأطلعته على أوامرى تاركاً التفاصيل كلها لمهارته فى تسيير العمليات الحربية . أما طابع الخطة الخاص فكان زحفاً يقوم به فريبرج مع جنوده النيوزلنديين حول جانب العدو الجنوبي نحو مركز يقع فى شمال مراده ، ومن هناك تبتدىء

عملية حربية ضد قوى رومل الوراثة ، وكل ذلك يتم في وقت واحد مع هجوم جبهى يشنه الفوج الواحد والخمسون (هابلند) والفوج السابع المصفح . أما تاريخ ابتداء القتال فعينته ل ١٥ (ديسمبر) .

ثم ذهبت إلى القاهرة للاجتماع بالسكندر لأعرض عليه خطأ أخرى وكنت أريد أيضاً أن أبتاع ثياباً وأجدد هندامى . فنزلت هناك في المفوضية البريطانية في القاهرة حيث شعرت ، بشئ من الغرابة ، لأننى أصبحت رجلاً مشهوراً .

عند رجوعى إلى مقر قيادتى ، وجدت الاستعدادات للهجوم على أجيلا متقدمة والعدو منهاراً أعصابه بعض الشئ . فانه كان قد ابتداءً أن ينقل إلى مركز بويرا (وهو أقرب مركز صالح للدفاع فى الورا) . فقررت أن أسبق بيومين التاريخ الذى عينته للهجوم .

وسار القتال على خير ما يرام إلا أن النيوزلنديين كانوا قد أسرعوا فى تتبع العدو فتسربت أسراب البانزرز بينهم وبين الفوج السابع المصفح الذى كان يتقدم بشدة . وكان عراك عنيف أخذ فيه الأسرى ثم استرجعوا من الجانبين فى يوم ١٦ (ديسمبر) . وأخيراً استطاع جيش البانزرز أن ينجو متجهماً نحو الغرب بعد أن كبده النيوزلنديون الخسارات الفادحة بمساعدة الطيران الحربى .

فأمرت الفوج النيوزلندى بأن يتوقف ويتنظم فى نوفيليا وألحقت جيش رومل بقوى خفيفة استمرت تتصل به حتى مركز بويرا حيث كان محصناً تحصيناً منيعاً . وهكذا انتهت معركة أجيلا التى وقعت بين

أيدينا ، ثم نقلت مقر قيادتي التكتيكي إلى مربل أرتش قرب مطارات
مردونا ، في جوار مقر قيادة الفرع الثلاثين فمن ذلك المكان المتقدم
كنت أستطيع بسهولة أن أوجه عمليات درس موقع بوريا لتصميم
خطة التقدم نحو طرابلس الغرب .

عيد ميلاد ١٩٤٣ في الصحراء

كنا الآن في بلاد طرابلس الغرب ، على بعد ١٢٠ ميل من العلمين
حيث ابتدأنا نسير . كان رومل قد هزم هزيمة قاضية .

فرأيت أن الجيش الثامن كان في حاجة إلى الراحة حتى يستعيد
قواه للوثبة النهائية على طرابلس ، فأمرت الجنود أن يتوقفوا عن القتال
حيثما كانوا وأخبرت الجميع أنهم ان يرجعوا إلى القتال إلا بعد عيد الميلاد ،
وأنا سنقضى ذلك اليوم المجيد بالهناء والسرور على قدر ما يتيح لنا
الصحراء ذلك . واستوردت من القاهرة الاطعمة المألوف لإعدادها
لذلك العيد ، وأخذت الأركان التدابير اللازمة حتى يصل كل شئ في
الأوان اللازم .

ثم أذعت على الجيش الثامن بياناً أثنى فيه على أفراده للعمل الجبار
الذى قاموا به منذ ٢٣ (أكتوبر) وأهنئهم جميعاً بعيد الميلاد ، وأذكر
لهم كتاباً كان قد بلغنى من فتاة في اليوركشير كان حبيبها بينهم وهى تمنى
لنا جميعاً الفوز النهائى قبل عيد الميلاد ١٩٤٣ .

وسررت جداً بقضاء ذلك العيد في الصحراء وهكذا كان الجميع

فما أظن . نسينا المشاق والمتاعب بعد انتصاراتنا ، ومعنوياتنا على خير مايرام

ذكرت أن الجيش الأول (اندرسون) كان قد أنزل في الجزائر في ٨ (نوفمبر) وأخذ يتقدم نحو بيزارت وتونس . وكان هدفه بعد الاستيلاء على هذين الموقعين ، أن يتجه نحو طرابلس فمن ثم التساؤل في من يكون الأول في طرابلس الجيش الثامن أو الجيش الأول ، وأن يتصور الناس أن جيشاً غير جيشهم كان من المحتمل أن يستولى على طرابلس قبلهم كان يثير السخط في قلوب بواصل الجيش الثامن . إن طرابلس كانت ، مدة ثلاث سنوات ، هدفهم الوحيد ، ولن يدعوه يفلت من بين أيديهم هذه المرة .

إلا أن حربنا وحرب تونس كانت تتقاربان الآن فلا بد من سلطة عليا واحدة تضبطهما وتوجه حركتهما في آن واحد فلا تسيران كل من ناحيتها . فالذى كنا في حاجة اليه هى قيادة عليا واحدة . وليس لجنة مؤلفة من عدة أفراد يكون فيها لكل رأيه .

أما رأى أنا فسكان أصح الطرق لأخذ طرابلس هو أن يسير الجيش الثامن إلى الأمام بمساعدة الطيران وأن يعد كل شيء لنجاح المسعى هذا ، لاشك في أن عمليات الجيش الاول الحربية سهلت علينا مجيئنا . إلا أن تقدم الجيش الثامن المستمر إلى الأمام هو الذى أنقذ الجيش الاول من كارثة عظيمة .

التقدم نحو طرابلس - ١٥ - ٢٣ (يناير) ١٩٤٣ :

بعد أن انتصر العدو في بويرا صممت الخطوة التالية لاختذ ذلك الموقع .

ما كنت أريد العدو أن ينسحب من جديد بل أن يقاتل في مكانه فأطوقه من الجنوب . ولذا فإنني تركت معظم القوى المعدة للهجوم على بعد ١٠٠ ميل وراء الجبهة وتصرفت بشكل أن تكون المرحلة الاولى من تقدمنا كحركة اصطدام جيش بجيش .

إن خطتي للهجوم على بويرا كانت الغاية منها أن أسير توأ إلى طرابلس من دون أن يستطيع العدو أن يمنعنا ويوقف سيرنا .

فالسرية كانت العامل الأساسي وهذا ما يتطلب زادا غير قليل من النفط وأدوات الحرب الأخرى وكانت قواعدنا التموينية في بنغازي وطبروق وهي بعيدة عنا ، فلا بد من محطة تموين أخرى بينهما . أكد لي الأركان أن إحداث تلك المحطة يستغرق مدة حتى ١٤ (يناير) . فقررت أن أهاجم في الـ ١٥ منه .

وكننت عالماً أنني ما لم أصل إلى طرابلس في عشرة أيام ، لا بد لي من الرجوع على أعقابى بسبب نفاد الزاد . ومن ثم كان من الضروري أن تتمكن من أن نستخدم مرفأ طرابلس حال وصولنا ولا ندع للعدو المجال لحدوث أى خراب فيه . فأصبحت خطتي أن أنتظر ١٤ (يناير) لانهى من هم تمويني ، ثم أثب على العدو بقوة في صباح الـ ١٥ : منه فأسير توأ إلى طرابلس وأصل إلى تلك المدينة في عشرة أيام . ولا يخفى ما كانت شدة خطر تلك العملية .

وفي ٤ (يناير) هبت عاصفة على البحر المتوسط وحدثت في مرفأ بنغازي خراباً جسيماً ، وأصبحت السفن لا تستطيع الارسة فيه وذلك

حتى ١٢ (يناير) . فما العمل ؟ ما كان يمكننا الاعتماد على طبروق كمرافأ يصل إلينا عن سبيله زادنا وعتادنا ، إذ أنه يبعد ١٠٠٠ ميل عن طرابلس ، وأخذ مقر القيادة الأعلى في القاهرة يضطرب ، فسألني إن كنت دائماً على نية الهجوم في التاريخ المعين سابقاً أم لا . فقررت ألا أغير شيئاً في خطتي بل طلبت من أفواج الفرع العاشر الثلاثة وهو فرع هروكس أن يتركوا الجبل وجوار مكيلي حيث كانوا وأن ينقلوا لنا من طبروق وبنغازي الزاد والعتاد اللذين نحن في حاجة إليهما فرضي هروكس وقام بمهمته بنشاط يستحق كل الثناء . فأذعت على الجيش الثامن بعد ذلك بياناً فيه أطلعهم على نيتي في الزحف على طرابلس وهي لا تزال إلا على بعد ٢٠٠ ميل عنا وأطلب منهم أن يبلوا في تلك المرحلة الأخيرة البلاء الحسن الذي كان منهم حتى الآن .

وابتدأ الزحف ١٥ (يناير) وسار على خير ما يرام وأصبحنا ، في ١٩ (يناير) أمام مركز حصص — طرهونا ، وعنده أبدى العدو محاولة في أن يكون خط دفاع . ثم تحاذل الفوج الـ ٥ وأظهر بعض الفئور والتعب فاتصلت بقائده وقلت بعض كلمات عنيفة ، وعادت حركة القتال إلى شدتها الأولى فدخلت قوائماً المتقدمة طرابلس في ٢٤ (يناير) ١٩٤٣ ، الساعة ٤ صباحاً ، ثلاثة أشهر بالضبط بعد ابتداء معركة العلبين .

الجيش الثامن فى طرابلس

رأيت أن وجود الجيش قرب مدينة مثل طرابلس كان خطراً . فإن القصور والمنازل الفخمة وضعت تحت تصرف الضباط وعرضوا على قصر الحاكم الايطالى فرفضت ، ثم منعت الضباط من أن يسكنوا فى المنازل فى المدينة بل أذعت الأوامر بأن يبق أفراد الجيش جميعهم فى الخيمات ، فى الصحراء ، خارج طرابلس . فإن الجيش الثامن كان لا يزال فى حرب ، وما كنت أريد أن يتعود جنودى على الرفاهية والرخاء بل يبق على حماسه وإندفاعه .

وبعد ذلك سرت مع ليز إلى المدينة وتجاوزناها إلى شاطئ البحر لتناول أكل العصر وللاستحمام . جلسنا نتحدث عن الماضى والمستقبل إذ كنا صديقين حميمين ، وكان ضباط حاشيتنا جالسين فى جوارنا على الرمل وهم يتحدثون أيضاً فيما بينهم . فسألته عما عسى أن يكون موضوع أحاديثهم ، فأجابنى أنهم ولا شك يتساءلون فيما عسى أن تكون نساء طرابلس وكنت على يقين من صواب جوابه فقررت أن أبعد الجيش عن طرابلس فى أسرع وقت ممكن .

وبلغنى الخبر ، بعد يومين من وصولنا أن مواد الطعام فى طرابلس ما كانت موفرة التوفير اللازم ، فأصدرت الأوامر بمنع أفراد جيشى عن أن يبتاعوا طعاماً قط من الحوانيت والمحلات الطرابلسية ، بل يكتفوا بالحصص المخصصة بهم هذا فيما عدا الشاى الذى سمحت بشرائه وبلغت أصحاب المطاعم أوامرى تلك . والتدابير هذه اتخذتها كلها منعاً

للاضطراب والفتن التي ربما حدثت في حال مجاعة فتكون فرحة اللامان في أن يستعيدوا تفوقهم علينا ، هذا علاوة على أن دعاية العدو لن تسكت في حين حدوث مجاعة في طرابلس بل تستثمرها لغاياتها ومآربها.

في ٣ و٤ (فبراير) قام رئيس الوزارة ورئيس الأركان الحرية الامبراطورية بزيارة إلى طرابلس . فاستعرض وحدات من الجيش الثامن وبدا التأثير ظاهراً على وجه تشرشل وكتب أن أجد نفور بقيادة رجال كهؤلاء البواسل . وطلبت إلى تشرشل أن يوجه إليهم بعض كلمات ففعل . وغوى خطابه أن جنود الجيش الثامن ، منذ العلين ، أخذوا يتقربون كل يوم من وطنهم ، وأنهم إذا ما سئلوا بعد الحرب ، ما الذي قاموا به من مهمات ، يستطيعون أن يجيبوا فقط : « كنا في الجيش الثامن » .

كان همى الاول ، حال وصولي إلى طرابلس ، إصلاح المرفأ لاستخدامه كقاعدة لاستيراد ما قد نحتاج إليه من زاد وعتاد ، فيمكننا بعد ذلك أن نستغنى عن طبروق وبنغازي. وتم لي ذلك بمساعدة البحرية فدخل أول مركب مرفأ طرابلس في ٣ (فبراير) ووصلت إليه الذخيرة الاولى في ٧ منه .

كنت أتوقع أن تكون أقرب معركة ندخلها على خط مرث وستكون تلك المعركة عنيفة . فالمركز منيع للاستيلاء عليه . كنت أرى أنه لا بد من تطويقته من الجانب الغربي . فنويت أن استخدم النيوزلنديين لتلك المعركة وارسات قوى لاستكشاف الموقع قبل عيد

الميلاد ، عندما كنا لا نزال في اجيلا ، أى ثلاثة أشهر قبل معركة مرث . ففى اثناء تلك الفترة كان علينا ان نظارد العدو إلى ذلك المركز حتى نتمكن من الاستكشاف عنه ، وأن نسيطر على مفترقات الطرق .

فما استخدمت لتلك العملية ، فى بادى الامر ، إلا الفوج السابع المصفح ، ثم أخذت أقوى المنطقة المتقدمة حيث أرسلت الفوج الحادى والخمسين ولواء مدرعات آخر . وفى آخر (فبراير) أصبح مرفأ طرابلس صالحاً لارساء السفن ويصل إليه كل يوم ٣٥٠٠ طنّاً من الزاد والعتاد ، فانهيت من هموى الادارية واستقدمت الفرع العاشر من منطقتى طبروق وبنغازى إلى طرابلس .

ولا بد لى من أن أذكر أن الجنرال لوكير كان قد انضم إلى بعد وصوله من التشاد مع قوته الفرنسية الصغيرة . فجعل نفسه فوراً تحت تصرفى طالباً منى لقاء ذلك تزويده بالأطعمة والنفط والألبسة . فرضيت للحال وأنا جد مسرور بأن أساعد ذلك الرجل الممتاز .

بمقتضى قرارات مؤتمر كازا بلانكا المنعقد فى ٢ (يناير) ، أصبح الجيش الثامن تحت قيادة ايزنهاور فى حرب تونس ؛ وعين الكسندر مساعداً له والقائد الأعلى للقوى البرية ؛ اما تدر فعين قائداً أعلى للقوى الجوية كلها فى منطقة البحر المتوسط . وكل هذه التقارير حسنة من شأنها أن تؤمن لنا الفوز النهائى . فإن القوى الجوية فى تونس ومالطا كان من الممكن جمعها مع الجيش الثامن الآن سعيّاً وراء عملية حربية واسعة واحدة . فاجتمع كونهنجام إلى تدر كقائد للطيران التكتيكى ،

وئسلم هرى برود هرست قيادة قوى الصحراء الجوية التى كانت تعمل إلى جانب الجيش الثامن .

قال لى الكسندر إنه كان قد وجد الحالة فى اضطراب لا مثيل له عندما انضم إلى ايزنهاور : كان الجيش الأول قد قوبل بهجوم عنيف جداً فى جبهته الشمالية فعمت الفوضى وتفاقت الحالة . فالجود فى كل ناحية : لا سياسية ، لا خطة ، لا قوى احتياطية ؛ لا تمرين . فلا بد ، بعد ذلك من عدم اللجوء إلى الارتجال فى كل شىء . هذا علاوة على أن القوى الأمريكية كانت لا تزال فى أول اختبارها للحرب ، مثلما كنا نحن عند دخولنا فيها .

فانكب الكسندر على العمل واصلاً ليله بنهاره إلا أنه أحس بالاضطراب وقلق مدة ما فكتب إلى فى ٢٠ (فبراير) مستغنياً طالباً إن كان فى استطاعتي أن أقوم بعملية ما تخفف من ضغط العدو على الأمريكين فأجبه بالاجاب وتحرشت برومل واتضح فى ٢٦ (فبراير) أن ضغطنا كان قد أضطر رومل إلى التوقف عن القتال ضد الأمريكين فارتاح الكسندر وكتب لى فى ١٥ (مارس) قائلاً إن المريض أخذ فى المعافاة وإنه على قرب من الشفاء التام . فإن الأمريكين بعد أن رأوا الحرب عن قرب واختبروها أصبحوا جنوداً من الطبقة الأولى .

أما رومل ، فبعد هزيمته فى جبهة الجيش الأول ، كان لا بد من أن يتقلب على جبهتنا . وكنت أتوقع ذلك . فاستقدمت الفوج النيوزلندى من طرابلس وأخذت فى الاستعداد للصدمة وهى ، فى يقينى ، لا محالة

واقعة ، وما كنت أشعر بالاطمئنان التام إلى قواى بعد المجهود الذى كنت قد طلبته منها لنجدة الكسندر . وكان شعورى فى إننا سنضطر إلى معركة دفاعية مثلما تم فى علم حلفا ، فأردت أن استغنمها كفرصة تسهل على الهجوم فيما بعد . فى مساء ٥ (مارس) كانت كل الدلائل تشير إلى أن هجوم العدو علينا سيتم فى صباح الغد .

معركة مدنين ٦ (مارس) ١٩٤٣ :

وباشر رومل بهجومه ، كما كنا نتوقع باكراً فى الصباح ، وقام بذلك الهجوم أفواج ثلاثة من البانزرز . فصدنا ذلك الهجوم فعاد رومل إلى هجوم ثان بعد الظهر ، واضطر أيضاً إلى الانسحاب وخسر ٥٢ مصفحة .

اما خساراتنا فكانت لا شأن لها . وكان موقفى فى مدنين كما كان فى علم حلفا ، وواصلت اعداد هجومى أنا . ومثلما سهلت معركة علم حلفا انتصارنا فى العلمين ، هكذا أيضاً سهلت معركة مدنين انتصارنا فى مرث .

معركة مرث : ٢٠ — ٢٧ (مارس) ١٩٤٣ :

إن خط مرث كان قد بناه الفرنسيون فى تونس وهو خط دفاعى ضد هجوم ايطالى من طرابلس الغرب إن حدث .

وكان ذلك الخط منيعاً بطبيعته ، ثم زاد الفرنسيون والألمان فى مناعته ، أما جانبه الغربى فكان متصلاً بجبل مطمطه . وكانت منطقة

غربي جبال مطمطة تعتبر كبحر رمال لا يمكن السير فيه ، يمتد عدة أميال نحو الغرب . وأكد لي الفرنسيون أن التطويق عن سبيل بحر الرمال ذلك كان أمراً مستحيلاً . وما كنت أراى ناجحاً في هجوم جبهى ضد أى مركز في تلك المناعة . فكان لابد من أن تقوم خطى خاصة بتطويق يتم عن غربي جبال مطمطة ، يرافقه في الوقت نفسه هجوم جبهى محدود .

فالمشكلة التي كنت أمامها هي : هل كانت هناك طريق تمر في بحر الرمال ؟ ربما يذكر القارئ أنني كنت أرسلات قوى لاستكشاف تلك المنطقة قبل عيد الميلاد . وكانت فئة الصحراء تبينت طريقاً . فأخذت خطى تتبلور ، وبدأت لي أخيراً في خطوطها العامة التالية :

١ - أما الفرع الثلاثون فكان عليه أن يهاجم في الجانب الشرقي بثلاثة أفواج .

ويجب أن يكون ضغطه مستمراً عنيفاً ، مستنداً إلى البحر في جانبه الأيمن ، وغايته أن يستميل إليه قوى العدو الاحتياطية .

٢ - أما النيوزلنديون مع وحدات عديدة تكون قد ضمت إليهم ، فكان هدفهم أن يطوفوا الجانب الغربي ويندفعوا بعد ذلك إلى الامام وراء جبال مطمطة .

٣ - أما الفرع العاشر فيحفظ للاحتياط مع فوجين مصفحين (الأول والسابع) والغاية منه أن يهاجم أحد الجانبين حسبما تقتضيه

الحاجة . وهو علاوة على ذلك مطلوب منه أن يحمى المراكز الأساسية
والساحات المهمة .

٤ - والعملية الواسعة تلك كلها سيقوى في شدتها وضغطها بمجهود
عنيف مستمر من قبل القوى الجوية .

جمعت القوى النيوزلندية - وهي مؤلفة من ٢٧.٠٠٠ مقاتل
و ٢.٠٠٠ مصفحة - في الجانب الجنوبي ، في فجر ١٨ (مارس) ولم يحس
العدو بذلك . وفي ليلة ما بين ١٧ و ١٨ (مارس) قمنا ببعض عمليات
تمهيدية على جانبنا الايمن من شأنها أن تصرف انتباه العدو الى غير
المسكان الذى كنت أريد أن أضرب فيه ضربتي القاضية . ونجحت تلك
العمليات ، إلا أن اللواء ٢٠٢ من الحرس فقد في احداها ٢٤ ضابطا
و ٣٠ رجل ، ولكن ما كان ذلك بدون فائدة لأن ذلك اللواء أدى
للنجاح النهائى مساعدة قوية .

أما هجوم الفرع ٣٠ ، فكانت نيتي الأولى ألا يتم إلا في ٢٠ مارس
في الساعة ٨ مساء . إلا أننى تأكدت في صباح ٢٠ (مارس) ان العدو
كان قد اكتشف القوى النيوزلندية المتوارية في جانبي الجنوبي . فأمرت
حينئذ النيوزلنديين بأن يتوقفوا عن التستر وبأن يهاجموا بعنف نحو
جبهة الشمال . ففعلوا .

وفي ٢٠ مارس أذعت للجيش بيانا أقول فيه إن رومل ، في مارس
عند موقعة مدينين ، كان قد تبه رجاله الى أنهم لم ينجحوا في تلك المعركة
فإن أيام قوى الألمان والايطاليين في أفريقيا تصبح أياما معدودة .

وبالصواب نطق . فالיום ، بعد انتصارنا في مدين . أصبحت أيام المحور في أفريقيا حتماً أياماً معدودة . فغاية الجيش الثامن الآن أن يحطم العدو الموجود في خط مرث ، وأن يمر في ثغر كابس يواصل سيره نحو الشمال الى سفاقس ، سوى تونس في النهاية . ولن نتوقف عن غايتنا ما لم ندرك تلك الغاية . ولانذنى أن العالم أجمع أصبح متطلعاً إلينا بعد الشهرة التي نلناها بانتصاراتنا المتتالية ، فإلى الأمام الى تونس ونزعم العدو الى البحر أما مراحل المعركة فلقد عرض لها عدة مؤلفين ويمكن تلخيصها بما يلي :

(ب) ابتدأت المعركة بضربة عنيفة في يميننا .

(ح) في حين كانت تلك الضربة تتحقق ، ابتدأنا بتطويق من يسارنا .

(د) وتطور الهجوم عن اليمين تطوراً مرضياً بادية الأمر . إلا أن العدو جمع في تلك المنطقة قواه الاحتياطية فاضطر الفرع الثلاثون أن يرجع القهقري إلى مراكزه السابقة . فأسرع لين ليطلعني على الخبر ، فتلقينته برابطة جأش وأمرت لين بأن يقف مكانه وينقل الى طور الدفاع بدلاً من الهجوم .

(هـ) قررت أن أثبت في جانب اليمين واكن لا بد أن أواصل ضغطي من هذه الناحية بحيث تواصل القوى الاحتياطية الألمانية قتالها فيها . وقت في الآن نفسه بهجوم في منتصف الجهة ضد جبال مطمطة . مستخدماً لذلك الفوج الرابع الهندي

(و) حينئذ أرسلت الفوج الأول المصفح من قواى الاحتياطية ليساعد القوى النيوزلندية فى حركتهم التطويقية التى أخذت تسير بسرعة وكلفت هروكس بأن يهتم هو نفسه بتلك الحركة ، فى حين كنت أعد هجوماً مفاجئاً حال وصوله الى هناك .

(ز) وأحس العدو بنيتى تلك فأسرع إلى نقل قواه الاحتياطية من اليمين إلى اليسار ، ولكن لم تصل فى الوقت اللازم ، بل كان هجومنا الفجائى قد ابتدأ بعشرين دقيقة قبل وصولها .

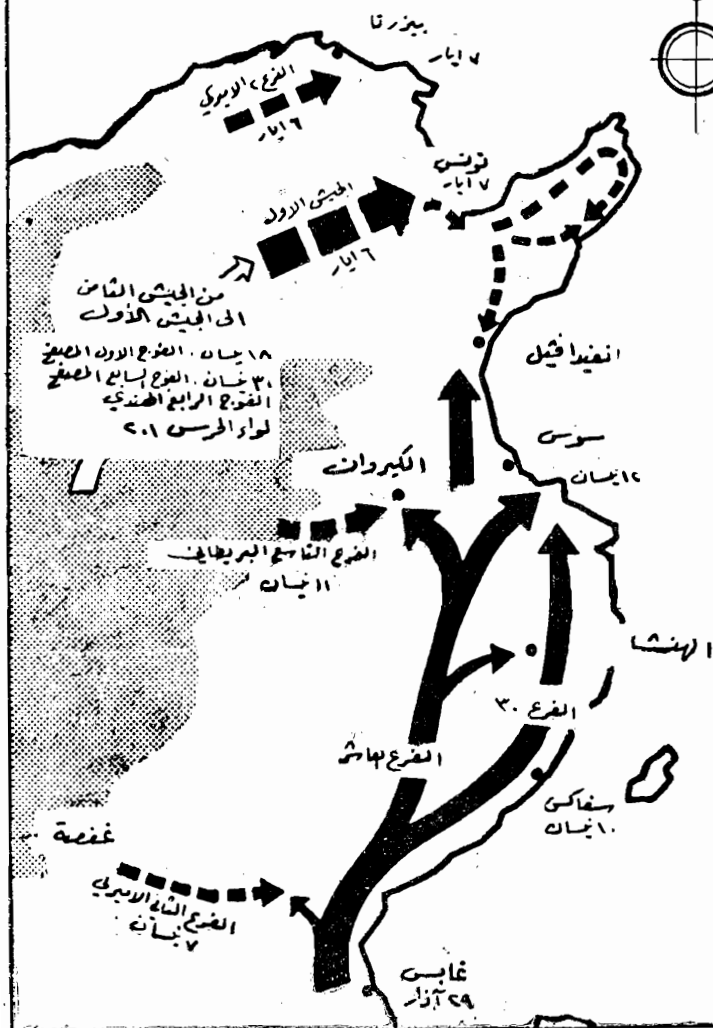
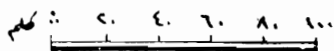
وفى ٢٨ (مارس) الساعة ٩ صباحاً كنا قد استولينا تماماً على خط مرث كله بعد معركة لم تدم أكثر من أسبوع .

أما طابع تلك المعركة الرئيسى فكان الهجوم الفجائى الذى قمنا به فى الجانب الأيسر ، فى وضح النهار بعد ظهر ٢٦ (مارس) . وكانت الشمس وراءنا وفى عيون العدو ، علاوة على أن عاصفة كانت قد هبت فى الصحراء وأخذت تثير الرمل وتدفعها نحو الألمان . كان العدو يتوقع هجومنا فى الليل وهى عادتنا ، فهاجمناه فى وضح النهار بقوة وعنف . فالفضل فى انتصارنا حينذاك راجع الى هجومنا الفجائى ، والتسكاتف التام بين القوى البرية والجوية ، والرضا بتمكيد المخاطر والخسارات .

أما الطيران فإنه أبلى البلاء الحسن قاذفاً قنابله على كل شىء يتحرك بعيداً وراء العدو ، وكان عدد الأسرى ٢٥٠٠ كلهم ألمان وأما الأسرى من صفوفنا فكانوا ٦٠٠ ، من بينهم ٨ طيارون فقط .

وكان ذلك الهجوم المفاجيء برهاناً قاطعاً على فعالية التكاتف فيما بين القوى الجوية والبرية. ولابد من أن أذكر أن قيادة الطيران الحربى كانت قد ترددت أول الأمر فى الاشتراك فى هجومنا وأرسل كورننجام ضابطاً لاقتناع هرى برود هرست قائد الطيران الحربى فى الصحراء فى أن يمتنع عن ذلك الاشتراك ، فما فعل بل قبل أن يخاطر ويتكبد الخسارات فنجح ونال ثناء من مقر القيادة الأعلى لا بل من وزارة الطيران نفسها.

نہایت اکرپ فی افریقہ



انتهاء الحرب في افريقيا

واتضح أن الحرب في افريقيا كان لابد من أن تنتهى بسرعة فإن الجيش الثامن ما كان باقياً عليه إلا أن يندفع في ثغر كابرس لينضم إلى القوى الاميريكية فنحصر العدو بين جهتين . في ٦ (ابريل) حدثت معركة عنيفة بيننا وبين العدو ، دامت يوماً واحداً وأصبنا فيها ٧٠٠ أسير من الألمان . في ٨ (ابريل) استطعنا أن نتصل بالاميريكيين في شرقي غفسا ، وكنا في سيرنا نأسر مايربو على الالف الاسير كل يوم . وكل هذا يدل على أن جيش الألمان ابتداءً حيثذاك في التفتت في ١٠ ابريل فتحنا سفاكس واستولينا عليها .

كان بدل سميت رئيس أركان ايزنهاور قد قام بزيارة لى في طرابلس للتناقش في مصير الحوادث . فوعده حينئذ أننى سأستولى على سفاكس في ١٥ (ابريل) فأجابنى أن ايزنهاور ، إذا ما فعلت ، سيعطينى ما أشاء فأجبت له إننى سأفعل ، وإننى ، إن نجحت ، أريد من ايزنهاور طائرة . فوعدتني خيراً . ففي صباح ١٠ (ابريل) كتبت إلى ايزنهاور أطلبه بالوفاء بوعده ، فوصلتني الطائرة في ١٦ (ابريل) ، وأصبحت قائداً سريع الحركة . وفيما بعد استنكر من بروك عملي ذلك بعنف قائلاً إن ايزنهاور غضب غضباً شديداً عندما وصله كتابي وأن بدل سميت

كان يمزح عندما وعدنى بالطائرة ، مضيفاً أن الطيران الحربى كان قادراً أن يمدّه بطائرة ، إلا أن هذا كان خطأ لأننى طلبت من الطيران الحربى غير مرة أن يجعل طائرة تحت تصرفى فما فعل .

فى ١٠ (ابريل) كتبت إلى ألكسندر لأسأله على من يقع المجهود الرئيسى فى المرحلة النهائية للحرب فى تونس . واقترحت أن يكلف الجيش الأول بذلك لسهولة العمل فى السهل الواقع غربى تونس ؛ أما من جهتى فكان أمانى منطقة إنفيذاويل وتكرونا الجبلية . فوافق ألكسندر وبالفعل فإننى لم أنجح النجاح التام فى تقضى . إلا أن الجيش الأول لم ينجح فى عملياته وكنت حينئذ ملازماً الفراش لزام أصابى ، فطلبت إلى ألكسندر أن يقدم إلى مقر قيادتى قرب سفا كس لاتباحث معه . فوصل فى ٣٠ (ابريل) . فقلت له إنه من اللازم أن يتم جمع الجيش الأول والثامن بحيث تتمكن من أخذ تونس فى أقرب وقت ، وفى المنطقة الأشد موافقة لنا . واقترحت أن أعطيه وحدات من جيشى ومنها خاصة الفوج السابع المصفح . وأضفت أنى مستعد أن اعطيه أيضاً أحد قواد قروعى القادرين وفكرت بهروكس . وأخيراً قلت إن الحرب لابد من أن تنتهى بسرعة فى افريقيا ، إذ أنه كان علينا أن نفتتح صقلية فى (يوليو) . ولم نكن حتى ذلك الحين ، على الاستعداد اللازم لذلك .

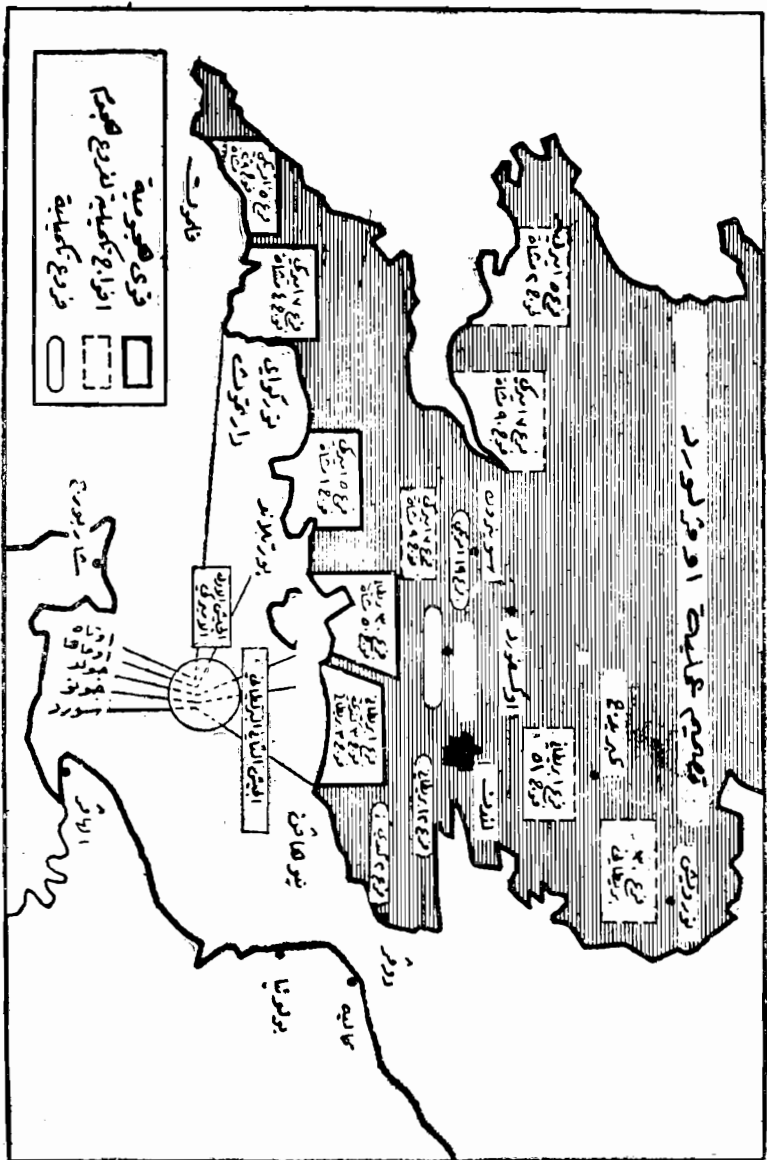
فوافق ألكسندر ، وانتقل هروكس إلى الجيش الأول فنظم فى ٦ (مايو) المعركة التى الغاية منها فتح تونس . فنجح نجاحاً باهراً وأخذت تونس وبيزرتا فى ٧ (مايو) فانحصر العدو فى شبه جزيرة رأس بون .

وكان الفوج السابع المصفح أول من دخل المدينة ، وهو يستحق ذلك وانتهت مقاومة العدو في ١٢ (مايو) فاستسلم ووقع بين أيدينا ٨.٠٠٠ ٢ مقاتل .

وهكذا انتهت الحرب في افريقيا . فإن الاحتفاظ بالجيوش الألمانية في افريقيا بعد موقعة مرث كان خط كبيراً من الناحية العسكرية . وأظن أن هتلر كان قد أمر به لأسباب سياسية . فإن تلك الأسباب قد تكون ضرورية في بعض الأحيان ، ولكنها غالباً الأحيان عاقبتها الهلاك التام .

أما عمل الجيش الثامن في تلك الحرب فلاحاجة إلى تحليله بعد كل الذي ذكرت . ففي أوائل (يونيو) كتب رئيس الوزراء في كتابي المخصص للتوقيعات :

« إن إتلانف أو أسر كل قوى العدو في تونس ، بعد أن تبلورا باستسلام ٢٤٨.٠٠٠ مقاتل ؛ يظهر أن الحاجة الممتازة للمشاريع العظيمة المصممة في العدين . شئت الأقدار أن تكلل بالنجاح التام الباهر المساعي المقبلة التي لا تزال تنتظر بوسائل الجيش الثامن » .



الفصل العاشر

حرب صقلية

١٠ (يوليو) -- ١٧ (أغسطس) ١٩٤٢

في (يناير) ١٩٤٣ وردت إلى أفريقيا الشمالية تعليمات تنص بأنه سيتم بمهمات حربية الغاية منها عزل إيطاليا عن الحرب . وقرر أن الاستيلاء على جزيرة صقلية سيكون الخطوة الأولى في هذا المضمار . وسميت تلك العملية باسم « هوسكي » .

وفي ٨ (ابريل) في حين كان الجيش الثامن لا يزال يقاتل في تونس أرسلت إلى ألكسندر كتاباً لأطاعه على أن الحالة الناتجة عن خطة عملية « هوسكي » كانت تقلقني كنت عالماً أنهم قد صمموا لذلك خطة في لندن إلا أن ما سمعت عن تلك الخطة كان يدفعني إلى ألا أظنها حسنة . فكنت أرى من الضرورة أن نجتمع بأبرزهاور لاتخاذ قرارات عن بعض مسائل جوهرية . فقبل اقتراحى هذا وسافرت إلى الجزائر في ١٩ (ابريل) .

وفي الطائرة التي كانت تقلني إلى الجزائر رحلت أفكر بالعمل المطلوب مني وأدون ملاحظاتي عليه وسلمت نسخة عنها إلى ألكسندر

أما النقاط التي ألفت الانتباه إليها فهي التالية :

١ - التواريخ المهمة الخاصة بالجيش الثامن فيما يتعلق بإنزال الجيوش في صقلية . ومن هذه التواريخ خاصة أول (يونيو) وهو اليوم المعين لإنزال الجيوش .

٢ - جهلى وجهل أركانى لتفاصيل الخطة المصممة لتلك العملية لا سيما وأن بعض وحدات جيشى المطلوب اشتراكها في احتلال صقلية لا تزال في تونس . هذا مع العلم أن ضباط الأركان الذين اشتغلوا في تصميم تلك الخطة يجهلون تمام الجهل حاجيات المعركة .

٣ - الأمر المهم في كل ذلك هو أن نخرج من حرب تونس منذ الآن مقرر قيادة الجيش الثامن وكل الوحدات المفروض اشتراكها في حرب صقلية . ولكن هل يمكن بعد ذلك أن ننهي حرب تونس في المدة اللازمة لمباشرة الحرب بعدئذ في صقلية ؟ لا أدري ما الجواب .

٤ - لى أقوم بالعمل المطلوب منى لابد من أن ألب الأشياء التالية .

(أ) يجب أن تعيين رئيس أركانى فى رتبة ماجور - جنرال فيممثلنى فى القاهرة وتسمح له رتبته بأن يكون لتمثيله لى التأخير اللازم حتى أبقى دائماً قابضاً على زمام الأمور: وعلاوة على ذلك أن أستطيع إيفاد أيا شئت إلى القاهرة فيبقى هناك إما دائماً وإما لوقت محدود .

(ب) يجب استئراج الوحدات المطلوبة لمعركة صقلية من تونس فى الحال ، وفى مدمتها قيادة الفرع الثلاثين ومقرها الأعلى .

(ج) أقوم بنفسى بزيارة إلى القاهرة عن قريب لدرس الموضوع وأريد التنقل بين القاهرة وتونس كل ما رأيت أن الحالة تقتضى ذلك .

(د) هناك تدبيرات لابد من أخذها فيما يختص ببعض الأفواج والوحدات ولا سيما فوج النيوزلنديين الذى لا يمكن ادخاله فوراً فى حرب صقلية .

(هـ) لابد من إخراج الجيش الثامن من حرب تونس فى الوقت اللازم ، وذلك قبل أوائل (مايو) على كل حال . هذا علاوة على أنى اقترح أن ينقل الفرع العاشر من الجيش الثامن إلى الجيش الأول .

فوافق الكسندر وايزنهاور على ما عرضت وأبرق إلى المكتب الحربى لتعيين ده جنغان فى رتبة ماجور - جنرال للوظيفة التى طلبتها له ، وذهبت إلى القاهرة فى ٢٣ (ابريل) . وفى الطائرة أخذت أفكر فى الماضى والمستقبل .

علمت بواسطة ده جنجان أن سبع خطط كانت قد صممت لإنزال الجيوش فى صقلية .

أما الخطة الأولى فكانت عمل الأركان المشتركة فى لندن فى (يناير) ١٩٤٣ ، وبمقتضاها يتم الإنزال على قياس واسع مندفعتان فى الجهة الشرقية إلى الطرف الشمالى من الجزيرة ولا شك فى أننا ما كنا نرضى بها إلا أننا ، حين صممت ، كنا لا نزال فى طرابلس فما انتهت إليها لأننى ما كنت لأظن أن هدفنا القريب سيكون فى صقلية

وصممت أيضاً خطط أخرى ، اشتغل فيها خبراء فنيون مختلفون
قصدي البعض منهم ايطلع على آرائي ، ووصل عدد تلك الخطط إلى
السبعة . وما كنت راضيا عل هذا التصرف . لأن الوقت كان يمضي
ولأننا أصبحنا في حاجة إلى خطة نهائية في القريب العاجل .

وفيما كنت في الطائرة التي تقلني إلى القاهرة أخذت أنظر إلى المستقبل
بوضوح أتم . لا شك في أن السلطات العليا لن تسير كما نشاء فلا بد
لنا من الدقة والحكمة في التصرف ، مع شيء من المداعبة والمزاح وأخذ
الأمم بالسر والسهولة حتى لا يظهر لغيرنا أننا لا نريد التعاون .
إلا أنني كنت عازماً على شيء وهو ألا أتساهل في الأمور الأساسية

قدم ده جنجان للملاقاة في القاهرة وفي الغد عرضوا على خطة فتح
صقلية النهائية كما صممتها أركان ألكسندر وهي الخطة الثامنة . وكان
المكلف بنقل الجيش الثامن الاميرال رامسي ، وهو رجل عظيم تجمع
فيما بيني وبينه روابط الصداقة ولذلك تأسفت تأسفاً شديداً عندما قتل
في فرنسا سنة ١٩٥٥ في حادث طائرة .

فبعد الاطلاع على الخطة الثامنة رأيته غير نافعة . فبمقتضاها
كان يجب أن ينزل الجيش الثامن في الجنوبي الشرقي من الجزيرة في حين
أن الجيش السابع الأمريكي كان يجب أن ينزل في الشمال الشرقي منها .
وسبب توزيع القوى ذلك كان ولا شك الأمل في ألا نصطدم إلا بقوى
ضعيفة . ووافقتني على رفضي لتلك الخطة الاميرال رامسي وليز ودمبسي
وهما قائدا فرعي جيشي . فأبرقت إلى الكسندر لأطلب منه أن يكون

لإنزال الجيش الثامن فى المنطقة الواقعة بين جنوبى سيراكوزا وشبه جزيرة بتشينو . وكانت هذه الخطوة التاسعة ، فسميتها مع أركانى خطة عيد الفصح لأننا كنا قد صممناها فى آخر أسبوع أعياد الفصح . وأصبحت هى الخطوة النهائية .

وفى ٢٤ (إبريل) أرسلت إلى الكسندر كتاباً أقول له ما يأتى :

١ - إننى الآن فى القاهرة مع قواد فرعى لفحص الخطوة المطلوب من الجيش الثامن تنفيذها عند فتح صقلية . وبحيث أننى لم يتيسر لى أن أركز انتباهى على تلك الخطوة حتى الآن . أرى أنها لا توافقى على ما هى .

٢ - فإن الخطوة الحالية مؤسسة على الافتراض أننا لن تعترضنا مقاومة عنيفة من قبل قوى المحور فى صقلية . مع أنه يجب أن نتوقع تلك المقاومة ولا سيما من قبل الألمان . ولا أشك فى أنه سيكون قتال عام دام بعد الهجوم الأولى .

٣ - إننى مستعد أن اشترك فى عمليات فتح صقلية شرط أن يسمح لى بأن أسير بتمتضى خطى أنا . فإن جيشى يجب أن يقاتل ككتلة واحدة فى فروعه وأفواجه ولا توزع وحداته والمجهود الأول للجيش الثامن يجب أن يتركز على المنطقة الواقعة بين سيراكوزا وشبه جزيرة بتشينو ، ثم بعد ذلك نسعى إلى أن نحتل مرافئ ومطارات . فالأمر الأساسى هو أن نحتل منطقة سهلة الأخذ ثم نواصل عملياتنا التالية منها بعد تحويلها إلى مركز منبع ،

٤ - فالوقت محرج وإذا رضينا أن ننظر لندن وواشنطن لمناقشة الخطط المختلفة التي تعرض ، فإننا لن نستطيع أن نقوم بعمل قط في (يوليو) . هذه علاوة على أن الخطط تلك فاسدة كلها في أساسها إذ أن كل واحد يحاول استخدامها وهو يعلم أن لا نجاح فيها . ولذلك أعطيت أوامري منذ الآن بأن يتقيد الجيش الثامن بالتعليمات المضمنة البند الثالث . والاميرال رامسي يوافقني على ذلك .

٥ - وأنه لا أساس أن تكون مساعدة الطيران الحربى قوية فعالة فأطلب ان يعمل معى برود هرسى قائد طيران الصحراء الحربى وأركانها .

ولا بد من أن يكون القارىء قد لاحظ أن ساحة قتال القوى الامريكىة كانت بعيدة عن ساحة قتالنا ، وما كان قصدى الاول الاستيلاء على بعض مطارات العدو فى صقلية كما كانت تقتضيه الخطة السابقة ، كان لى رأى شخصى فيما يختص بعمليات الاميركيين لانزال جيشهم إلا أننى لم أجد الوقت مناسباً لإبداء ذلك الرأى ، ولذا فإننى كنت أتوقع رد فعل عنيف فى الجزائر والحق أنه تم ما كنت أتوقعه فى الغد ، ٢٥ أبريل بلغ رامسى لوم شديد من قبل الاميرال كورنيجام القائد البحرى الا على الذى كان على اتصال بالسكندر واضطرب رامسى بادىء الامر إلا أنه لم يلبث أن أخذ يضحك معى واتفقنا على أن أرسل لى السكندر كتاباً خفواه مايلى : بلغنى أن كورنيجام وتدر لا يوافقان على الخطة التى عرضتها بتمامها فإننى لا أعلن بصراحة أن عاقبتنا ستكون الفشل إذا ما اتبعنا الخطة الاولى المفروضة ، أما خطتنا

أنا ورامسى فهى لا محالة ناجحة . أيمكننا أن نقصدك فى القاهرة لتباحث فى الأمر ، وانتظاراً لذلك فإن الأوامر تسير فى الجيش الثامن حسب خطتى أنا ، لأن الوقت أصبح محرجاً ،

غادرت القاهرة فى ٢٦ إبريل ورجعت إلى مقر قيادتي فى تونس وأصابني زكام ومرضت حين وصولي فلزمت الفراش ، وفى تلك الأثناء كان الكسندر قد نجح فى عقد مؤتمر فى الجزائر فى ٢٩ إبريل ودعيت إليه من رامسى وبما أننى كنت مريضاً أرسلت ده جنجان لينوب عنى إلا أنه أصيب بجراح من وراء حادث حصل لطائرته فأوفدت ليز ولكن المؤتمر لم يسفر عن نتيجة واضحة لأن تدر ادعى أن قواه الجوية لن يكون اشتراكها فى العملية فعلاً ما لم تؤمن المطارات فوراً ، فساق ذلك كونه نجام إلى أن يقول إنه ما لم يكن هناك قوى جوية نافذة المفعول لترد هجمات طائرات العدو لن تستطيع سفنه أن تقوم بالمهام المطلوبة منها ، ولم يتمكن الكسندر من الحصول على التوافق بين القوى المختلفة فأنفض المؤتمر ولم يؤخذ تقرير قط .

ثم قصدني الكسندر فى تونس فى ٣٠ إبريل وكنت لا أزال مريضاً فحدثني عن المؤتمر الذى انعقد فى نهار الأمس فى الجزائر واقترحت عليه أن يعقد فى الجزائر دائماً مؤتمراً آخر تحضره كل السلطات العسكرية العليا ، ورأيت أننى سأكون قد شفيت فى ذلك التاريخ ، فأمكن حينئذ من أن أحضر ذلك المؤتمر وأعرض لخطتى فرضى الكسندر .

إلا أن الجولم يسمح له بالحضور ولا يمكننا أخذ أى تقرير وهو غائب . وصرث قلقاً مضطرباً فأخذت أبحث عن بدل سميث رئيس أركان ايزنهاور ووجدته فى مكان المنافع وبيوت الخلاء ورأيتة قلقاً هو أيضاً يود لو أن الجميع يتفقون على خطة نهائية وذلك لأسباب سياسية فأجبت أن الأمر ضرورى من الناحية العسكرية أيضاً خاصة ، وقلت لى وجدت الخطة المطلوبة . فطلب منى عرضها ففعلت وقلت إن مجهود الأمريكين يجب أن يصب على السواحل الجنوبية من ناحيتى جيلا وعلى غربى شبه جزيرة بتشنو فتصبح غايتهم الاستيلاء على المطارات التى تعتبرها قوانا الجوية مهمة . وهكذا فإن الجيش الثامن البريطانى والجيش السابع الأمريكى سينزلان جنبا إلى جنب مما يجعل قوى الحلفاء ملتمة بعضها على بعض متساندة فى العمل .

فاقتنع بدل سميث ورحنا نستشير ايزنهاور ، فاقنع هو أيضاً مبدئياً إلا أنه رفض أن يناقش الخطة معى والكسندر غائب . وهذا حق . ووافق الطيران أيضاً على الأمر ، أما البحرية فاستمرت على الشك فى صحة خطى معللة شكها بأن الجبهة حيث سيتم لإنزال القوى الاميركية لم يكن فيها مرفأ فقط ، ولن يكون من السهل تزويد تلك القوات عن سبيل الشواطىء فقط .

فاقنعت حينئذ بدل سميث أن يعقد مؤتمراً يحضره أعضاء أركان القوى المختلفة وأشارك فيه أنا ، وحينما يصل الكسندر يعرض له ضباط أركانه القرار الذى يكون قد اتخذ . ووافق الجميع على خطى ، إلا أن

لميزنهاور أصر على ألا يتخذ قرار رسمي قبل حضور الكسندر . فرجعت إلى مقر قيادتي في تونس ، أترقب سير الحوادث . وفي الغد ٣ مايو ، عند منتصف الليل وصلتني برقية من الكسندر فيها يقول إن لميزنهاور موافق على كل ما اقترحت ، فأفأقوني من النوم ليطلعوني على الخبر . ثم عدت ونمت مرتاحاً فإننا الآن نستطيع أن نعمل بمقتضى خطة سديدة .

غير أنني كنت أريد أن أحصل على شيئين ضروريين لأطمئن تمام الاطمئنان إلى نجاح خطتي للنجاح الدام وذلك لأن كل الخطط التي عرضت على البحث ما كانت تتناول إلا مجرد كيفية انزال الجيوش أما أنا فكنت أسعى إلى ما وراء ذلك وهو منع الألمان الموجودين في صقلية عن أن يفروا من تلك الجزيرة وينسحبوا جميعهم إلى إيطاليا . ولذلك اقترحت أولاً أن يوحد الجيشان البريطاني والأميريكي تحت قيادة واحدة وذلك من الناحيتين العسكرية والإدارية وثانياً أن تسرع قوانا الموحدة نحو الشمال فتشق الجزيرة إلى منطقتين فتحدث حينئذ جهة دفاعية نحو الغرب ثم يحاول الباقي جهد المستطاع للوصول إلى مسينا ليقطعوا الطريق إلى إيطاليا على الألمان وتساعد القوى البحرية والجوية على ذلك حارسة على ألا ينجوفرد قط من أفراد العدو عن طريق البحر ووافق الكسندر على فكرتي هذه إلا أن لميزنهاور أصر على أن تكون معركة صقلية معركة جيشين مختلفين في كل نواحيهما تحت قيادة واحدة يؤمنها الكسندر . فلم نفعل بما اقترحت . فاستولينا على صقلية إلا أن الألمان معظمهم استلأعوا أن ينجوا ويعسكروا في إيطاليا .

سفرى إلى انجلترا

فى ١٢ مايو انتهت كل مقاومة فى إفريقيا . واستسلم إلى فى ١٣ مايو الفيلد . مارشال ميسى الإيطالى الذى كان قد خاف رومل كقائد أعلى لقوات المحور . فتناولت العشاء معه وتباحثنا عما كان قد جرى ثم سار إلى مكان أسره .

وعزمت على السفر إلى انجلترا لأرتاح قليلا قبل مباشرة القتال فى صقلية . وكنت أيضاً أرغب فى أن أزور الفوج الأول السكندى الذى عين لينزل معنا على شواطئ صقلية وهوأت رأساً من انجلترا ، فاكنا لنراه قبل القتال . منه جنباً إلى جنب فى الجزيرة مما ساقى الى أن أرى أنه من الضرورى أن أبادر وأتعرّف إليه .

فغادرت طرابلس فى ١٦ مايو على متن طائرتى ووصلت إلى انجلترا فى ١٧ منه وكنت جد مسرور لاجتماعى بابنى داود خاصة .

واقامت صلاة شكر لنهاية الحرب فى إفريقيا يوم ١٩ مايو فى كاتدرائية القديس بولس فلم ادع إليها . وتعجبت للأمرفقيل لى بعدئذ إن رغبة السلطات هى أن يكون وجودى فى انجلترا أمراً سرياً . إلا أننى سررت جداً من أن الجمهور كان يتبعنى حيثما أسير ، مما جعلنى على يقين من أننى كان لى شعبية عند كثير من الناس لم ترض عليها بعض الطبقات الاجتماعية . وقد يكون هذا سبباً لذلك عدت إلى الجيش الثامن عن

طريق الجزائر حيث اجتمعت ، يوم ٢ يونيو رئيس الوزراء ورئيس
الأركان الإمبراطورية . وشعرت أن الرجلين قدما الجزائر من واشنطن
ليسير الأمور بحيث يتم احتلال صقلية بسرعة ويستثمر ذلك الاحتلال
إلى أبعد حد ممكن فطلب إلى الجنرال مارشال أن يرافقهما . وكان
رئيس الوزارة عازماً عزماً ثابتاً على أن يخرج إيطاليا من الحرب
فباحثني طويلاً عن خطة انزال الجيوش في صقلية فأطلعته على ثقتي
القوية بأنه سيتم كل شيء على خير . يرام .

عندما كنت في إنجلترا بلغني أن جلالة الملك سيقوم بزيارة في يونيو
إلى قوى إفريقيا الشمالية ووصل إلى إفريقيا في ١٣ يونيو وجاء طرابلس
في ١٧ منه ليرى الجيش الثامن ، أو إن شئت فقل بعض الوحدات التي
كانت لا تزال هناك حينئذ فأقام في مخيمنا على الساحل على بعد بعض
أميال من طرابلس . وأظن أنه كان مسروراً من زيارته تلك لأنه كان
يتصرف معنا بالبساطة التامة ، وكنت قد اتخذت كل الاحتياطات لتأمين
راحته وحياته واضطرت يوماً أن أطلق النار على بعض العناصر التي
حاولت أن تخرج محتشدة من المنازل ، وكنت قد منعهم عن ذلك ولما
حان وقت رحيله يوم ١٩ يونيو شرفني جلاليته بقبلة المفروسة تحت
الخيمة التي نصبت لتناول الغذاء قرب المطار .

احتلال صقلية

في ٨ (يوليو) وصلتني بركة من رئيس الوزراء فيها يتمنى لي
النجاح ويبرر عن ثقته بي وبجيشي الباسل .

وفي اليوم ذاته أذاعت للجيش الثامن بيانى العادى .

نزلت على سواحل صقلية فى ١٠ (يوليو) . ساعتين قبل الفجر .
أما تاريخ الحرب فى صقلية فلقد عرض له غير مرة ، وخصصت
له صفحات فى كتابى « من العلين إلى نهر السانجرو » .

قليلًا بعد إنزال جيوشنا أكرهت إلى موقف شق على أخذه .
وهو أن الجنرل ماك نوتون ، القائد الأعلى للجيش الأول السكندى
(فى إنجلترا) وصل إلى مالطا فى نحو منتصف يوليو مع بعض ضباط
أركان ، فطلب إلى أن نذهب إلى صقلية لتفقد القوى السكندية هناك .

فإن الفوج الأول السكندى لم يكن بعد مدربًا على الحرب الحقيقى
وكان قائده جى سيموندس لا يزال شابًا ليس له خبرة وهو يقود لأول
مرة فوجًا فى الحرب . فمزمت على ألا يزعم السكنديون فى قتالهم ضد
الجنود الألمان المحنكين ، إلا أننى كنت أريد أن آخذ رأى سيموندس
فى الأمر فأجابنى على الفور : « ناشدتك الله ، امنعه عن القدوم » .
فأبرقت إلى مالطا طالبًا إرجاء الزيارة إلى صدور تعليمات أخرى .
فبعد إنهاء الحرب فى صقلية دعوت ماك نوتون إلى زيارة السكنديين
فى الجزيرة ففعل وأقام فى مقر قيادتى فى - تورمينا - إلا أننى
ما اجتمعت به قط أثناء زيارتى العديدة فى كندا . وأظن أنه كان حاقدا
على لآتى منعه من القدوم إلى صقلية فى ١٩٤٣ . وكان السكنديون من
خيرة الجنود فى حرب صقلية . نعم لم يكن لهم عهد بالقتال بأدى الأمر
إلا أنهم كانوا مدربين جدا ، ولم يلبثوا أن أصبحوا ماهرين . وعندما

حصصهم فى القوى الاحتياطية المعدة لاحتلال البر الإيطالى كان فوجهم فى نخبة أفواج الجيش الثامن .

لاشك فى أن أفرادهم ذاقوا لذة العيش فى جزيرة صقلية بعد خروجهم من الصحراء حيث كانت حياة التقشف . إلا أن الطقس الحار الرطب كان سبباً فى انتشار الملاريا بين الجنود ، ففتكت فى صفوفهم فتكا ذريعاً وأحدثت من الخسائر فى الأرواح ما لم يحدث العدو نفسه ، من وراء عدم استعداد جهازنا الطبى لها . وفى صقلية تخلت عن طائرتى الكبيرة لأن مطارات صقلية ماكانت معدة لطائرات بذلك الحجم ، وكدت أتعرض لحادث خطر عندما سقطت فى مطار بالرمو حيث كنت أريد أن اجتمع بالجنرال باتون . فطلبت إذن من أيرنهور أن ييدها بطائرة أخرى ، ففعل فى الحال واتحفى بطائرة داكوتا تقل سيارة جيب فى داخلها . وكانت هذه مفيدة جداً .

وأظن أننا استفدنا جميعاً من القتال فى صقلية من حيث اختبارنا للحرب ، وذلك من القواد إلى الجنود فى الصفوف . إلا أن عاقبة تلك المعركة لم تكن مرضية من كل النواحي ، بمعنى أن الألمان استطاع أن ينسحب معظمهم من الجزيرة ويستقروا فى إيطاليا بعد أن عبروا مضيق مسين . وأصابنا من وراء ذلك ضرر جسيم فيما بعد ، عند انزال جيوشنا فى إيطاليا . فلا بأس إذا ما رجعنا إلى الوراء وحاولنا اكتشاف سبب الأخطاء التى ارتكبت .

لأننا كنا فى حاجة ماسة إلى التخلص من بعض الأمور المعرقة

لتسيير القتال ، وإلى بعض التدابير الاحتياطية السابقة لتنفيذ الخطة ، وإلى تعاون وثيق بين قوى الجو والبر والبحر من ناحية ومن الحلفاء مع بعضهم من الناحية الأخرى .

وأخيراً إن التعليمات المتعلقة بالحرب في صقلية وصلتنا ونحن في أفريقيا الشمالية في (يناير) ١٩٤٣ ، إلا أن خطة انزال الجيوش لم يتفق عليها نهائياً إلا في مايو ، شهرين فقط قبل البدء ، والأسباب الرئيسية لذلك التأخير هي :

١ - إن القادة المسؤولين مباشرة عن تنفيذ الخطة كانوا جميعهم مشغولين في عمليات حربية تجرى في أفريقيا الشمالية . فصمم الخطط المختلفة ضباط أركان ماهرون من الناحية النظرية ولكن بدون توجهات ترددهم من قبل القادة المسؤولين . فكانت تلك الخطط لا نفع فيها من الناحية الواقعية التطبيقية . ولذا اضطر المسؤولون . عند الاطلاع عليها على التغيير فيها والتبديل فأنفقنا على ذلك وقتاً ومجهوداً كنا في حاجة إلى ادخارهما .

(ب) إن مقرات القيادات العليا للتمادة المسؤولين كانت بعيدة بعضها عن بعض . فللتوافق على خطة ما كان يتحتم عليهم أن يتنقلوا بين القاهرة والجزائر وبينهما مسافة ٢٠٠٠ ميل . فمن ثم جاء التأخير والابطاء في العمل .

(د) إن القائد الأعظم للقوات جميعها كان وحده يستطيع أن يتخذ القرارات النهائية . إلا أنه كان منهمكاً في مسائل سياسية

فى أفريقيا الشمالية فلا يتمكّن من بذل مجهوده كله على تسيير المعركة .
فإن تجهيز العمليات الحربية كان معقداً صعباً ، وكان معقداً صعباً
أيضاً تنظيم المرافىء التى منها تقلّ الجيوش إلى مراكز انزالها .

فإن وحدات الجيش الثامن كان يجب أن تبجر من حيفا ، ومن
مرافىء قناة السويس ومن الاسكندرية ، وبعضها أيضاً من طرابلس
والمستول عن ذلك العمل هو مقر القيادة العام فى الشرق الأوسط
فى القاهرة . أما سفاكس وسوس والقيروان فكانت معدة لتبجر منها
القوى الجوية والمستول عن هذا العمل مقر القيادة الأعظم فى الجزائر
ومقر قيادة الكسندر .

وأخيراً إن الفوج الكندى مع غيره من الوحدات كان عليه
أن يبجر من المملكة المتحدة ، والمستول عن هذا العمل المكاتب
الحربى فى لندن

وكانت التعليمات المنقولة فيما بين القاهرة والجزائر ولندن متناقضة
غالب الأحيان . والفوضى تعم خاصة خطط الجيش البرى وخطط
الجيش الجوى ، ولا سيما فيما يختص بالصّور الفوتوغرافية المتخذة من
الجو . فإن القائد الأعلى للقوى الجوية المطلوب منه أن يتعاون مع متر
قيادى لاعداد خطة الهجوم والمرحلة الأولى للعملية ، كان فى ما لاطا .
وهو منهمك فى العمليات الحربية الجارية حينذاك ، ثم إن ذلك القائد
الأعلى مع ضباط أركانها كانوا خبراء فيما يختص بالدفاع عن الجزر
وبالعمليات الحربية الساحلية . ولكن لا خبرة لهم قط فيما يختص

باستخدام القوى الجوية للتعاون في معركة تكتيكية تجرى على البر .
فإن الحبيب المعين لمساعدة الجيش الثامن كان برود هرست قائد الطيران
الحربي في الصحراء وهو في طرابلس ولم يطلع على الحالة إلا بعد أن
كننا في ساحل صقلية .

وإنني عندما أتذكر كل ذلك لا يسعني إلا وأكون معجبا بضباط
أركان الذين استطاعوا أن يقاوموا كل تلك الصعوبات كان جنجيان
غائبا حينذاك بعد حادثه في الطائرة، إلا أن بلشم كان له كخير الخلف
لخير السلف ، هذا وإن القادة الثلاثة الذين يعملون تحت سلطة أيزنهاور
(وهم الكسندر ، كسنتجام ، وتندر) ما كان اهتمامهم إلا الهجوم على
الجزيرة والاستيلاء السريع على المطارات والمرافق . فلم يقرر شيء من
حيث تسير المعركة بعد انزال الجيوش في الجزيرة بل كل جيش يتصرف
حسب آراء قائده ويطلع القائد الأعلى بعد ذلك على ما قرر في كل
منطقة . فلم نستطع أن نوجه مجهودنا للسير نحو مسن حتى نقطع على
الألمان طريقهم إلى إيطاليا . فقمضينا نحو ٥ أسابيع لتتيمم فتح صقلية
وخسر الجيش الثامن ١٢٠٠٠ مقاتل . وما كنا تكبدنا كل ذلك وغيره
من الخسارات الجسيمة لو انصهرنا جميعا صفا واحداً بالتعاون
والتآلف . هذا علاوة على أننا كنا قد انتهينا من الحرب بأسرع
ما انتهينا منه .

الفصل السحادي عشر

الحرب في إيطاليا

٢٢ (سبتمبر) — ٣١ (ديسمبر) ١٩٤٣

كنا فيما يخص بحرب إيطاليا على أسوأ ما كنا عليه فيما يخص بحرب صقلية من حيث الاستعداد وخطة تسيير العمليات الحربية. فإن هدفنا حينذاك أن نخرج إيطاليا من الحرب فكان من اللازم أن نتخذ الجزيرة كحافز نذب منه إلى إيطاليا ونلتبّع العدو بعدئذ هناك بلا رحمة ولا هوادة. فلم نفعل بل عندما انتهينا من حرب صقلية في (١٧ أغسطس) أصبحنا لا غاية لنا إلا انزال الجيوش في إيطاليا ولا خطة لنا قط لتسيير المعركة. حتى ولم نكن قد حددنا المكان الذي فيه يتم انزال الجيوش. أما فيما يخص بالجيش الثامن، فكان عليه أن يعبر مضيق مسين في ٣٠ (أغسطس) ولم يعين له غرض آخر. فالحقت في ١٩ (أغسطس)، أن يحددوا لي العمل المطلوب مني في إيطاليا ففعلوا وذلك في ٢٠ (أغسطس)

في بادئ الأمر، كانت نية القادة تكليف الجيش الثامن وحده باحتلال البر، وذلك على جهة مؤلفة من فرعين؛ ويسير انزال الجيوش على حسب خطتين:

خطة بوترس ، في منطقة جيواتورو ، على الشاطئ الشمالي من
قدم الجزمة .

خطة بيتاون ، عن سبيل هجوم مباشر بعد عبور مضيق مسين .
وفي أواخر (يوليو) ابتدأوا بالتفكير في خطة ثالثة تنفذ في منطقة
سالرن . وكان اسم تلك الخطة « أفالانش » ، وهي في رأي خطة حسنة
كان يجب تركيز مجهودنا كله عليها ، ولكن لم نفعل .

وفي ٧ . (أغسطس) تقرر العدول عن خطة « بوترس » وجعل
فرعي العاشر المكلف بتنفيذها سابقاً تحت تصرف الجيش الخامس
الأمريكي المكلف بخطة « أفالانش » . فقرر حينئذ أن احتمال البر سيقوم
به جيشان : الجيش الثامن عن سبيل مضيق مسين (خطة بيتاون) .
والجيش الخامس الأمريكي ، في سالرن (خطة أفالانش) .

وابتدأت مشاكلنا :

ذلك لأن السلطات ، دعماً لخطة أفالانش سحبت عددًا من السفن
المجهزة لخطة بيتاون ، فأصبحت وليس معي قائد أسطول أو أركان
بحرية لبحار الجيش الثامن . فاحتججت وطابت من الكسندر أن
يؤيدني ولكن عبثاً فعات ، فأصبحت خطة بيتاون آخر الأمر عملاً
مستحيلاً . ففي ١٩ (أغسطس) بعد الظهر أبرقت إلى الكسندر قائلاً
إنني أتوقع من العدو مقاومة لا بأس بها عند انزال جيشي فما الغرض
المطلوب منى تحقيقه بالضبط ؟ هل هو تأمين المواصلات البحرية في
المضائق واحتمالة انتباه العدو إلى تسهيل العمل لخطة « أفالانش » ؟

فإن كان الجواب بالنفي لابد من اطلاعى عليه . لأننى أوافق على أن خطة « أفالانش » لابد من أن يكون لها الأسبقية والأفضلية فى التنفيذ إلا أننا لا يمكننا أن نقبل بأن يكون الفشل فى « الجزمة » الإيطالية أول عاقبة لعملائنا فى أوروبا . ولذا فإننى فى حاجة إلى تعليمات واضحة فيما يختص بتاريخ وغرض كل عملية يرغبون فى أن أقوم بها بعد أن أعبر مضيق مسين ، ويجب أن أتمكن من تحقيق تلك العملية فيجعلون تحت تصرفى العدد اللازم من السفن ورجال البحرية استعداداً لمقاومة قد تحدث عند انزال القوة .

وفى ٢٠ (أغسطس) وصلنى من الكسندر ما يخص تعليمات جواباً على برقيتى . « إن مهمتكم أن تحافظوا على الأمن ضمن رأس جسر موجود فى مؤخر « الجزمة » الإيطالية لتسملو على قرانا البحرية "عمل فى مضيق مسين . وإذا ما انسحب العدو من مؤخر « الجزمة » فلا بد من أن نتبعوه بالقوى التى تستطيعون حينذاك أن تتصرفوا بها لتلك الغاية . ولكن يجب ألا ينسبكم عمالكم هذا أنكم على قدر ما تصرفون قوى العدو إلى طرف إيطاليا الجنوبي بذلك القدر وتسدون خطة « أفالانش » . »

وفى الأمر هذا نظر — فإن محاولة قط لم تحدث لتوافق عمائى الجيش الخامس الأمريكى المعين انزاله فى سارن فى ليلة ما بين ١٠ و ٩ (سبتمبر) ولم يقدروا أن الجيش الثامن يستطيع تجاوز ٦٠ ميلا من ريجيو فى الكلابر . وبحسب ذلك قدرت لنا خطتنا .

والجميع يعلم الآن ما حدث . فإن انزال الجيوش في سالرن لم يتم
بالسهولة المقدرة فطلبت إلى أن اندفع إلى الامام وأسند الجيش الخامس
الأمريكي مما أدى إلى اثاره بعض مشا كل إدارية في جيشي .

فجمع أيزنهاور قادة العمليات في الجزائر في ٢٣ (أغسطس) وطلب
منى أن أعرض خطتي 'عملية د بيتاون ، فشرحت كيف أصبحت غير
قادر على تنفيذ تلك العملية في ليلة ما بين ٣٠ و ٣١ أغسطس ، وكيف
صرت الآن قادراً ، بعد أن توفرت لدى السفن اللازمة ، على أن
احتلها في ما بين ٢ و ٣ (سبتمبر) . فأعلنت الساطات البحرية أنها
ان تستطيع أن تعمل قبل ليلة ٤ و ٥ (سبتمبر) . فاقترح أيزنهاور على
كننجم أن يمضى بنفسه ويدرس الحالة في مكانها وقرر نهائياً أن
د بيتاون ، ستم في ما بين ٣ و ٧ (سبتمبر) .

واطاعنا أيزنهاور ، بعد ذلك ، على المعاملات القائمة بين الحلفاء
والحكومة الإيطالية لدرس شروط هدنة يطلبها الايطاليون . فإن
كل شيء كان يدل على نيتهم في الانسحاب من الحرب ، حتى وأنهم
أظهروا استعدادهم إلى الانضمام إلينا ضد الألمان . فأبدت عدم
اطمئناني إلى النقطة الثانية ، وقلت إن الحد الأقصى الذي يمكننا أن
نطلبه من الايطاليين في تعاونهم معنا هو أن يساعدونا في الورا ،
و ألا يتعاونوا مع الألمان في المناطق التي لا يزال هؤلاء فيها . ثم أضفت
أن الأمر إذا كان كذلك فالمقاومة ضد د بيتاون ، لن تكون في الشدة
التي كنت أخاف منها .

وحينئذ عرض ماك كلارك ، قائد الجيش الخامس الأمريكى ،
لخطته فى إنزال قواه فى سارن فى ما بين ١٠ و ١٩ (سبتمبر) . فرأيه فى
ذلك هو أن للامان ٢٠ فوجا على نحو التقريب فى إيطاليا ، فيمكنهم
أن يوجهوا بسرعة لا بأس بها من هذه الأفواج ضد الجيش الخامس
ولكر لم ينتبه الحاضرون إلى قوله لأنهم جميعاً كانوا متفائلين بسبب
توقع انضمام الايطاليين إلينا . أما أنا فما كنت لأشـاركهم
فى ذلك التفاؤل .

انزال الجيش الثامن فى أوروبا

فى ٢ (سبتمبر) أذعت على جنودى بياناً أطلعهم فيه على نية
نزولنا فى سواحل ايطاليا . وفيما قلت أننا بذلك يتم لنا الشرف بأن
نسكون أول جيش من جيوش الحلفاء نزل على البر الاوروبى وأننا على
ثقة تامة من نجاح عملياتنا لأننا مزودون بالعتاد والأسلحة اللازمة
لنأمين ذلك النجاح .

كنت حينذاك أستعد للنزول فى ٢ (سبتمبر) وهو تاريخ الذكرى
الرابعة لإعلان الحرب العالمية الثانية ، ولدخولنا فى السنة الخامسة
من تلك الحرب ، وتتاح لنا الفرصة للأخذ بثأرنا للمرة الثالثة .
فى (مايو) ١٩٤٣ رميت الامان إلى البحر فى تونس ، ثم فى (أغسطس)
١٩٤٣ رميتهم إلى البحر للمرة الثانية فى صقلية .

أما الإيطاليون جنوداً ومدنيين ، فكانوا يؤدون لنا المساعدة

النافعة . فالجنود يحرسون الشواطىء والمدنيون يدلوننا على حقول
الآلغام التى تعترض تقدمنا ، فيبقون بذلك من الموت روح الكثيرين
من البريطانيين . ولاشك فى أن كتاباً رسمياً سينشر عن تاريخ العمليات
فى إيطاليا . إلا أن التاريخ الرسمى ، فيما أرى ، لا يكشف عادة عن العوامل
الأساسية المتسترة وراء الحوادث وتحتها . فلنقف عند تلك العوامل ،
ولنتأمل الحوادث من دواخلها .

تم إنزال الجيوش بسهولة فى أول الأمر ووصلنا بسرعة إلى البر .
إلا أن الصعوبات ابتدأت تعترضنا بعد تجاوز الشواطىء بقليل ، فكان
سيرنا إلى الأمام بطيئاً .

فى ٥ (سبتمبر) وصل ألكسندر عن سبيل الجو إلى رجيو
 واجتمعت به فى المطار . فأطلعنى على أن الإيطاليين كانوا قد وقعوا
 فى ٣ (سبتمبر) على الشروط التى فرضناها عليهم للهدنة ، إلا أن الخبر
 لم يذع بعد . أما الأمور فستسير على نحو ما يلى :

(أ) فى ٨ (سبتمبر) ، فى الساعة ٦ مساءً يذيع بادوليو فى روما
وايزنهاور فى الجزائر أن الإيطاليين قبلوا الاستسلام دون قيد ولا شرط
(ب) فى ٨ (سبتمبر) ، فى الساعة ٩ مساءً ستصل قوى أمريكية
عن طريق الجو إلى قرب روما . وفى الوقت نفسه تستولى على المدينة
الآفواج الإيطالية الموجودة فى جوارها .

(جـ) إن الجيش الإيطالى سيحتل تارنت ، يرنديزى ، بارى ،
ونابولى .

(د) فى ٩ (سبتمبر) ، فى الساعة ٣٠ ر ٤ ، سينزل الحلفاء جيوشهم على النحو التالى :

— الجيش الخامس الامريكى فى سالرن يتجه نحو نابولى .

— الجيش الخامس البريطانى ينزل فى تارنت .

وكان ألكسندر جد متفائل فانفردت به وأطلعته على رأيه وهو أولا أن الإيطاليين أصبحوا الآن يكادون لا معنويات لهم فلن يقووا على مقاومة الألمان من الناحية العسكرية ، بل وإن هؤلاء سيسحقونهم سحماً ويجردونهم من أسلحتهم . ومن الممكن أن يساعدونا بتحرشاتهم المنفردة بالوحدات الألمانية فى الجبال والمسالك الوعرة وبأعمال النفس وغيرها ؛ ويحمل الشعب الإيطالى على عدم التعاون مع الألمان وهى كلها مهمات لا تكون بعمل عسكري على نطاق واسع . وعلى كل حال فإن موقفنا مع الإيطاليين يجب أن يكون حازماً صريحاً وأن نتدبر مقدماً ما سنأخذ من إجراءات ضدهم إذا لم يتقيدوا بشرط الهدنة . ولا نأقدم على عمل إلا بروية وإمعان نظر : فلا نستخف قوى الألمان فى إيطاليا : فإنهم لا يزالون أقوياء ونحن ضعفاء ، فقد يستطيعون أن يركزوا هجوماً ضد أفلانش ، بأسرع ما يمكننا أن نتثبت فى البلاد . أن رومل لا يزال فى إيطاليا ، ولطالما حاربت ضده ، وهو لا يزال تحت تصرفه عشرون فوجاً ، خمسة منها مصفحة . وإذا بثونا بالفشل فى عملية إنزال جيوشنا فى سالرن ، فإننا سنضطر إلى قتال صعب طويل فقبل أن نباشر بعمليات واسعة النطاق فى البر الأوروبى يجب أن نتقيد

بادئ الأمر بخطة عامة نسير فيما بعد بمقتضاها ، ولم أسمع قط حتى الآن عن خطة مثل تلك ، وأظن أنه ليس لدينا خطة قط .

وكان الكسندر صاغياً إلى ما ذكرته له . إلا أنه ما أظنه كان مقتنعاً به .

ونعلم الآن كيف جرت الحوادث . فإن الألمان اهتموا فوراً بالإيطاليين فجردوهم من أسلحتهم . وأخذت الصعوبات تعترض الجيش الخامس في سيره وتفاقت حالته في ما بين ١٣ و ١٤ (سبتمبر) فأسرت إلى نجدهته على إيعاز من الكسندر وفي ١٦ (سبتمبر) اتصلت قوى الجيش الثامن الألمانية بجانب الجيش الخامس الأيمن . فكتب إلى كلارك بشكرني على إسراعي إلى نجدهته . ولا شك في أن قواتي كانت تستحق التقدير للطريق التي قطعتها (٣٠ ميل في ١٧ يوما) بالرغم من الصعوبات الشاقة التي كانت تعترضها إلا أنني أظن أن الجيش الخامس الأمريكي قام حينئذ بالمهمة المفروضة عليه بدون مساعدتنا .

وبعد اتصالنا بالجيش الخامس الأمريكي جاءني أمر بتوجيه سيري نحو الشرق فافتضى ذلك على أن انقل مراكزى الإدارية التموينية من الكلابر إلى المرافئ الإيطالية في المنطقة الشرقية .

ولما انتهيت من ذلك باشرت بتقدم نحو الشمال لأخذ فوجيا ومطاراتها وجرت بينى وبين العدو اشتباكات قوية على خطوط النهرين ترينيو وسنجرو .

في منتصف سبتمبر حصل سوء تفاهم بيني وبين قائد الجيش السابع الإيطالي . الجنرال ريزيو . كان الإيطاليون قد قرروا الانضمام الى الحلفاء وظننت من وراء أحاديث نقلت ، أن نية ريزيو في أن يجعل الجيش الثامن تحت قياديه بصفة أقدم قائد جيش في إيطاليا الجنوبية . فقصدته فوراً لتوضيح كل أمر مبهم وكنت عازماً على أن أصارحه بدون هوادة أنه كان من الواجب عليه أن يجعل نفسه وجيشه تحت تصرفي ويتقيد بأوامري تقيداً تاماً . غير أنني لم أضطر إلى ذلك لأنني وقت اجتماعي به ، رأيت نفسي أمام رجل في غاية اللباقة واللفظ لاهله إلا مساعدتنا والتعاون معنا ضد الألمان .

أغادر الجيش الثامن

في صباح ١٤ ديسمبر أفقت باكراً بسبب برقية من المكتب الحربي فيها أبلغ أنني مطلوب إلى إنسكلترا لأحل محل الجنرال باجيت على رأس مجموعة الجيوش الواحدة والعشرين ، وهي مجموعة الجيوش البريطانية المجهزة لإحداث جبهة ثانية على سواحل المانش في فرنسا .

لا شك في أنني كنت جد حزين لمغادرة الجيش الثامن ، ولكنني كنت من ناحية أخرى شديد الاعتباط لتعييني لهذا المنصب العظيم وهو احتلال البر الأوروبي لنشار لدنكرك .

وكنت أشعر في الوقت نفسه بالارتياح والانفعال العميق . فسبب الارتياح هو أنني لم أكن مسروراً من حالتنا وتصرفنا في إيطاليا الأخطاء

التي ذكرت سابقاً والتي أخرتنا في عملياتنا وحالت بيننا وبين أن نستطيع استثمار موقفنا الأولي الذي كان ممتازاً ، قبل دخول الشتاء .

أجل إننا كنا قد أصبنا فوائد لا بأس بها فأخذنا صقلية، وأخرجنا إيطاليا من الحرب وحجزنا الأسطول الإيطالي في مالطا ، واحتلنا ثلث إيطاليا على نحو التقريب مما فيه نابولي ومطارات فوجيا ، إلا أن كل ذلك كان خسارة للإيطاليين ، أما الألمان وهم عدونا الأول ، فإننا لم نتمكن من أن نصيبهم بضرر قط قبل الشتاء ، وذلك لأننا لم نقبل على العمل كما كان يجب ولذلك كله كنت مرتاحاً لمغادرتي إيطاليا وعازماً على ألا ترتكب الأخطاء نفسها في المنطقة التي أصبحت مسؤولاً عنها ثم إنه قبل تعييني ببضع أيام لوظيفتي الجديدة كان ايزنهاور قد عين قائداً أعظم للحرب في الجبهة الثانية .

وفي ٢٤ ديسمبر بعد الظهر ، أذاعت البيبيسي . ن لندن التعيينات الجديدة : ولسن تخلف لايزنهاور في منصبه السابق ، الكسندر باقياً في وظيفته . وأنا كقائد ألى لمجموعة الجيوش الواحدة والعشرين .

وبما أن العادة المألوفة كانت تسمح لكل قائد جيش أن يختار عدداً من مساعديه الأقربين ليعملوا في المنصب الذي نقل له ، فقد اخترت ده جنجان كرئيس أركان ، وجراهام كرئيس المصالح الادارية ووليمز كرئيس مصلحة الاستعلامات ، وريناردس كاستشار للصفحات وهيوز كمرشد أعلى . وكنت عازماً على أن أدعو غيرهم فيما بعد . فطلبت من المكتب الحربي أن يوافق على نقل هؤلاء الذين ذكرتهم أولاً ، ففعل

باستثناء جراهام وهيز . فقررت أن آخذ معى جراهام وأن أتعرض
لـسخط لندن ، أما هيز وباشم ، الذى كنت أريده كرئيس أركان
العمليات التطبيقية والذى أراه صالحاً أن يحل محله إذا ما مرض جنجان
وكان يحدث له ذلك بعد العمل العنيف - فأرجأت أن أدعوهم لى فى
الأيام التالية بعد أن أكون قد توضحت الأمور فى لندن .

وقضيت يوم الميلاد فى مقر قيادى التكتيكى مع رفاقى منذ العدين
وهناك أطلعت ده جنجان على رغبتى فى أن أراه وحده بعد الظهر .
وحيتئذ أخبرته بأننى اخترته كرئيس أركانى فى قيادى الجديدة
وذكرت له أسماء الباقيين . فسر وسررت أيضاً لأن ده جنجان كان
يعرفنى ويعرف طريقي وهذا مهم . .

كان أوليفيه ليز قد عين ليحل محلى فأخبرنا أن يصل إلينا فى ٣٠
(ديسمبر) فقررت أن أغادر الجيش الثامن فى ٣١ منه ، فان ليز يعرف
الجيش الثامن معرفة تامة فيسهل ذلك علينا تسليم السلطات والمسؤوليات
وفى ٢٧ (ديسمبر) ركبت الطائرة إلى الجزائر لاجتماع بايزنهاور
وبدل سميث الذى كان يرافقه كرئيس أركان .

فقال لى لـيزنهاور إنه يطلق لى الحرية التامة لتتيم المرحلة الأولى
من المعركة البرية وأنه سيضع تحت تصرفى كل القوى الأمريكية الموجودة
آنذاك فى إنجلترا . فمتباحثنا فى شأن تشكيل القيادة وشأن الضباط
الأميركيين الذين قد أحتاج إليهم فى مقر قيادى الجديد لمجموعة الجيوش

والأمر الذى كنت أراه صعباً على حقا هو وداعى لضباط ورجال مقر قيادة الجيش الثامن ، ومعظمهم يرافقوننى منذ العلمين . قلت لآنى سأودعهم فى ٣٠ (ديسمبر) فى فاستو حيث كان مقر قيادتى الرئيسى واقترح ده جنجان أن تكون الحفلة فى مسرح البلدية . فطلبت منه أن يرافقتنى إلى حيث، التى كلمتى الأخيرة لأننى كنت شاعراً أنه لابد لى من صديق مخلص حميم يكون لى جانبى ليمد لى يدها إذا ضعفت . وكنت قد طلبت من قوادفروعى أن يكونوا حاضرين جميعهم ، دمبسى وألفرى وفرايبرج قائد الفوج النيوزلندى ، وبرود هرست قائد الطيران الحربى فى الصحراء، وكان المسرح البلدى غاصا بالناس . ولغد وصف ده جنجان فى كتابه « عملية النصر » ، جو ذلك الاجتماع ، وهو جو مفعم بالعاطفة يسوده السكوت والتخشع .

ووصل لير فى الليلة نفسها فسلمته القيادة .

وفى صباح الغد ، ٣١ (ديسمبر) أقلعت طائرتى من المطار المجاور لمقر قيادتى التكتيكي ، وأنا فيها مع رفاقى الأربعة ده جنجان ، غراهام وليمس وريشاردس .

وفىما كنت أطيح فوق البحر المتوسط ، رحت أتأمل فى الماضى وأفكر فى المستقبل . وتذكرت رهانى مع أيزنهاور و يقينه من أن الحرب ستنتهى فى عيد ميلاد ١٩٤٤ . لا شك فى أنى كنت واثما الثقة التامة فى أن الأمر ممكن ، شرط أن تسير الحرب تسييراً سديداً ، إلا أنى ما كنت مقتنعا الاقتناع التام من أنه سيكون ثمة تسيير سديد .

الفصل الثاني عشر

في إنجلترا - قبل النهار

٢ (يناير) - (يونيو) ١٩٤٤



عندما وصلت إلى مراکش في مساء ٣١ (ديسمبر) وجدت رئيس الوزراء منصرفاً إلى درس نسخة عن خطة أوفر لورد - وهو الاسم السري لعمليات احتلال النورمانديا .

فسلمها إلى لالتي عليها نظرة ، فأجبتني لست مستشاره العسكري ولم أناقش قط أحداً في تلك الخطة حتى إنني لم أطلع عليها قط .

فسلم بصحة جوابي إلا أنه ألح على أنه يود مع ذلك لو أنني أدرس تلك الخطة وأطلع على رأيي فيها بعد قراءتي الأولى لها

فأجبت إنني سأقرأها قبل النوم ولأنني سأطلع على رأيي فيها صباح الغد ، وكان يعرف أنه من عادتي أن أنام مبكراً

وصل إيزنهاور إلى مراکش بعد الظهر . كان مسافراً إلى الولايات

المتحدة ليتباحث مع الرئيس روزفلت قبل أن يتسلم وظيفته الجديدة كقائد أعلى للعملية أوفر لورد . كنت قد رأيته في الجزائر قبل ذلك ببضعة أيام وعلمت حينذاك أنه لم يكن عنده عن الخطة إلا فكرة سطحية ، وأنه لم يستحسنها . فكلفني أن أحل محله في لندن في كل شيء وأن أعيد النظر في الخطة وأعدّها إلى حين رجوعه في منتصف (يناير) فألفت نظره إلى أن بدل سميت ، وهو رئيس أركانه ، سيكون هو أيضا في لندن ، ولذا طلبت منه أن يخبره كتابة بأنه كلفني أن أحل محله حتى رجوعه من أميركا . وكل هذا الذي قد تم في الجزائر ، ولم أجتمع بايزنهاور في مراكش إلا فترة قصيرة وسافر إلى الولايات المتحدة في أول (يناير) .

في ليلة رأس السنة تناولت العشاء مع رئيس الوزراء ورجال أركانه وامراته . وكنت عالما أن السهرة ستستمر حتى نصف الليل على الأقل فاعتذرت وانسجبت فوراً بعد العشاء مدعياً أنني أريد الاطلاع على خطة أوفر لورد .

فأخذ مني ذلك الاطلاع بضع ساعات ودونت آرائي الأولى وحملتها إليه في صباح الغد وهو لا يزال في سريرته والآراء المهمة في الموضوع يمكن أن ترد إلى البنود الأربعة التالية :

١ - لم أطلع قط على خطة أوفر لورد قبل ذلك اليوم أو (يناير) ولم يحدثني أحد بها ولم أتصل قط بأحد في شأنها من قبل ولذا فإن آرائي تلك ليس لها الأهمية نسبية وهي آراء دبرتها بعد اطلاعي الأول فقط على الخطة المذكورة .

٢ - إن المرحلة الأولى لإنزال الجيوش تقع على جبهة ضيقة جداً وضمن منطقة أصغر من أن تسع الأفواج كلها فلا بد من أن تعم القوضى العمليات التي نباشر بها ولا يسعنا بعد ذلك الاشراف على تسيرها وتوجيهها . ولذا فإننى أرى أن الخطه تلك مستحيلة التنفيذ .

٣ - من ناحية الجيش فتمط ، لا بد من تأمين النقاط التالية وهى أن انزال القوى يجب أن يتم على جبهة واسعة ، وكل من الجيشين البريطانى والأميركى ينزل فى منطقة غير منطقة الآخر ، فيتمسنى لكل منهما أن يتطور بعملياته يسر وسهولة ويحاول أن يؤمن له مرفأ فى أسرع وقت ممكن .

٤ - إن نموذج الخطة الصحيحة كما يلى : ينزل من الجيش البريطانى فرعان وإذا أمكن ثلاثة فروع . وهكذا أيضاً من حيث الجيش الأمريكى . ثم تضاف إلى هذه الفروع أفواج تتوالى ويساعد الطيران تلك القوى فى تقدمها . وبلى ذلك فوراً سيارات غير مصفحة بعدد ضخم . أما المعركة الجوية فيجب أن نربحها قبل أن نباشر بالعمليات البرية ، وغرضنا بعد ذلك أن نربح المعركة البرية بفضل سرعة عملياتنا وعنفها .

فأبدى رئيس الوزراء سروراً قوياً عند اطلاعه على أرائى تلك ، وطلبت منه أن يعيد لى ورقى إذ أن المدون عليها ما كنت ناقشته مع المسؤولين وما كنت أريد فور استلامى لوظيفتى الجديدة أن أدخل فى مشاكل مع الذين صمموا خطة أوفرلورد فى لندن . إلا أن تشرشل احتفظ بالورقة واعدأ بأبه لن يستخدمها إلا لتثويره الشخصى .

لو اقترحت السيدة تشرشل أن نقضى نهارنا فى أرياف مراکش ففعلنا . وفى الطريق صارت رئيس الوزراء بأن عادى ، فيما يختص بالخطط ، هى ألا أتأخر فى أن أطلع على خططى هؤلاء الذين كان عليهم أن ينفذوها فى ساحة الحرب ، وغايتى من ذلك هى التمكن من تغيير ما نريد وأن نغير فيها بيسر وسهولة ، ولذا فإن تلك الخطة يجب أن تصمم بسرعة ، ولم يتم ذلك فيما يختص بخطة حرب صقلية فلم ننجح فيها النجاح التام ، وها نحن الآن فى المشكلة نفسها مع خطة أوفرلورد .

ولشد ما كانت فرحتنا أثناء تلك النزهة فى الأرياف المراكشية . ثم اننى أثناء زيارتى تلك القصيرة إلى مراکش استطعت أن أتعرف إلى تشرشل وزوجته تعرفاً تاماً فكان ذلك مبدأ صداقة عميقة مازالت روابطها فيما بيننا تقوى وتشتد .

وفى ليلة أول يناير ، بعد العشاء ركبت الطائرة إلى لندن حيث وصلت فى ٢ منه .

ان ده جنجان والضباط الآخرين الذين أخذتهم من أركانى فى الجيش الثامن كانوا قد سبقونى بأربع وعشرين ساعة إلى العاصمة وكان مقر قيادة مجموعة لجيوش الواحدة والعشرين فى مدرسة القديس بولس وهى مدرستى إذ كنت لا أزال طفلاً . فسكنت الجناح المقابل للدرسة نفسها وطلبت من رامسى ، القائد البحرى الأعلى فى خطة أوفرلورد أن يأتى مع كرىزى ، رئيس أركانه ويسكن معى فسكننا بذلك عدداً من الأشخاص مجتمع فرحين مرحين إلى العشاء ، ونسترسل إلى الأحاديث

المختلفة المواضيع . وغالب الأحيان تنهى تلك الأحاديث بالمراهنات . فافترحت أن نخصص كتاباً فيه تسجل تلك المراهنات مع توقعات أصحابها ، كما كانت العادة في الجيش الثانى . والكتاب ذلك لا أزال محتفظاً به ، وله قيمة تاريخية لا بأس بها لما يحتوى عليه من آراء سياسية وحرية وتاريخية وقع عليها كبار من رجال السياسة والحرب لأستطيع أن أذيع أسماءهم الآن لأنهم لا يزالون على قيد الحياة . أما المراهنات فإنها تتناول شتى المواضيع ولكنها غالب الأحيان تقوم على تاريخ نهاية الحرب ، كالرهان الذى تم بين بين أيزنهاور والذى ذكرته فى أوامه سابقاً .

إلا أننا ما كنا لنقضى وقتنا كله بالمراهنات . فإنتى ، وقت وصولى إلى إنجلترا ، استطعت أن أقدر المجهود الجبار الذى ينتظرنا ، وهو مجهود عملية حربية لا عهد للتاريخ بها حتى ذلك اليوم .

والمهمة الأولى التى انصرفت إليها هى التبديلات اللازمة فى مقر القيادة العليا لمجموعة الجيوش الواحدة والعشرين . فهو مؤسس منذ أربع سنوات والضباط الداخلون فيه مع سعة علومهم وشدة تمارينهم ، لم يكونوا على خبرة تامة بالمعارك والحرب الواقعية علاوة على أنهم كانوا متمسكين تمسكاً شديداً بآرائهم القديمة . فالتجديدات اذن ، كان لا بد منها ، وكان لا بد من ضباط أركان اختبروا الحرب عن قرب ، مطلعين على أساليب ، فيقدمون بدون تردد على العمل وتنفيذ الأوامر ، تحت توجيه ده جنجان وإرشاده . فتحقق ذلك ، ولكن لم يتم لى بدون صعوبة ، فراحات الاحقاد والضعائن تعمل أعمالها فى اديه لندن .

ثم أن الجنرال باجيت الذى خلفته فى الوظيفة كان معى فى سند هرست وكما صديقين حميمين ، وهو يتوقع تغييره ويود لو أن قائداً شاهد الحرب عن قرب يحل محله . إلا أنه لم يكن راضياً على الشكل الذى تم به تبدله : فإنه قد عين أولاً لقياده جبل طارق وهى قيادة ليس لها كبير أهمية ، ولكنه عين للقيادة فى الشرق الأوسط فى نهاية الأمر .

وأخيراً كانت التبديلات لا بد منها حتى فى صفوف الجنود المعدين للقتال ، وليس فقط فى ضباط الأركان والمكاتب ، وإن المعركة يرجحها الضباط الذين يقاتلون على رؤوس وحداتهم المختلفة . وذلك راجع إلى مهارتهم فى تسيير قواهم أثناء القتال ، فلا بد لهم ، بعد ذلك ، من اختبار الحرب اختباراً عملياً . وما كان مثل هؤلاء الضباط فى الجيوش الموجودة فى إنجلترا حينذاك . فأحدثت التبديلات اللازمة لسد تلك الثغرة احقاداً وقوبلت تبديلاتى بالاستنكار أولاً ثم ما لبث الجمهور أن فهم قصدى فاقنع .

أما المشكلة المهمة التى شق حلها أول الأمر فهى مشكلة العلاقات بين الجيش والمكتب الحربى .

فإن ذلك المكتب كان شديد المراقبة لكل عمل يقوم به الجيش فى المملكة المتحدة ، وهى مراقبة أشد من التى تكون على جيش فى ساحة الوغى .

ورأى أن مجموعة الجيوش الواحدة والعشرين كانت إذ ذاك كجيش فى قتال يجب إعدادده لمهاجمة الألمان فى القريب العاجل .

فلا بد لذلك من توجيه شديد يقوم على سرعة نقل الأوامر وتنفيذها .

فدعوت كل القواد إلى محاضرة في مدرسة التمديد بولس في ١٣ (يناير) وأطلعهم على أساليب والجو الذي أريد أن نعمل فيه . فوافق الجميع ، إلا أن بعضهم لاحظوا أن كل ذلك يتطلب تبديلات ثانوية في الخطط والطرق المألوفة حتى ذلك الوقت ، وكانوا قد طلبوا تحقيقها من المكتب الحربي فلم يحصلوا على جواب . فوافقت في الحال على تلك التبديلات وأمرت بتعميقها فوراً .

إلا أنه كان بين الحاضرين ضباط من المكتب الحربي ما كنت لأرضيهم في تصرفاتي فنقلوا الخبر إلى رؤسائهم في المكتب الحربي وأثاروا سخطه على .

فبلغني من بروك أن سكرتير الدولة للحرب ، السرجامس جريج ، مستنكر بشدة قلة مبالاقي الصريحة بسلطة المكتب الحربي . فاضطربت لذلك ، لأنني ما كنت لأنجح في إعداد جيوشى للحرب بدون مساعدة تامة من قبل المكتب الحربي

فأشار بروك إلى جريج أن يدعوني إلى تناول الغداء معه فيمتسنى لنا حينئذ أن نتباحث طويلا في الموضوع .

وما كنت أعرف جريج معرفة تامة حينذاك . فتقبلت ذلك الاقتراح بسرور .

وفي أثناء الغداء عرضت لجريج حرج الموقف واعتذرت له عن الإسراع في العمل طالبا منه أن يدعني أبأشر به عند الحاجة وأنا دائما

مستعد أن أقبل اللوم منه عندما يرى اللوم سبباً . فالشرح صدره
لكلامي هذا وكان ذلك بدء صداقة فيما بيننا .

ولأننى الآن أرى أنه كان خير سكرتير دولة أسعدنا الحظ به
فى المكتب الحربى . هذا ولأننى لم أطلب من ذلك المكتب إلا تبديلاً
واحداً فيما يختص بالقيادة العليا ، وهو تبديل أندرسون بدمبسى على
رأس الجيش الثانى .

فإن دمبسى كان قائد فرع فى الجيش الثامن ، وكنت شديد
الإعجاب به ، وخدم إلى جانبى كقائد للجيش الثانى ولم تنزع قط
ثقتى به .

وقبل ١٩٤٤ بمدة طويلة كان فى لندن مقر قيادة مكلف بدرس
إعادة جيوش الحلفاء إلى المنطقة الشمالية الغربية من أوروبا .

والشرف على ذلك المقر هو فردى مورجان الذى كنت أعرفه
معرفة جيدة ، وشكالى غير مرة الصعوبات التى يتكبدتها فى سبيل
تصميم خطة لائقة ، وهو لا توجيه له ولا استعلامات لديه إلا عن
القوى الممكن استخدامها فى العملية الواسعة تلك ، وهى استعلامات
يتلقاها من الأركان المتألفة المقيمة فى واشنطن . هذا مع العلم أنه
يعمل وحده ، أعنى أنه لا يعمل إلى جانبه قائد جيش عرف الحرب
الحديثة عن قرب واختبرها .

وكنت كلما ازددت اطلاعا على الخطة التى صممها مورجان لمجموعة
الجيوش الواحدة والعشرين ، كلما قلت بها ثقتى للأسباب التى ذكرت

في أوانها سابقا من ضيق الجبهة والفوضى التي لا بد من أن تشمل العمليات وهي ليس لها مركز واسع تبتدىء منه ثم تتطور. هذا علاوة على أن تلك الخطوة كانت تقتضى أخذ مرفأ شربورج . مع أننا لا بد لنا من الاستيلاء على ذلك المرفأ بسرعة لتسيير عملياتنا بالسهولة اللازمة فيما بعد .

وما كنت أرى فكرة واضحة عن كيفية تطور القتال بعد إنزال الجيوش على الشواطئ . نورمندية . فقصدا أن نحدث ساحة وغى أخرى على البر الأوروى ، ول يتم ذلك إلا بمراحل ثلاث : معارك متتالية في أوروبا الغربية ، تحطيم قوى العدو ، احتلال ألمانيا . فمن اللازم إذن أن نقرر أول الأمر كيف نسير المعارك البرية ، فنؤمن بمقتضى تصميمنا لذلك التسيير الاستيلاء على السواحل التي نراها أشد موافقة من غيرها لإنزال جيوشنا . والظاهر أننا أقبلنا على المشكلة من الطرف المعاكس .

فاستعلاماتنا في ذلك العهد (- يناير) - ٩٤٤ - تدل على أن الألمان في فرنسا أكثر من ٥٠ فوجاً . ٦٠ منها ، على نحو التقريب من البانزر وحساب وليس يدل أيضاً على أننا سنضطر إلى مقاتلة ٦ أفواج ألمانية في مساء أول يوم إنزال الجيوش فلماذا المخاطرة إذن ؟ فإن فشلنا في إنزال جيوشنا في نورمنديا يزيد ذلك في مدة الحرب سنوات وسنوات .

لا بد لنا ، على البر . من أن نشق طريقنا بالقتال ومن أن نستقر بسرعة قبل أن يتمكن العدو أن يأتي بقواه الاحتياطية ليطردها من

حيث وصلنا ؛ وفي تلك الأثناء يحمى طيراننا المراكز التي نتحصن فيها ويعرقل حركات العدو وتنقلاته بنسف الطرق وخطوط السكك الحديدية .

ثم إن مرحلة هجومنا الأولى يجب أن يقوم بها ه أفواج على الأقل ويضاف إليها أفواج أخرى تحمل عن طريق الجو وتنزل على جوانبنا حتى تمنع العدو عن أن يعترضنا في تقدمنا إلى الداخل . ولذا لا بد لنا من ٨ أفواج في مساء اليوم الأول و ١٢ فوجاً في مساء اليوم الثالث من إنزال الجيوش ، و ١٨ فوجاً بعد ذلك بأسبوع . وهذا عمل جبار يتطلب استحضار سفن من أساطيل البحر المتوسط ويتطلب أيضاً مطارات يمكن أن تنقل فيها الأفواج ثلاثة ثلاثة .

وكان أيزنهاور قد كلفني أن أحل محله في كل شيء فاجتمعت غير مرة مع أعلى قادة البحرية والطيران ، كما اتنى اجتمعت أيضاً مع أعضاء أركاننا المختلفة . كنا جميعاً على يقين من أن عملية أوفرلورد هي محور الحرب في أوروبا ، فيجب تقديمها . تقويتها على كل عملية أخرى ، وما كنا لنستطيع أن نفترض قط فشلاً فيها .

فبعد إعادة النظر في الخطة اتضح للفر أن نجاحنا متعلق بأن تعتبر عملية أنفيل كتهديد بسيط ليس غير ، وأن السفن المخصصة لتلك العملية تنقل إلى أوفرلورد .

وعملية أنفيل تلك عبارة عن إنزال جيوش يتم في جنوبي فرنسا . شرقي تولون ، والقوى التي تنزل مأخوذة من الجبهة الإيطالية وهذه

فكرة أميريكية ، فيما سمعت ، ولم نجدها سلطة بريطانيا قط . فنظرية الأميريكين هي أن تعتبر أوفرلورد وانفيل ككل واحد ، والغاية من انفيل صرف جزء من قوى العدو إلى جنوبي فرنسا فيضعف ضغطه على أوفرلورد . وأنفيل . وكان الفرنسيون يجذبونها .

وما زالت المناقشات تدور حول أنفيل حتى (أغسطس) وكنا نحن ننهى من تطوير الألمان في منطقة فاليز . ولأمر ما أجهلة بدل أسمها فعرفت بعدئذ بعملية « دراجون » . فبوشر بتنفيذها في ١٥ (أغسطس) وكانت ، في رأي أكبر خطأ استراتيجي ارتكبه الحلفاء في الحرب . ففيما بين أواخر (يوليو) وأوائل (أغسطس) وقعت في شأنها مناقشة عنيفة بين أيزنهاور ورئيس الوزراء . ورأى أيزنهاور أنه سيقوى موقفه من تشرشر إذا استطاع أن يقول له إنني أوافق على أن يباشر بتلك العملية في (أغسطس) كما كان قد قرر . وضعفت أمامه ووافقت على رأيه مرغماً إذا إنه في (أغسطس) كان كل شيء معداً لانزال الجيوش في جنوبي فرنسا .

وافق أيزنهاور في ٢١ (يناير) على خطة أوفرلورد الهائية وهي الخطة الأساسية بعد أن أعدنا النظر فيها ونقحناها . فأخذنا نطبقها بعد ذلك في أدق تفاصيلها . فنتج عن ذلك عمل جبار في الجيوش كلها مما اضطر الأركان إلى مجهود عنيف مستمر . ولا غرو إن تلك الأركان تحت توجيهه ده جنجان . كانت تسير السير السديد وما أظنك تجد حينئذ فئة أوفر اختباراً من تلك التي كان يؤلفها ده جنجان ، جرادام .

بلشم ووليمس ، والتي انضم إليها بعد هربرت (اليوم ليوتنان - جنرال سراتوى هربرت) رجل للعمل الذى لا يعرف للتعب معنى .

وأريد هنا أن ألفت النظر إلى خواص الخطة الأساسية بالنسبة لتطور العمليات بعد أن عسكرنا فى البر . فمن تلك الخواص قامت شبهات أدت إلى صعوبات شاقة فيما بعد .

كانت نمتنا الاستيلاء فى الوقت نفسه على الشواطىء النورمندية الواقعة فى شمالى مصب كارنتان وعلى ما بين تلك المنطقة والأورن وغايتنا من كل ذلك احتلال منطقة تشتمل على مطارات مع مرفأ شربورج نتخذها كقاعدة لعملياتنا فيما بعد . هذا مع العلم أن مفترق طرق د كان ، يشكل بجانب الأيسر أو الشرق لذلك المركز .

وكان الجزاز أيزنهاور قد سلمنى قيادة كل القوى البرية المعدة لذلك الهجوم ، وتلك القوى جيشان فى أول الأمر - الجيش الثانى البريطانى وقائده دمبسي ، والجيش الأول الأمريكى وقائده برادلى) - أضيف إليهما بعدئذ جيشان آخران - الجيش الأول الكندى وقائده كيرران والجيش الثالث الأمريكى وقائده باتون والمهم هو أن يفهم قصدى الصحيح وهو أن أظاهر بأننى أريد شق جبهة العدو فى منطقة د كان ، مما يضطره إلى جميع معظم قواه ، ولا سيما المصفحة منها . فى تلك المنطقة محاولا بذلك صد الهجمات التى يقوم بها الجيشان الكندى والبريطانى تحت قيادة دمبسي . وفيما يكون العدو منصرفاً إلى القتال بمعظم قوه فى ذلك الجانب الشرقى تندفع القوى الأمريكية تحت قيادة برادلى لشق جبهة الألمان فى الجانب الغربى . والهجوم هذا يتجه نحو الجنوب أولاً

ثم يعدل به نحو الشرق إلى نهر السين وباريس . وأمل أن تكون فاليز محور ذلك التطويق الضخم فاقطع على العدو طريقه في جنوبي نهر السين بعد أن تكون القوى الجوية قد دمرت كل جسر ذلك النهر من تلك الناحية .

وكان عملنا كله معلقاً بتلك الخطة الأساسية التي عرضت لها غير مرة أثناء اجتماعاتنا في (فبراير) ، وتم الاتفاق عليها بين القادة المسؤولين جميعهم في ٧ (ابريل) .

فرايت بعد ذلك أن أدع لده جنجان وأركانه التدقيق في تفاصيل تلك الخطة صارفاً وقتي واهتمامي إلى مراقبة إعداد الجيش للجهود الذي قد يطلب منه . لجعل قطار خاص «رابيير» تحت تصرفي وأخذت اتجول في إنجلترا ، اسكتلندا وبلاد الوالش محاولا الاتصال بكل فرقة وكل وحدة . راغباً في أن أرى كل جنودي وأن يروني جميعهم ، حتى أعرفهم ويعرفوني وتم بيننا تلك الثقة المتبادلة التي بدونها ما كنت أتيقن من النجاح التام .

وعند منتصف مايو كنت قد زرت كل الوحدات القائمة في المملكة المتحدة وعدد الرجال الذين رأوني ورأيهم يربو على المليون ، وهم جميعاً معدون للدخول في معركة النورمانديا . فمن بينهم البريطانيون والامريكيون والفرنسيون الأحرار والبولونيون وهلم جرا . ولقد استهلكت تلك الزيارات مجهوداً جبّاراً أعينى . ولكنني كنت أرى مكافأتى وراحتى بالثقة التي أحرزتها عندهم . والذي سرز فوق كل شيء .

هو اطمئنان الجنود الأميركيين إلى والجميع يعلم حذرهم من كل أجنبي عن بلادهم . ولقد أكد لي ذلك كتاب جاءني من بدل سميت يهنتني فيه على عملي وعلى الثقة التي أخذ الأميركيون يشعرون بها نحوي بعد قيامي بذلك العمل .

ثم أن وزارة البوين طلبت مني . بعد وصولي إلى إنجلترا باسابيع قلائل ، أن أقوم برحلة تفتيشية في معامل مناطق البلاد المختلفة . والناس يعملون فيها لتجهيز العتاد للجيش ولا سيما لخطه أوفرلورد فيزيدون إلى وقتهم النظامي ساعات إضافية .

فأتاحت لي تلك الزيارات التفتيشية أن أتصل بجمهور ضخم من العمال ؛ وطلبوا مني أن أخاطبهم في كل معمل فأخذت أعرض لهم كيف أن العامل والجندي مشتركان في عمل واحد وهو القضاء على سيطرة الألمان في أوروبا ، وهكذا كنت أفعل مع الموظفين في السكك الحديدية والذين يعملون في المرافئ . وأطلعتني كل تلك الاتصالات على أن الشعب كان قد سئم من الحرب ومن الحرمان الذي تفرضه على الجميع في كل مرافق الحياة وكانت الجماهير تهتف في أينما حللت . وشعرت أنني أصبحت رجلا غير مرغوب فيه في بعض الأوساط العليا ، لابل طلبوا مني أن أمتنع عن تلك الزيارات ، إلا أنني لم أفعل مدعياً دوماً أن بعض الوزارات في هويتها لدعتني إلى أن أقوم بها .

والواقع هو أن جمهور العمال كان في حاجة إلى تقوية معنوياته ؟ فانهم كانوا يرون في إنزال الجيش في أوروبا مجازر لا فائدة منها ، فأكدت لهم أنه لن يكون الأمر كذلك . وفي تلك الأثناء قامت لجنة

الامن القومية بدعوة إلى الأمة جميعها تستنجد لها لتلبية حاجات الجيش والبحرية والطيران .

في ٢٨ ابريل نقل مقر قيادتي إلى سونويك هور ، في منطقة پورتسموت ، حيث اتفق أن يكون مركز قيادتنا للعمليات ؛ أما مركز إقامتي فكان قريبا في برومفيلد هوز .

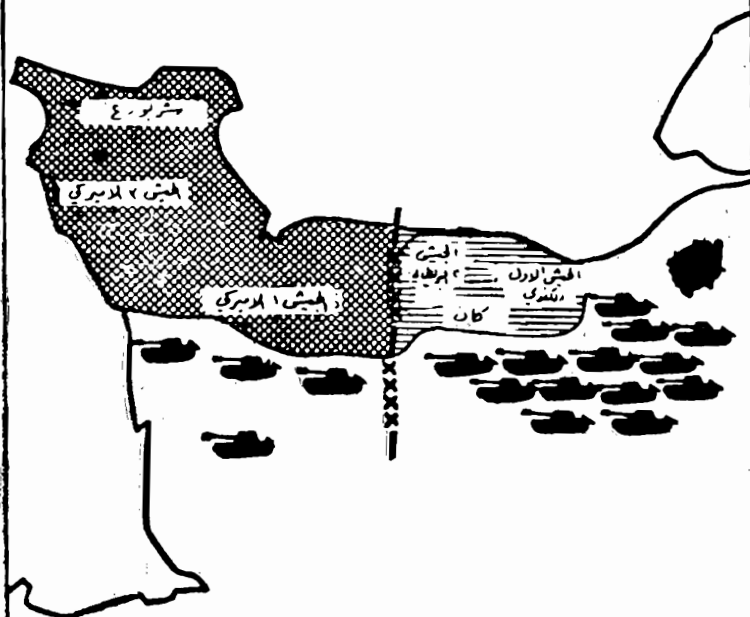
وفي ابريل أيضا دونت تعليماتو الأخيرة للجيشين المتجهزين للنزول في نورمنديا . وقد كتبت في ١٤ ابريل مايلي .

١ — إننا لا ندرى في أية سرعة يستطيع العدو أن يجمع قواه ولا سيما المصفحة منها ، ليهاجمنا بعد نزولنا . ولذا فإنه من اللازم علينا ألا نوزع قوانا بل نحفظها دائما مجتمعة لنتمكن من صد كل الهجمات.

٢ — وخير وسيلة في منع العدو عن أن يلم قواه ليهاجم هي أن نندفع نحن أنفسنا إلى الأمام بقوى مـهـمة وذلك بعد ظهر اليوم دن، وتكون تلك القوى من الأولوية المصفحة في كل جيش فتتوالى دوما وتتحرش بالعدو فتعرقله في حركاته وتنقلاته وترى في صفوفه القلق والاضطراب .

٣ — ولا بد من اللجوء إلى تلك العملية الهجومية المستمرة منذ النهار الأول لنزولنا . فإذا ما انتظرنا إلى اليوم الثاني فانتنا الفرصة واضطررنا إلى أن نبقي على خطة دفاعية . ولذا فإن وحدات المصفحات يجب أن تجمع فوراً عند نزول القوى الأولى ، وتباشر حالا بالعمل فتشق طريقها نحو الداخل .

انتظام المصفحات الألمانية قبل هجوم ٢٤ تموز ١٩٤٤



كل علامة تدل على ٥ عربة

٤ - ونتيجة هذه العملية الهجومية التي تقوم بها المصفحات هي أن تؤمن لنا مراكز منيعة في مقدمة الكتلة الضخمة من قوانا . وإذا كانت تلك المراكز منيعة فلن يقوى العدو على تطويقها . ثم أننى لا أخشى الخسارات ، ولو كانت فادحة ، من هذه الناحية ، على افتراض أنه ستكون ثمة خسارات . فان تلك المراكز ستشغل العدو وتؤخره في هجومه علينا بما يتيح لنا أن نتقدم بسرعة بقوانا الضخمة بعد انزالها على الشواطىء فنحتل بسهولة منطقة مهمة من الجهة . ثم أرسلت نسخة من التعليمات لكل من قائدى الجيشين ونسخة أخرى لرئيس الوزراء الذى لم يلبث أن أعطى موافقته وبدون تردد .

في شهر مايو اجتمعت غير مرة ببيل وليس الذى كان قد أصبح الآن قائد لواء ورئيس مصلحة الاستعلامات فى مقر قيادتى . وكان رومل قد عين قائد المنطقة فى هولندا واللوار فكان وليس يرى أن خطة رومل أن يهزمنا فى الشواطىء والمستنقعات النورمندية ، فاذا لم يتمكن من هزمنا على الشواطىء فانه ينوى على تطويقنا فى المستنقعات النورمندية . فصممت خطتى تبعاً لذلك .

وفي ٢٥ (مايو) قام مقر القيادة الاعظم بالعرض الاخير للخطط المتألفة . وتم ذلك فى مدرسة القديس بولس بحضور الملك ورئيس الوزراء والجنرال سموثس ورؤساء الاركاب البريطانيين ، فالتقى كل من الملك ورئيس الوزراء وسموثس كله تليق بالمناسبة وانسحبوا . وبعد ذلك بقليل دعانى سموثس الى ان اتناول الطعام معه فى لندن فقبلت دعوته . وفى اثناء الطعام اخذ يحدثنى عن مصير اوربا بعد الحرب ،

وكيف يجب أن تتأخر بريطانيا تنظيم الأمور في أوروبا ، فتصبح منها وفيها ولا تعيش في عزلة تاركة الدفة لفرنسا التي فشلت بعد حرب ١٩١٤ - ١٩١٨ . واخيراً طلب مني أن أصارح الجمهور بتلك الآراء لشهري ولنفوذى في بريطانيا ، فأستطيع أن أجاب بما لا يستطيعه احد غيري . اعترف بان هذا الكلام ولد في انفعالا عميقاً وحلني أغوص في بحر من التأمل والتفكير ولو كنت على يقين من أن الجندي لا كلمة له في الموضوع بل من الواجب عليه ان يدع رجال السياسة يتكلمون فيه . ثم ابتدأت في ٢٣ (مايو) بتلك الجولة الاخيرة ذكرت ان ٥ (يونيو) كان قد قرر على ان يكون النهارن . فلا بد من رجوعي عند هذا التاريخ . هذا وانني قمت بزيارة إلى كل منطقة يحل فيها فرع جيش أو فوج ، وحدث لي ان كنت أخطب في ٥٠٠ او ٦٠٠ ضابط كل مرة . ودامت الجولة ثمانية أيام رجعت منها وقد اعياى التعب . الا ان ذلك المجهود كنت أراه ضرورياً لتوطيد الثقة في قلوب الجنود ، فكنت ، في كل حفل أعرض لموضوعي بكامله . فأتكلم عن حالتنا في الماضي وما أوقف طويلاً عندها ، ثم أنتقل إلى الكلام عن وضع الحرب حالياً وعن الآمال التي يمكننا ان نستسلم لها فيما يخص المستقبل . وادخل بعد ذلك في العرض للمجهود المفروض علينا في الوقت الحاضر من استعداد قوى وتبرين واسع شامل بالعتاد والاسلحة . وانهى خطابي بذكر الشروط الاساسية لتأمين نجاحنا وهي التآلف الودى بين الحلفاء أولاً ثم الجاسة والعزيمة القوية على الهجوم المستمر ، ثم الثقة المتبادلة واخيراً بذل الارواح فلا ننشئ عن هجومنا أو نفتنصر .

فى ١ (يونيو) اخذت افسكر بكل ما كان قد تم منذ قدومى الى
انجلترا فى ٢ (يناير) ، فرأيت من الواجب على ان اكتب رسالة الى السر
جيمس جريج اعرب فيها عن كل ما اشعر من الشكر نحوه ونحو المكتب
الحربى على الخدمات الجليلة التى قد ماها لى وللجيش . وفى ذلك الكتاب
اعتذر لسكرتير الدولة فى المكتب الحربى عن كل ما ارتكبت من اخطاء
نحوه بسبب عدم صبرى وعدم تقيدى بالانظمة المعهودة ، ثم اصارحه
بارتياحى الى الروح الطيبة التى انعشت العلاقات بين الجيش والمكتب
الحربى واتمنى ان تستمر تلك الروح هكذا حتى الانتهاء من الحرب ،
فيمكون النصر ليس نصر الجيش فقط بل نصر الجيش والمكتب
الحربى معاً .

واجابنى جريج ليشكرنى على عواطفى وهى عواطف قلما ابداهها قائد
جيش نحو المكتب الحربى فيما قال . واكد لى أنه لايزال هو والذين
يعملون معه فى خدمة الجيش لمساعدته ولتأمين الرفاهية لافراد
جنوداً وضباطاً .

بعد أول (يونيو) اخذت حالة الجو نقلقنا ، اذ أنه كانت قد هبت
عاصفة قوية تشمل انجلترا وسواحل فرنسا من ناحية المانش ، وكل
شئ يدل على انها ستستمر الى ٥ (يونيو) وهو النهار المعين للبشارة
بانزال الجيوش الى نورمنديا وبعد الاجتماعات والمباحثات . قررنا فى
الساعة ٤ صباحاً من ٥ يونيو ان نرجى عملتنا الى الغد . وكانت الدلائل
الجوية تنبئ بصحو نسبى يستمر بضعة ايام بعد ٦ (يونيو) ثم تليه

الفصل الثالث عشر

معركة النور منديا

٦ (يونيو) - ١٩ (أغسطس) ١٩٤٤



نصل الآن إلى الحوادث التي كان لها التأثير العميق على تطور الحرب ضد ألمانيا . ولطالما كتب عنها ولطالما جر الشعور لقومي ، لاسيما عند الأمريكيين ، إلى أقوال لا أساس لها ، وجهت ضد البريطانيين عامة وضدى بنوع خاص .

ولقد وافق صديقي أليك على أن الوقت قد حان لي أنا أيضاً أن أبدي رأيي في الموضوع . وسأفعل متقيداً بالواقع كما جرى ، مكتفياً بذكره على إخلاص تام .

في صباح ٧ (يونيو) مرت مدمرتي الفولكنور قرب الساحل الفرنسي متجهة إلى المنطقة الأميركية في الغرب ، فالتقينا بالمركب الأميركي أوجستا حيث كان برادلي فتباحثنا في أمور الجيش الأول وفي حرج موقفه في الشاطئ . وأوماها واتفقنا على كيفية تسير المعركة هناك . ثم رجعت إلى المنطقة البريطانية وقصصني دمبسي مع الاميرال

فيان الباحثة في امور الجيش البريطاني وهى حسنة لاتدعو إلى قلق واضطراب قط . وفى الوقت نفسه وصل ايزنهاور ورامسى فصعدت إلى مركبهما لاجتماع بهما ، ثم عدت إلى مدمرتى وطلبت من قبطانها ان يرجع بنا إلى المنطقة الاميركية لاتصل برادلى مرة ثانية . وكانت الاخبار الآن عن حالة المعركة فى شاطئ اوماها اخباراً حسنة ، ونزل برادلى إلى البحر إلا أن رئيس أركانه صعد إلى الفولسكنور وأطلعنى بدقة على احوال الجيش الاميريكى . ورجعنا بعدئذ إلى المنطقة البريطانية .

وكان الجو صافياً والشمس ساطعة فى الفضاء ؛ ولم يظهر قط رد فعل يذكر من قبل طيران العدو . فكأن ليس هناك معركة تدور . فرجعنا إلى الشواطىء البريطانية وطلبت من قبطان المركب أن يعود ويقبلنى فى صباح الغد إلى السواحل الفرنسية ويتقدم إلى أقصى حد ممكن من تلك السواحل لإنزالى إلى البر . ففعل مكرهاً واصطدمت السفينة بالرمل إلى مركب كان فيه أحد ضباط أركانى ووصلت سالماً إلى البر الفرنسى .

كان العدو قد بوغت بهجومنا وما كان يظنه يتم فى ذلك الوقت وقد هبت العاصفة التى ذكرت فى الأيام السابقة . إلا أن إنزال جيوشنا سار بسهولة وأخذنا نتقدم ونوطد مراكزنا . وفى اليوم الثانى ٧ يونيو كنا قد سرنا بين ٥ و ٦ أميال إلى الداخل وفى ١٠ يونيو ، اعنى ٤ أيام بعد نزولنا ، أصبحت مساحة المنطقة التى تخن فيها ٦٠ ميلاً طولاً و ٨ إلى ١٢ ميلاً عمقاً . أصبحنا حينئذ معسكرين على الشواطىء الفرنسية وزال كل قلق واضطراب

في ١٢ يونيو قدم رئيس الوزراء والجنرال سموثس لزيارة لي في نورمنديا . أما تشرشل فكان شديد الاغباط والفرح ومستعداً أن يعترف بالمهارة التامة فيما يخص بتسيير القتال . وقبل إنصرافه كتب على دفترى المخصص للتوقعات ، ما يلي : « شاء الله أن تكون النهاية من طراز البداية » وأضاف سموثس : « أمين .

سبقت وعرضت لخطة الحرية في معالمها الأساسية ، وهي تقوم بجهتين . جهة شرقية أخاية منها استمالة قوى العدو عليها ، فنقف موقفاً دفاعياً يؤمنه الجيش الثامن البريطاني . وجهة غربية هجومية تتقدم بسرعة لتطويق العدو بعد انصرافه إلى الشرق تطويقاً واسع النطاق ويقوم به الجيش الأول الأميركي . فمحور الجبهة الشرقية مدينة « كان » لأهميتها كفتى إلى ريق والسلك الحديدية التى تنجيه من الشرق ومن الجنوب الشرقى إلى منطقة مركزنا . وبما أن معظم القوى الاحتياطية كانت فى شمالى نهرالسين فلا بد لها من أن تهاجم ذلك المركز من الشرق فتنجيه لا محالة نحو مدينة « كان » . فأصبحت اذن على يقين من أن هجوماً قوياً ومستمراً فى منطقة « كان » ، يتيح لنا أن ندرك غايتنا وهى صرف قوى العدو الاحتياطية إلى الجبهة الشرقية . فعدت إلى خطتى تلك حال نزوانا إلى البر وعسكرنا على الشاطئ ، فما لبثت أن تبلورت وأخذت تتضح وتبدو صالحة كل للصلاحيه للنتيجة التى كنت أريدها منا عندما وصلنا إلى منطقة « كان » واحتلنا شبه جزيرة الكونتنتين . وما عدت قط عن تلك الخطة الأساسية . لاشك فى أننى غيرت

بعض تفاصيلها وما اصررت على أن يتم كل طور منها في الوقت المعين له سابقاً . فـأ أخذنا دكان ، مثلاً إلا في ١٠ يوليو ولم ننته من تنظيف ضواحيها الشرقية قبل ٢٠ يوليو ثم أن نيتي الأولى كانت أن استولى بأسرع وقت ممكن على المرتفعات بين دكان ، وفاليز لتحويل تلك المنطقة إلى مطارات ، فعندما رأيت أن ذلك امر مستحيل عدلت عنه بالرغم من سحق سلطات الطيران الحربى .

وهناك أمر آخر وهو أن هدف خطتي الحربية الاساسى حينذاك أن أركز قوة مصفحة فى جنوب شرقى دكان ، فى منطقة بورجوس وهذا ضرورى جداً إذ أننا به نجعل معظم المصفحات الألمانية ينصب على الجانب الشرقى فيتميسر للقوى الأمريكية الزحف نحو الغرب ، والعملية هذه معروفة باسم جودوود . إلا أننى لم أواصل الضفط فى تلك المنطقة من الجهة الشرقية عندما توقفت مصفحات دمبسى عن التقدم بسبب مقاومة العدو العنيفة والمطر الذى نزل هأطلا فحول المنطقة كلها إلى بحر من الوحل :

وظن الكثيرون ، عند المباشرة بعملية جودوود ، أن عملنا هذا ابتداء تنفيذ خطة الغاية منها الزحف على باريس من الجبهة الشرقية ، وبما أن ذلك الزحف لم يتم اعتبروا أن تلك المعركة كانت عاقبتها الفشل وهذا مانجد مثلاً فى الصفحة ٣٢ من بيان أيزنهاور عن معركة نورمنديا فتخرج من قراءتها مع الشعور بأن الكنديين والبريطانيين باؤوا بالفشل فى الشرق أعنى فى مدينة دكان ، مما اضطر الأمريكيين إلى أن يأخذوا

على عاتقهم الضغط والتقدم من ناحية الغرب . وهذا يدل على أن
أيزنهاور لم يفهم الخطة الأساسية مع أنه وافق عليها وقبلها بسهولة .
فإننا في معركة نومنديا ، ما كنا لننوى على أن نقوم بهجوم نحو باريس
من جهة الشرق ، بل غاية أحداث الجهة الشرقية استمالة قوى الألمان
إليها ليخفف ضغطهم من ناحية الغرب فيستطيع الأميركيون أن يزحفوا
بسهولة من تلك الناحية إلى باريس . وكل ذلك تراه مدوناً واضحاً
في الأوامر والتعليمات الصادرة عن مقر قيادتي ولم يجهلها أو يتجاهلها
إلا رجال مقر القيادة الأعظم . أما القادة المسئولون مباشرة عن
تسيير القتال في ساحة الوغى ، وبرادلي في مقدمتهم ، فلم يكن عندهم
شك قط بالخطة الأساسية . فإن سوء التفاهم ذلك فصح المجال لمجادلات
عنيفة . فاستغل أعدائي في مقر القيادة الأعظم الموقف وراحوا يخلقون
الصعوبات والمشاكل عندما أخذت المعركة تسير سيرها وتطور .

وأضن أن سبب الاضطراب هذا كله هو أن الخطة الأولى
«كوساك» كانت تقتضى شق جبهة الألمان في المنطقة «كان - فاليز»
من ناحية جبهتنا الشرقية فرفضت تلك الخطة وعدلتها . وكان صاحبها
الجنرال مورجان ، وهو حينذاك رئيس الأركان المساعد في مقر القيادة
الأعظم . ففي نظر مورجان أيزنهاور إله ، ربما اتى رفضت غير خطة
من الخطط التي قدمها ، أصبحت أنا في الطرف المقابل من ذلك السلم
السموي . هنا أصل الاختلاف . فإن مورجان والذين حوله من القادة
الخائبين كانوا يتلصسون كل فرصة لصفوني لايزنهاور كقائد لا اقدام
عنده ، فلأرونا نشق الجهة الألمانية في ناحية قط .

وكان في جانب مورجان قادة الطيران الحربي ومن بينهم كونينجام وتدر . فانها كانا يريدان الاستيلاء على منطقة ما بين كان وفاليز لاجداث المطارات ، وما كنت أنا اعلق على تلك الاحداث كبير اهمية . فاني لم ادخل المعركة لاختذ مطارات بل لاهزم رومل واكرهه على الاستسلام في نورمنديا فاستولى بعدئذ على المطارات ، أما هما فدكانا يريدان الاستيلاء على المطارات للتمكن بعد ذلك من هزم رومل

وفي نحو منتصف (يوليو) ابتدأت الصحافة تظهر أن الرأي العام عيل صبره نوعاً ما ، لما بدا له من أن المعركة في النورمنديا ما كانت تسير على ما يرام . كان برادلي قد حاول أن يتقدم نحو كوتانس وباء بالفشل . ثم كانت عملية جودوود في الجهة الشرقية وتم ما ذكرت عنها في حينه . ولابد لي من الاعتراف بأن سوء التفاهم الذي حدث فيما يختص بتلك العملية انما حدث بذنبي أنا إذ انني بدأت متفائلاً أكثر من اللازم أثناء تصرّحي لمندوبي الصحف حينما كانت المعركة تدور . بما حملنا . برادلي وأنا ، الا نكشف للصحافة خططنا الحربية الحقيقية بل نتظاهر دوماً بالابتسام . إلا أن الاحتفاظ بالابتسام كان يزداد صعوبة يوماً بعد يوم .

في ١٨ (يوليو) اشرنا بعناية كوبرا ، وهي آخر محاولة لشق جهة العدو من ناحية الأميركيين الغربية ، وكنت قد وافقت على خطتها . وأرى هنا من اللازم على أن أذكر أن العلقس ، في ذلك الوقت ، كان يعاكسنا ما اكسة شنيعة جداً . ففي حين كنا بحاجة إلى قوى

جديدة نشيطة ، كانت العاصفة تمنع المراكب من الدنو إلى الشواطئ . فتبقى تلك القوى عليها في البحر . ثم أن الجيش الأميركي الأول أصيب بمحنة شديدة ، وما عاد يمكننا استخدام المرفأ الاصطناعي في ساحل اواماها فتركناه ولجأنا إلى تخصيص الاعتدة الحربية الأمريكية وتأخر برادلى اسبوعاً عن الخطط التي كان عازماً على تنفيذها . وفيما كانت العمليات تتطور بحسب خططنا ومقتضاها ، كنت اراقب خساراتنا عن كثب فها هي :

٢٢ (يونيو)

| المجموع | جرحى | قتلى | بريطانيون |
|---------|-------|------|-----------|
| ١٠٧٨٢ | ٨٧٧٦ | ٢٠٠٦ | |
| ١٨٣٧٤ | ١٥٢٧٢ | ٣٠١٢ | أمريكيون |
| <hr/> | | | |
| ٢٩١٥٦ | | | |

١٠ (يوليو)

| | | | بريطانيون |
|-------|-------|------|-----------|
| ٢٢٢٠٨ | ١٨٢١٩ | ٣٨٩٤ | |
| ٢٩٣٤١ | ٣٢٤٤٣ | ٦٧٩١ | أمريكيون |
| <hr/> | | | |
| ٦١٥٤٩ | | | |

١٩ (يوليو)

| المجموع | جرحى | قتلى | بريطانيون |
|---------|-------|-------|-----------|
| ٢٤٧٠٠ | ٢٨٦١٠ | ٦٠١٠ | |
| ٧٢٠٣٨ | ٥١٣٨٧ | ١٠٦٥١ | امريكيون |
| ٩٦٧٢٨ | | | |

وعلاوة على ذلك فانتا كنا في ١٩ (يوليو) قد ابعدنا ١١٠٠٠ مريضاً عن منطقة البريطانيين .

وفي تلك الاثناء استطاع الجيش الامريكى أن يعسكر بحيث مباشر عملية شق جبهة العدو . كان املنا ، أول الامر أن تبتدىء تلك العملية من الخط سان - لو - كوتانس . فاضطررنا الى العدول عن هذه الفكرة وقرر برادلى نهائياً أن يبتدىء عملياته من الطريق ما بين سان - لو - وپرييه . وكان قصدنا أن نصل إلى ذلك الطريق في ١١ (يونيو) . إلا أن ذلك لم يتم لنا إلا في ١٨ (يوليو) . أما القوى البريطانية فانها واصلت عملها على الجبهة الشرقية ؛ تلك المدة كلها ، فحملت القوى الألمانية على أن تنصب عليها صعباً في منطقة دكان ، . وكنت قد أمرت القوى البريطانية أن تقوى ضغطها بقدر ما يزداد تأخير الاميركان في جبهتهم . وما سكا دمبسى من تلك الحالة قط ، بل قام بمجهوده خير قيام وكبد العدو خسارات فادحة في الارواح والعتاد ولا سيما بالمصفحات .

حاول الالمان أن يطوقونا في المستنقعات النورمندية على بعد ١٥ أو ٢٠ ميلا من منطقة القتال . ولقد نجحوا مدة في عملياتهم تلك بفصل

قواهم الاحتياطية فمنعونا من أن نحتل أرضاً واسعة في منطقة كان .
إلا أنهم بذلك تركوا الطريق مفتوحة أمام الأمريكيين في الجهة الغربية
فأحدث ذلك في جبهتهم ثلثة ما كانوا يستطيعوا أن يسدوها فيما بعد
لأن قواهم كانت قد دخلت القتال في مكان آخر .

كان من المفروض أن نباشر بعملية كوبرا في ٢٠ يوليو إلا أن
الطقس عاد فأخرنا ولم نستطع أن نبتدىء بتلك العملية إلا في ٢٥ يوليو
وبقينى أن الألمان ، عند اشتداد ضغط الأمريكيين ، سينسحبون
إلى الورا لى يعودوا وينظموا جبهتهم . ولن يتم لهم ذلك ، فيما رأيت ،
إلا في كومون أو على نهر الأورن أو على المرتفعات بين كان وفاليز .
فقررت أن أنقل ضغطى في الجهة الشرقية من الطرف الأيسر ،
في جنوبى شرقى كان إلى الطرف الأيمن ، في كومون مما يتطلب من
الجيش الثانى مجهوداً جباراً قام به بشكل يستحق الإعجاب

أما الهجوم على كومون (عملية بليو كوت) فالمفروض أن تباشر
به ستة أفواج في ٢ أغسطس إلا أن الأمريكيين تقدموا بسرعة ما كنا
ننتظرها ، فقدمت ذلك الموعد إلى ٣٠ يوليو بموافقة دمبسى .

وهكذا في ٢٥ يوليو ، يوم ابتداء الأمريكيين يشقون جهة العدو ،
كنا نتوقع النتائج العظيمة ، فنحصد ما زرعنا ونجنى نجاحاً قاطعاً
من وراء خطتنا الحربية في معركة النورماندى . وما هى إلا والغيوم تتابد
في سماننا بدون سابق انذار .

في ٢٦ يوليو ، تناول ايزنهاور الغذاء في لندن بصحبة تشرشل .

لا أدري ما قيل بالضبط أثناء ذلك الغداء . إلا أن ايزنهاور كتب لي كتابا في مساء اليوم نفسه ، وفي ذلك الكتاب جملة أقايتي ، ها هي . أن تشرشل أعاد غير مرة أنه عارف أنك ترى ضرورة إبقاء الجبهة مضطربة في حين تتقدم الهجومات الأساسية وتسير سيرها .

فظننت أول الأمر أن ايزنهاور شكأ إلى تشرشل أنني لا أفهم ما عني أن أعمل . والواقع ، فيما بلغني بعدئذ ، هو أن ايزنهاور أطلع رئيس الوزراء على الازعاج الذي تحدثه عنده الصحافة الأمريكية وهي ترى أن ابريطانيين لم يدخلوا القتال بالشدة اللازمة بل اكتفوا بالجهود القليل وتركوا الأمريكيين يتكبدون وحدهم الخسارات الفادحة . فما الجواب والإحصاءات تثبت قوله ؟

ففي مساء الغد ، ٢٧ يوليو دعا رئيس الوزراء بعض الشخصيات المسؤولين إلى تناول الغداء مع ايزنهاور . وما لبثت أن بلغني الذي جرى أثناء ذلك الغداء .

شكأ ايزنهاور من أن دمبسي ترك على الأمريكيين كل وطأة المعركة . فآلفتوا انبأه إلى خطتي الحرية السياسية وهي أن أقاتل بعنف في يساري وأن أجدب الألمان إلى ذلك الجانب في حين أنني أندفع إلى الأمام عن يميني . ولاحظوا عليه أنه قد وافق على تلك الخطة وأن معظم المصفحات الألمانية منقلبة على الجبهة البريطانية . فما استطاع ايزنهاور أن ينكر ذلك . فسأل لماذا لا نقوم بهجوم على جبهة كل جيش من الجيشين البريطاني والأمريكي مثلما هو الأمر في روسيا . فأجابوه

أن كثافة القوى الألمانية في جهة نورمانديا هي بقدر ضعفين ونصف ضده ككثافتها في الجهة الروسية . فلست نستطيع القيام بهجوم على جهتنا كلها فنوزع قوتنا وهو بالضبط الأمر الذي يريده الألمان ، علاوة على أن ذلك لن يكون موافقاً لخططنا الأساسية التي اتفقنا عليها جميعاً . فإننا قد باشرنا بهجوم في ٢٥ يوليو من الجانب الأيمن والجيش الثاني البريطاني يقاتل ليحفظ الألمانين على الجانب الأيسر وها هي خططنا الحربية توصلنا إلى النجاح القاطع . فمن أية ناحية يمكن أن نلام ؟

ثم طلبوا من ايزنهاور أن يحدد بنفسه الموقف الذي يراه موافقاً وبأمرني بأن أتقيد به بصفته القائد الأعظم للقوى في المعركة نورمانديا ، أو أن يفرض رئيس الأركان الامبراطورية للأمر . فلم يرض لا بهذا ولا بذلك .

وبعد أيام قلائل أحرزنا انتصاراً اعتبر كأعظم انتصار في تاريخ الحروب كلها . أما الدور الذي لعبه البريطانيون في المعركة فلم يكن ظاهراً بادياً للعيان .

ورأت الصحافة الأمريكية في ذلك الانتصار انتصاراً أمريكياً . إلا أننا نعلم جميعاً أنه لو لم يقم الجيش البريطاني بمهمته في الجهة الشرقية لما كان استطاع الأمريكيون أن يشقوا طريقهم في الجهة الغربية . فان الخطة الحربية في نورمانديا كانت خطة بريطانية ، ولقد نجحت بفضل التعاون الوثيق الذي كان بين البريطانيين والأمريكيين . غير أن

البريطانيين باقتهم شكوى ايزنهاور من أنهم لم يخاطروا في المعركة بقدر ما خاطر الأمريكيون فأدى ذلك إلى شيء من الفتور في العلاقات بين القوتين .

وما أظن أن ايزنهاور ذلك الرجل العظيم الذى هو اليوم من أعز أصحابى ، كان منتبهاً إلى أنه يرمى الفتنة هكذا فى صفوفنا ، هذا علاوة على ما كنا نسمع ، بين الحين والحين ، من باتون . فى أرجنتان مثلاً عندما منعه برادلى من أن يسرع فى تقدمه نحو الحدود الألمانية ، صرخ هاتفاً : « دعى إذاً أمضى إلى فاليز وأرمى البريطانيين فى البحر مثلما تم لهم فى دنكرك » .

وبدألى بشكل أوضح يوماً بعد يوم أن ايك وأنا كنا على طرفى نقيض فيما يختص بتسيير الحرب . أما مذهبي الحرب فهو قائم على إحداث خلل فى التوازن عند قوى العدو فى حين نحفظ نحن بالتوازن التام فى قوانا . وذلك راجع إلى أننى أتصرف بحيث يضطر العدو إلى استخدام قواه الاحتياطية على جهة واسعة ليصد الثبات التى نكون قد أحدثناها فى خطه الدفاعى ، ثم بعد ذلك أنقلب عليه بقواى الاحتياطية على جهة ضيقة لاجل عليه الضربة القاضية . وشعورى أن ضباط مقر القيادة الأعظم ما كانوا يفهمون مذهب « التوازن » فى تسيير العمليات الحربية . فالظاهر أن عقيدة ايزنهاور فى هذا المضمار هى أن تقوم جميع القوى بهجوم عام مستمر يشن فى كل ناحية وأذكر أن بدل سميث شبه ايزنهاور بحكم فى لعب كرة القدم يعدو

مضطرباً من طرف الملعب إلى الطرف الآخر ليحث الجميع ويحمسهم وهذه خطة نتیجتها الخسارات الفادحة فى الأرواح والعتاد كما يظهر واضحاً من مراجعة الاحصاءات فى هذا الشأن ، والمقارنة فيما بين خسارات الامريكىين وخسارات البريطانىين والسكندىين .

فلا غرو بعد ذلك إذا امضى أعدائى فى مقر القيادة الأعظم يستغلون ذلك الاختلاف فى المذهب بينى وبين ايزنهاور ، وما زلت أرى أنهم هم الذين دفعوا ايزنهاور إلى أن يشكو إلى تشرشل من أن الجيش الثانى ما كان يقاتل كما يجب فتفاقم ، بعد ذلك ، الخلاف الذى بدأ يظهر فى نورمنديا وأخذ يقوى ويستمد وكاد يطيح بمركب الحلفاء ويهلكه .

أما المعركة فى نورمنديا فيمكن الاعتبار انها انتهت فى ٩ أغسطس يوم استسلمت بواقى العدو فى شرقى مورتين فتصرنا كان مطلقاً ، تاماً قاطعاً . وفى تلك المعركة قتل واسر فيما بين ٢٠ قائد جيش وفرع وفوج وجرح رومل ، وعزل فون روندشتيت وفون كلوجه . ولا أذكر خسارات الألمان فى الأرواح والعتاد .

ولا أريد أن أختم هذا الفصل بلمحة يستشعر منها المضض . إلا أننى لا أرى لى بدا من أراحة نفسى بذكر حادثة مؤلم جرى لى فى نورمنديا ، وهو أن بعضهم رمانى عند بعض المسؤولين فى وزارة الخارجية على اننى اتساهل فى النهب واستفيد منه ، فبلغنى الخبر ، فاستقدمت السيد كولىه ممثل الجنرال ديحول فى منطقة الاحتلال وسألته

فيما إذا رفعت إليه شكوى من ذلك النوع من قبل المقيمين الفرنسيين .
فأجاب بالنفي المطلق .

وبعد البحث والتدقيق عثرت على أصل الشكوى ومصدرها . وهو
أن زعيما من ضباط أركانى الحربية كان قد قصدنى ليطاعنى على أن
بعض الضباط فى دوراتهم التفتيشية ، كانوا قد انتطوا بعض الدواجن
من دجاج وأرانب . وهى سارحة فى الحقول لأصحابها . وكنت
حينئذ منهمكا بتطورات المعركة فطلبت منه أن يتصل برئيس أركانى
ويخبره بالامر . فأبدى شيئا من الاستياء وضح إلى اننى اتساهل بشئ
تلك الأعمال لاستئيد منها . فاطقت ذلك منه فانصلت برئيس أركانى
تليفونيا وطلبت منه أن يغادر ذلك الزعيم حالا مقر أركانى الحربى .
وعند وصوله إلى لندن أخذت الأخبار تنقصر ورفع بياناً خطياً إلى
المكتب الحربى .

وعندما أصبحت رئيس الأركان الامبراطورية بعد الحرب اطلعت
على ذلك البيان . ولا شك فى أنك لأول مرة فى تاريخ الحرب ترى
قائداً أعلى فى ساحة الوغى يهتمه أحد ضباط أركانه بالنهب . ومن
المحتمل أن تكون القصة قد شغلت بال المكتب الحربى وأقلقته .

الفصل الرابع عشر

خطة الحلفاء الحربية في شمال نهر السين

في منتصف شهر أغسطس ١٩٤٤ أصبحت حالة الألمان في فرنسا حالة يأس وقنوط : سقطت باريس في ٢٥ أغسطس وفي الغد أذاع مقر القيادات الأعظم بياناً فيه يقول أن نهاية الحرب في أوروبا أصبح أمراً متوقعا من يوم لآخر ، ويكاد يكون في متناول اليد .

كنت أرى أنا أيضاً أن نهاية الحرب في أوروبا أصبحت حقاً أمراً في متناول اليد ، ، ولكن بشرط أن نسرع في تقرير مصيرنا وخاصة أن نتقيد بخطة عمل . إلا أننا كنا نسير بدون خطة فيما أعلم . أجل إننا انتصرنا على الألمان في نورمانديا انتصاراً قاطعاً وتشنت قوى العدو ، ولكن كل نجاح يجب أن يستمر ويستغل وإلا ذهب ولا نفع فيه .

أما خطتي فكانت حاضرة قبل أن تنتهي معركة نورمانديا . فركبت الطائرة في ١٧ أغسطس من لوبني بوكاج حيث كان مقر قيادتي الحربي إلى فوجين حيث كان برادلي لاجتماع به وأعرض له تلك الخطة في معاملها العامة . وهي على نحو ما يلي :

١ - تشكل مجموعتا الجيوش الثانية عشرة والواحدة والعشرون بعد اجتياز نهر السين ، كمكتلة متجانسة العناصر تتألف من نحو ٤٠ فوجاً ، وتكون من القدرة بحيث لا تخشى هجمات العدو . فتزحف تلك القوة نحو الشمال الشرقى ،

٢ - فى الجانب الغربى تنصرف مجموعة الجيوش الواحدة والعشرون إلى تنظيف شواطئ المانش ، (والبا - - - ده - - - كالى) ، والفلاندر الغربية . ثم تعسكر فى انفرس وفى جنوبى هولندا .

٣ - أما مجموعة الجيوش الثانية عشر فتشكل الجانب الشرقى وتزحف من يمينها نحو الأردن متجهة إلى إكس لاشايل وكولونيا
٤ - تكون باريس المحور الأساسى لذلك الزحف المشترك . هذا علاوة على أن قوة أمريكية منيعة تعسكر فى المنطقة التى تشمل أورليان ، تروا ، شالون ، ريمس ، ولان ، ويمتد جانب تلك القوة الآين طوال نهر اللوار حتى نانت .

٥ - ثم إن القوى المشتركة فى عملية دراجون والآتية من جنوبى فرنسا توجه نحو نانسى واليسار . ولأن نحاول الاتصال بها عن يميننا حرصاً على توازن خطتنا الحربية .

٦ - والغاية الأساسية من زحفنا هى أن نعسكر فى بلجيكا طيراناً قوياً ، وأن نحتل مناطق متقدمة إلى ماوراء نهر الرين قبل ابتداء الشتاء ثم أن نستولى بسرعة على الرور .

فوافق برادلى بدون تردد على خطى تلك فى معالمها العامة ، وفى ٢٠

(أغسطس) عقد ايزنهاور اجتماعاً في مقر قيادته في نورمانديا ، ودعى رئيس أركاني إلى ذلك الاجتماع . وبكلمة وجيزة قرر هناك ما يلي .

(١) منذ أول (سبتمبر) يصبح ايزنهاور نفسه القائد الأعلى لمجموعات الجيوش .

(ب) توجه مجموعة الجيوش الثانية عشر نحو مينز والसार ، حيث تتصل بالقوى المشتركة في عمالية دراجون .

وباشر مقر القيادة الأعظم في العمل على التعليمات التي يريدني أن أتقيد بها . فاقترح ده جنجان أن يتخذ رأي في الأمر ، فقبل اقتراحه . وقدم في المساء نفسه إلى مقر قيادتي الحربي .

فلم أرض بالتعليمات المشار إليها ودونت بعض ملاحظات سلمتها إلى ده جنجان فعاد إلى ايزنهاور ليعرضها عليه . وها هي فيما يلي :

١ — إن أسرع الطرق لانتهاء الحرب هي أن تزحف كتلة جيوش الحلفاء نحو الشمال ، وأن نحرر السواحل حتى انفرس ، وأن يعسكر في بلجيكا طيراناً قوياً وأخيراً نحتل الرور .

٢ — يجب أن تعمل قوانا ككل ، ملتمة بعضها على بعض أو يجب أن تكون من القدرة بحيث تتمكن من تدمير عملها بسرعة .

٣ — يجب أن يعين رجل واحد ليراقب ويوجه العمليات الحربية في البر حتى يؤمن نجاحها . فإن الانتصار الباهر الذي احرزناه في شمالي — غربي فرنسا راجع إلى أن تسيير المعركة كان معلقاً برجل

واحد . ولا ينبغي أن يكون معلقاً بالأركان .

٤ — إن تبديلاً ما في تنظيم القيادة بعد انتصار باهر مثل الذي أحرزناه لا بد من أن يؤدي إلى امتداد الحرب .

وقضى ده جنجان ساعتين مع ايزنهاور . وفي ٢٢ (أغسطس) اطلعت على أن برادلي كان قد وافق على خطتي ، وحاول أن يسلم ببعض النقاط الرئيسية منها ، فلم يحصل على نتيجة قط . وبقى ايزنهاور مصراً على رأيه . فعاد إلى ده جنجان ليباغني فشله في مسعاه وقررت أن اجتمع أنا ذاتي بايزنهاور فدعوته إلى أن يتناول الغذاء معي في الغد في مقر قيادتي الحربى في كونده سور - نوارو . فقبل راضياً . وكنت راعباً في أن أجتمع ببرادلي من جديد قبل وصول ايزنهاور فركبت الطائرة في ٢٣ (أغسطس) باكرأ قاصداً لا فال حيث كان برادلي قد نقل مقر قيادته . ولشد ما كان عجبى عندما رأيت أن برادلي غير فكرته . فبدلاً من أن يكون في جانبي ، أصبح الآن يدافع بحماسة عن لزوم توجيه مجهود مجموعة جيوشه نحو ميتز والसार . فرجعت مسرعاً إلى مقر قيادتي لاستقبال ايزنهاور ومعه بدل سميث الذى لم أره قط منذ مغادرتي لانجلترا في ليلة ٦ (يونيو) .

فطلبت من ايزنهاور أن أنفرد به أولاً للتباحث بالأمور الأساسية ثم يجتمع بدل سميث إلينا . فرضى وعرضت له رأيي في أنه من الضروري أن تصمم لنا فوراً خطة بنائية صحيحة وأنه من اللازم عليه هو أن يقرر ابن يكون مجهودنا الرئيسى فنجتمع هناك بحيث نكون

على يقين من أن فصل إلى نتائج نهائية قاطعة . ثم نهته إلى أن طرق
المواصلات عندنا ستكون عن قريب بعيدة عن مراكز العمليات
الحربية ، فلا بد من أن نجعل زادنا بالنفط والعتاد على قرب من خط
القتال . فإذا ما وزعنا ذلك على طول الجبهة ، لن نتمكن من تقرير
مصيبنا بالسرعة اللازمة . وأخيراً أخذت أعرض له خطتي التي وادق
عليها برادلي في أول الأمر . وصارحته بأنه إذا عمد إلى خطة حربية
تقوم على جبهة طويلة وتقتضى أن تتقدم القوى كلها على خط واحد
قتال كل وحدة بشكل مستمر ، فإننا لابد من أن نتوقف عن التقدم
يوماً فنتيح للألمان أن يستريحوا فنبقى في الحرب الشتاء كله ، لا بل حتى
عام ١٩٤٥ . واضفت أنه من اللائق به ألا يتدخل بذاته ، وهو القائد
الاعظم ، في تسيير المعركة على البر . فالقائد الأعظم يجب أن يصرف
نظره عن التفاصيل حتى يفرغ تفكيره ويشرف من عل على مجموعة من
العمليات الحربية التي تتوزع وتحقق منها على البر . ومنها في البحر ومنها
في الجو وتتصل بعد ذلك بالأمور المدنية والسياسية إلى ما غيرها .
فلا بد من أن يترك تسيير العمليات في البر لرجل يعلم بها ، وهي هذه
الخطة التي مكنتنا من انتصارنا في معركة نورمانديا . فإن كان الرأي
العام الأمريكي يطالب برجل أمريكي لهذه المهمة تلك ، فأنا مستعد إلى
أن أنخلي عن قيادة المعركة في البر وأسلمها لبرادلي فأخدم تحت أوامره
فاضطرب ايزنهاور فوراً لاقتراحى هذا وأكد لي أنه لم ينو قط على
شيء من ذلك . ووافق على أن مجموعة الجيوش الواحدة والعشرين لن
تقدر وحدها على الهجوم نحو الشمال وأنه لابد من تعاون الأمريكيين

ومن قيادة واحدة تسير عمليات ذلك الهجوم نحو الشمال . فاجبت اننى أريد أن يتقدم عن جانبي الأيمن جيش أمريكى لا يقل عدد أفواجه عن الاثنى عشر . فرفض مدعياً أنه بذلك لن يبقى إلا جيش واحد فى مجموعة الجيوش الثانية عشر وهو أمر لا بد من أن يشير سخط الرأى العام الأمريكى . فسألته ولماذا تدع الرأى العام يؤثر علينا بحيث يكرهنا إلى مواقف نعرف أنها خطأ . ثم اعتمدت إليه من الحاحى فى الدفاع عن فكرتى ومن اننى لم انتبه الانتباه اللازم إلى المسؤولية السياسية التى لا بد من أن يحسب لها حسابها هو . ومهما كان من أمر . فإننى الآن عندما أذكر منافساتى مع ايك لا يسعنى إلا وأن أشعر بشكر قوى له للحلم والصبر اللذين كانا يتدرع بهما ليستمع إلى وأنا أعرض لرأى .

غير أننى لم أزعره عن عزمه . فاعتمدت الخطة الحربية القائمة على « الجهة الممتدة » . اما مجموعة الجيوش الثانية عشر . فإنها نعم آذرتنا فى الزحف نحو الشمال ، إلا أن هدفها الرئيسى كان أن تقدم نحو ميتر والسار وهكذا أصبحنا جميعاً مستعدين إلى أن نعبّر نهر السين ثم تسير كل فئة فى طريقها .

وكان التفاؤل يحدو الجميع والقائد الأعظم يحث كلا منا على أن نهجم جميعاً فى كل مكان وكل زمان . غير أننا لم نمش على هدى وخطة أساسية واحدة بحيث تسير العمليات على اختلافها كعمية واحدة . أما أنا فكنت عازماً على أن العب دورى على الوجه الاتم إلا ان اضطرابى

كان شديداً واختبارى للمعارك يزيدنى يقيناً من ضعف موقفنا تجاه العدو ، واسترسالا لاضطرابى ولا سيما ان الحرب ، والحالة على ذلك لابد من أن تطول . وهذا أمر لن يقف منه الشعب البريطانى موقف اللامبالاة وعدم الاكتراث .

وفى تلقى الاثناء المقلقة التى طالما جرت إلى اليأس والتشاؤم بلغنى كتاب من رئيس الوزراء يحيطنى فيه علماً بأن جلالة الملك وافق على تعيينى فى رتبة فلدمارشال ، ابتداء من أول (سبتمبر) . وعلمت فيما بعد ان ذلك التعيين تم على الشكل التالى . وهو أن تشرشل بعد رجوعه من ايطاليا أضرطر إلى أن يلزم الفراش لخاصة الملك يعوده وإذ بتشرشل يقدم بيان تعيينى فى الرتبة المذكورة ويطلب منه أن يوقع عليه ، فعمد جلالتة إلى وسادة رئيس الوزراء ووضع عليها البيان ليوقعه . وأذاعت البيبىسى الخبر فى صباح الغد فبادر ايزنهاور وكتب إلى ليهنتى .

وكننت ، كلما ازددت تفكيراً بما نعمل ، ازددت يقيناً من أننا لا نعمل على صواب وبصيرة . فإن الاقتصاد البريطانى واليد العاملة البريطانية كانا فى حاجة إلى أن تنتهى الحرب فى عام ١٩٤٤ لاذ أنها ابتدأت تثقل كواهل الشعب البريطانى . وما كان قادة الأميريكين ليفهموا ذلك لأنهم لم يشعروا قط بالحرب فى بلادهم فلا يبالون بالخسارات بل يتقيدون بالرأى العام ، والخطة الحربية القائمة على ، الجهة الممتدة ، والى نسير بمقتضاها الآن لابد وأن تسكلفنا الخسارات الكثيرة

في الأرواح والعتاد إذا أن كل فئة أصبحت مضطرة إلى أن تقاتل في منطقها وبصورة مستمرة هذا علاوة على أن ايزنهاور كان قد أقام مقر قيادته في جرانفيل على بعد نحو ٤٠٠ ميل من جبهة القتال . وهو مكان يصلح للقائد الأعظم ولكن لا يتفق ومهمات القائد المشرف على العمليات في البر ومن اللائق به أن يتتبع جيوشه في كل حركاتها وسكناتها فلا بد من أن يكون قريباً منها . ثم إنه كان مصاباً في ركبته ملازماً الفراش ولا خطوط تليفونية أو لاسلكية تصل بينه من ناحية وبينى وبين برادلى من الناحية الثانية . فإلى حيث كدت أراه متتهياً : أصبح منفصلاً تمام الانفصال عن المعركة في البر .

وعزمت على أن اتصل بايزنهاور للمرة الثانية وألح في ضرورة التقيد بخطة واضحة صحيحة وكتبت إليه التعليمات التالية فى ٤ (سبتمبر ، يوم استيلائنا على انفرس ولوفين .

أريد أن أعرض عليك بعض وجوه عملياتنا الحربية في المستقبل وأبدى فيها رأي .

١ - أرى أننا الآن وصلنا إلى طور من القتال حيث يمكننا أن نقوم بهجوم نحو برلين ونحتلها فنهى بذلك الحرب مع ألمانيا .

٢ - ليس لدينا الامكانيات الكافية للقيام بهجومين .

٣ - ثم أن الهجوم الذى نختار القيام به يجب أن يجهز وأن يصرف إليه الاهتمام القوى ولو نتج عن ذلك اهمالا للعمليات الاخرى

فتترك للقوى المكلفة بها ، وتعالجها تلك القوى على قدر امكانها .

٤ - وليس أمامنا إلا هجومان ممكنان : هجوم عن طريق الرور ، وهجوم عن طريق ميتر والسار ، وأرى أن الهجوم الأصلى هو الهجوم عن طريق الرور .

٥ - إن الموقف حرج والوقت قد ضاق علينا وكل لجوء إلى تحيز الفرص والتوانى يضعف امكانياتنا بحيث نصبح لا نقوى على هجوم قط ، وتطول مدة الحرب ، ولذا فالرأى هو ان يقرر الموقف عاجلا وبمقتضى ماسبقت واشرت اليه . ولربما استطعت ان تأتى إلى فنتباحث فى الامر ، أما أنا فلست قادراً على أن أبتعد الآن عن ساحة المعركة .

والواقع هو اننى لما ارسلت تلك التعليمات كانت الفرصة قد فاتت . فان الهجوم نحو السار كان قد ابتداء واستلم باتون كل اللوازم ليزحف على ميتر ، اما الجيش الاول عن يمينى فسكران عليه أن يحمى باتون فى تقدمه فلم يستطع أن يعاوننى فى عملياتى كما كانت تقتضى الأوامر . ومع ذلك فأننى لم أياس من وجود منفذ لانقاذ ما يمكن إنقاذه بشرط ان نحصل بسرعة على تحديد ما الموقف .

استلم أيزنهاور كتابى فى ٥ سبتمبر فأجابنى عليه فى اليوم نفسه فى الساعة ٥:٧ مساء . إلا أن المواصلات مع مقر قيادته فى جرنفيل كانت معرقة بحيث أن جوابه وصلنى على مرحلتين . فالبنديان الثالث والرابع وصلا أولاً فى ٧ سبتمبر فى الساعة ٩ ، والبنديان الاول والثانى

لم يصل إلا في صباح ٩ من . في الساعة ١٥، ١٠ . وهذا هو الجواب بكامله ، كما كان في الأصل .

١ - أنا معك في أنه لا بد من هجوم عنيف نحو برلين . إلا أنني لا أرى أن نركز اهتمامنا كله على ذلك الهجوم بصرف النظر عن عمليات أخرى .

٢ - إن معظم القوى الألمانية في المنطقة الغربية قد انلفت الآن . فمن اللازم أن نستغل نجاحنا فنشق خط سيجفريد ونعبر الرين ونحتل السار والروور ، وذلك بأسرع وقت ممكن . فنكون بذلك قد استولينا على المنطقتين التجاريتين المهمتين في ألمانيا وجعلنا ألمانيا عاجزة عن مواصلة الحرب في كل حال . هذا علاوة على أن عملنا ذلك يمكننا من قطع الطريق على القوى الألمانية التي تنسحب الآن من جنوبي فرنسا . فنتمكن حينئذ من أن نوجه ضرباتنا إلى حيث نشاء ونكره العدو على أن يوزع قواه للدفاع عن مراكزه .

٣ - أثناء تقدمنا يجب أن نفتح مرفأى الهافر وأنفرس وهما عاملان لا بد لنا منهما لمواصلة هجومنا حتى قلب ألمانيا . فإن توزيع امكانياتنا على غير الخطة التي ذكرت ، مهما كان شكله ، لن يمكننا من مواصلة هجوم نحو برلين .

٤ - وعليه فإن نيتي أن نحتل السار والروور أولاً ، وعند ذلك فان الهافر وأنفرس يكفيان لأن نمد باللوازم المحتاج إليها أحد الهجومين الذين نذكر أو اثنينهما . وفيما يختص بهذه الناحية فإني قدمت دائماً

ولا أزال أقدم على غيره الهجوم عن طريق الرور وطريق الشمال فتنفصل
الآن وأطلعنى على ما يلزمك حتى تبأشر بالزحف ،

فى ٧ سبتمبر لم أستلم إلا الجزء الثانى من رسالة إيزنهاور ، إلا أن
ذلك كان كافياً لفهم أننى لن أحصل على تحديد موقف كما أريده فأجبت
إيزنهاور أن الزاد الذى يصلنى لا يكفى للعمليات المطلوبة منى لاسيما وأننى
الآن أصبحت على بعد ١٥٠ ميلاً عن المرائى التى تؤمن تموينى وسأبأشر
بالزحف إلى الرور ومنها إلى برلين حالما أتمكن من استخدام أحد
مرائى البالد - كاليه . وختمت كتابى قائلاً إننى لا أزال راغباً
فى الاجتماع به .

فى ٩ سبتمبر بلغنى من لندن أن الصواريخ ف ٢ الأولى كانت قد
قذفت - إلى إنجلترا فى الأيام السابقة ، ومصدرها فيما يظن روتردام أو
أمستردام . فسممت متى عسانى أن أستولى على هاتين المنطقتين . فوقع
ذلك فى حينه ليحدد لى وجه زحفى وعمياتى لاجتياز نهري الموز والرين
فلا بد من أن تكون وجهتى نحو مدينة أرnhem . فاستدعوت دمبسى وبروننج
فى صباح ١٠ سبتمبر للتباحث فى ذلك الشأن ، وأنا أعلم أن المانع الأول
لكل تقرير هو أمر تمويننا .

وبعد ظهر ١٠ سبتمبر وصل إيزنهاور عن طريق الجو إلى
بروكسيل وفقاً لطلبي قبل ٣ أيام مرت ، وكان تدر فى رفقته ، فتحدثت
إليهما فى الطائرة لأن ركبته ما كانت لتسمح له بالنزول .

فعرضت للحالة بتفاصيلها وذكرت قصة الصوابيخ ف ٢ فقال إنه لا يزال يقدم على غيرها عمائم الزحف نحو الروم والشمال ، إلا أنه لا يتقدمها على وجه الإطلاق بصرف الاهتمام عن غيرها . فانه لا يستطيع بحال أن يخفف من وطأة الزحف إلى السار . فاجبه أن مقاومة العدو تشتد على القناة البير وأنا أصبحنا بحاجة ماسة إلى الزاد والعتاد والأسلحة .

وأصبح من الواضح أنني لن أتمكن من الزحف إلى الأمام على نطاق واسع نحو أرهم في الوقت الذي أراه موافقاً قبل أن يستعيد العدو قواه . فأننا بعد اجتيازنا لنهر السين انتقل مقر قيادتي إلى الشمال ، ومقر قيادة برادلي إلى الشرق وأصبح كل منا يعمل في ناحيته معزولاً عن الآخر . فصرحت بأنه ما دام الزحف يسير هكذا منشقاً إلى منطقتين ، وما دام التموين يوزع هكذا إلى فشتين فإننا لن نحصل على نتيجة قط ، والاحرى أن نقوى إما زحف برادلي نحو الشرق وإما زحفي أنا نحو الشمال . ولا نستطيع أن نواصل الزحفين معاً بنفس القوة والشدة ، ثم أنه لا بد من تحرير مرفأ أنقرس فيجب إذن دعم خطتي الحربية من اليسار . فان هذا الدعم ليس فقط يسهل علينا أمور تمويننا ، بل أيضاً يمكننا من مواصلة ضغطنا على الألمان فيحطمون تحطيماً في منطقة من أهم المناطق ، مما يساعد على إنهاء الحرب بسرعة . وأضفت أنه من اللازم أن يطلع هو ، أيزنهاور ، على وجهة نظري فيحكم بعدئذ بما يراه لازماً واتفق لي أن أيزنهاور لم يوافق على تحليلي ذلك للواقع ، وبقي مصرّاً

على أنه من الواجب أولاً نجتاز نهر الرين وذلك على جبهة ممتدة واسعة وبعد ذلك فقط ، نستطيع أن نجتمع قوانا للقيام بهجوم واحد . إلا أنه رضى بأن ترحف مجموعة الجيوش الواحدة والعشرون نحو أرهم واقتنع من أن العمليات فى تلك الجهة إذا ما كلت بالنجاح ، ستساعد مساعدة قوية فى كل عمل تقوم به فيما بعد .

وفى الغد ١١ سبتمبر كتبت إلى أيزنهاور رسالة أقول له فيها أن الخطة التى يفرضها علينا لن تلبث أن تسفر عن نتائج ستندم عاها . فان للعمليات المطلوبة من الجيش الثانى نحو نهري الموز والرين لا يمكن أن يباشر بها قبل ٢٣ سبتمبر ، حتى قبل ال ٢٦ منه . فيفسح ذلك المجال للعدو من أن ينظم خطه الدفاعى فتشتمد مقاومته لنا ، وبما أن الشتاء قريب والطقس أخذ يتغير . فانتى أخشى من ألا نفيد كبير شىء من تفوق طيراننا على الطيران الالمانى . ثم أن عملياتنا متقيدة بالمواصلات عن طريق البر والجو ، فإذا تباطأنا ولم نستغن بطريق المواصلات تلك جميعها لدعم هجوم واحد نختار جهته فاننا لم ننجح فى كلا الهجومين لبعدها الشاسع عن قواعد تمويننا ومع ذلك فاننا سنحاول جهد المستطاع لنقوم بالمهمات المطلوبة منا .

وكان لرسالتى هذه رد فعل سريع . فإن بدل سميث جاءنى فى الغد ليخبرنى أن أيزنهاور قرر أن يعمل بمقتضى نظريتى . فإنه أمر بتوقيف الهجوم نحو السار وجعل تحت تصر فى أدوات النقل التابعة لثلاثة افواج امريكية لتأمين تموين مجموعة الجيوش الواحدة والعشرين ،

وفوضت أخيراً إلى أن اتصل بالجنرال هودجرز قائد الجيش الأول لأطلب منه أية مساعدة أرانى محتاجاً إليها .

فأقبلت على خططى أعيد النظر فيها مع دهبسى وحددت يوم الأحد ١٧ (سبتمبر) للزحف نحو أرnhem .

وعلمت فيما بعد (ووددت لو أننى لم أعلم قط) أن باتون ، عندما بلغته تلك التعليمات ، دفع بجيشه الثالث إلى ما وراىنهر الرور بعد حصوله على موافقة برادلى ، بحيث لا يستطيع مقر القيادة الاعظم أن يخفف من تموين ذلك الجيش ولا أن يوقفه عن القتال .

فى ١٥ (سبتمبر) وصلنى من أيزنهاور الكتاب التالى :
عزيزى مونتجمرى .

إن أملى أن ندرك عن قريب الأهداف التى أشرت إليها فى تعليماتى السابقة ، فنستولى على الرور ، ومنطقة فرنكفورت وفيما يلى ما أنا عازم عليه .

إن الألمان بعد انسحابهم من الرور وفرنكفورت يصبحون فى حالة سيئة . قد يحاولون جمع قواهم ليقفوا أمام زحفنا إلى الأهداف الأخرى التى نسير إليها فى المانيا . ولكن بإدراكنا تلك الأهداف نكون قد قضينا على القوى الألمانية فى الغرب ، ثم نحتل مراكز أخرى مهمة ونشدد ضغطنا على الشعب الألمانى .

لا شك فى أن برلين لا تزال هدفنا الأهم ، وسيحاول الألمان جهد

المستطاع للدفاع عنها فمن الواجب علينا أن نجتمع كل قواتنا وامكانياتنا لهجوم سريع نحو برلين .

إلا أن خطتنا الحربية يجب أن تتناسق مع خطة الروس الحربية . فلا بد من اعتبار شتى الأحوال على اختلاف وجوها .

فهنالك منطقة المرافئ الشمالية ، كيل — لوبيك — هامبورج — بريم . فإن احتلالها يمكننا من مراقبة البحرية الألمانية ، وقواعد بحر الشمال ومنطقة تجارية واسعة ؛ علاوة على أنه ييسر لنا عزل القوى الألمانية الموجودة في النرويج والدانمارك . ويسهل علينا حماية قوانا الهاجمة على برلين .

وهناك مناطق هنوفر — برنسويك وليبنيج — درسد ، فهى مراكز تجارية وإدارية هامة ومن المحتمل أن يحاول الألمان الاحتفاظ بها لأهميتها من ناحية طرق المواصلات التى تؤدى إلى برلين .

ثم هناك مناطق نورمبرج — راتسبون وأوكسبورج مونيخ . فلا تخفى عليك أهمية مونيخ من الناحية السياسية، علاوة على أهميتها من حيث الاقتصاد والإدارة المدنية . هذا مع العلم أن احتلالنا لتلك المناطق يمكننا من قطع الطريق على القوى الألمانية المنسحبة من إيطاليا ومن البلقان .

أما أهدافنا بالضبط فلا يمكن تحديدها إلا بحسب ما تدل عليه الظروف ، فمن الواجب علينا أن نستعد إلى احدى العمليات التالية أو إلى القيام بها جميعاً :

(ا) توجيه قوى مجموعتي الجيوش نحو برلين بعد تطويق منطقة
الرور — هانوفر — برلين أو منطقة فرنكفورت — ليبزيج — برلين
أو بعد تطويق المنطقتين معاً .

(ب) إذا ما وصل الروس قبلنا إلى برلين فمجموعة الجيوش في
الشمال تستولى على منطقة هانوفر ومرافئ هامبورج ، ومجموعة الجيوش
في الوسط تستولى على منطقة ليبزيج — درسد كلها أو البعض منها ،
حسب تقدم زحف الروس .

(ح) وعلى كل حال فإن مجموعة الجيوش تستولى على اوجسبورج
— مونيش . أما منطقة نورمبرج — اوجسبورج فتحتلها مجموعة
الجيوش في الوسط أو مجموعة الجيوش في الجنوب حسب ما تسمح به
الظروف آنذاك .

وقصارى الكلام فإني أريد أن نسرع إلى برلين بأقصى جهد
مستطاع وبكل قوانا امريكية ، أو بريطانية وغيرها ، ويتم زحفنا
كعملية حربية واحدة متآلفة في شعبها وعناصرها .

ولا يسعني الآن أن أحدد الوقت الذي تتم فيه تلك الهجمات
ولا بأية شدة وقوة تتم ، إلا أنني أود لو أنك تطلعني على رأيك في كل
ذلك الذي عرضت لك هنا .

فأجبت في ١٨ سبتمبر أننا لا يمكننا أن نقوم بهجوم عام ربيع على
ألمانيا نظراً إلى سوء حالتنا من حيث الإدارة ومن حيث التمويل . غير
أن هناك هجوماً يمكن أن تقوم به قوى معدة له ومزودة بكل اللوازم .

فيجب أن تؤمن تلك اللوازم ولو اقتضى ذلك حرمان الغير منها .

ورأى الشخصى هو أننا لن نحصل على ما نريده عن طريق احتلال مناطق مثل نورمبرج ، اوجسبورج ، ومونيش وتركيز قوانا فى المانيا الوسطى ، بل اننى أرى أن خير أهدافنا هو المرور وأن خير السبيل إلى برلين هو الزحف نحو الشمال . وإذا اتفقت معى على هذا فإن مجموعة الجيوش الواحدة والعشرين مع افواج الجيش الاول الاميركى التسعة قادرة على القيام بتلك المهمة شرط أن تحصل هذه القوى على كل ما يلزمها من زاد وعتاد ، فتكتفى الجيوش الأخرى بما يتوفر لها .

أما إذا كان رأيك هو أن خير السبل إلى برلين هو الزحف عن طريق فرنكفورت و المانيا الوسطى . فالأوفق أن تقوم بالمهمة مجموعة الجيوش الثانية عشر فتزود باللوازم إلى الحد الأقصى ، ويلعب البريطانيون دوراً ثانوياً ، مثل حماية القوى الامريكية وغيرها فى زحفها .

وقصارى الكلام فالمهم هو الوصول إلى برلين بأسرع وقت ممكن . فاذا وقع الاختيار على طريق الشمال ، أرى أن جيوشاً ثلاثة تكفى للعملية وأن تأمين تموينها ممكن . أما طريق الجنوب فلا فكرة لدى عنه . ومهما كان من أمر ، فلا بد من تحديد موقف يتخذ وخطة تنفذ وذلك بأسرع ما يمكن من الوقت حتى لا تكون عملياتنا ارتجالية ، تفرضها علينا الظروف .

فأجابنى ايزنهاور فى ٢٠ (سبتمبر) أنه يرى مثلما أرى فيما يختص

بضرورة الزحف نحو برلين عن طريق الشمال والروور إلا أنه لا يوافق على أن يتوقف الجانب الأيمن (الجيوش الأميركية) ويسير الجانب الأيسر وحده (مجموعة الجيوش ٢١ مع بعض قوى امريكية) نحو عاصمة المانيا . نخطته هي أن تصل الجيوش جميعها إلى نهر الرين وتمون بما يلزمها من مرفأ انفرس بعد احتلاله وترميمه ، ثم بعد ذلك يتم الزحف على برلين عن طريق الشمال . وأضاف أنه طلب من برادلى أن يزحف إلى الجانب الأيمن من جيوشه ليساعد قوانا في زحفها ويحميها إذا ما اقتضت الظروف . وأنهى كتابه قائلاً إن قوى امريكية جديدة تتصل من بوست لتنضم إلى وحدتنا وأنه يريد أن يكون اهتمام برادلى الأول عند وصوله إلى نهر الرين أن يضع على شمالنا جيشاً قوياً ليرافقنا في سيرنا نحو برلين .

فأجبتة على الفور في ٢١ (سبتمبر) شاكرأ على ما يشير إليه من اتفاهه معى فيما يخص بالزحف عن طريق الشمال ، وأضفت أن لا بد من توقيف الجانب الأيمن من مجموعة الجيوش الثانية عشر عن السير وإلا فسنصبح أمام مشاكل لا حل لها . فاننا إذا أردنا احتلال الروور يجب أن يوضع كل شىء فى كفة اليسار ويترك كل ما سواها ، وإذا لم نفعل لن نحصل على الروور .

فعمد ايزنهاور مؤتمراً فى فرساي بعد ظهر ٢٢ (سبتمبر) وكانت الحالة تفاقت فى منطقة أرهم ، وما استطعت أن أحضر ذلك المؤتمر بل انتدبت ده جنجان ليقوم مقامى ، ويدافع عن وجهة نظرى فى مقر

القيادة الأعظم حيث لم تكن قلوب الكثيرين من أعضائه صافية على، وأبرق لي ده جنجان في الليل ليخبرني أن أيزنهاور دافع مدافعة تامة عن وجهة نظر وقال إن الزحف عن طريق الشمال يجب أن نصرف إليه الاهتمام الشديد وأن يؤازر مؤازرة مطلقة من كل قيد وشرط.

وكانت الحالة في أرهم قد ازدادت تفاقماً آنذاك واضطرت في ٢٥ سبتمبر إلى سحب الفوج الأول البريطاني من ضفة نهر الرين المقابلة لضعتنا حيث كان قد نقل عن طريق الجو ولا يسعني إلا أن أذكر لاجتماعي بايزنهاور في مقر قيادتي الحربي في كونده في ٢٣ أغسطس إذ طلبت إليه بالحاح أن يتقيد بخطتي . فلم يفعل . وها هو الآن يرجع إليها ويدافع عنها بشدة ، ولكنه تأخر شهراً بالضبط للرجوع إليها وها هي الحوادث تجري على نحو ما قلت حينذاك ، ولن نستطيع بحال أن نتدارك أمرنا .

وصارت حالة التوهم من سوء إلى أسوأ . فتوقف الجيش الأول عن مواصلة عملياته في نحو ٦ أكتوبر . وفي ٧ منه ، كتبت إلى أيزنهاور من أيدوفن أنني في الجانب الشمالي ، لن أستطيع الوصول إلى نهر الرين ما لم ترتفع كميات الزاد المخصصة لي . وأضفت أنني طلبت من برادلي أن يجيئني في الغد ٨ أكتوبر لتتباحث في الحالة معاً .

فكتب إلينا أيزنهاور في أيدوفن ليطلعنا على وجهة نظره في المشاكل التي تعترضنا جميعاً وفيه يقول إن الهجوم العام نحو نهر الرين يجب أن يربحاً حتى تصل القوى الأميركية الجديدة من السواحل ثم يضيف

قائلا . ومع ذلك فإن الهدف الأول لمجموعة الجيوش هو أبداً ودوماً الوصول إلى خط الرين في شمال بون بأسرع ما يمكن .

وما كنا نوافق على هذا الرأي برادلى وأنا ، لأن الزحف نحو الرين كان أمراً مستحيلاً ما دامت حالة التموين في حاجة إلى التنظيم فأخبرت ايزنهاور أنني أوقفت زحف الجيش الثامن نحو الرين لأصب مجهودى كله على ضواحي أنفرس بحيث يصبح ذلك المرفأ صالحاً إلى الاستخدام بأقصى حد ممكن .

وفي الغد ٩ أكتوبر جامنى من ايزنهاور تصريح بتوقيف العمليات كلها من سويسرا إلى المانش وبصرف الاهتمام الشديد إلى إحتلال مرفأ أنفرس وترميمه .

وفي ٨ أكتوبر وصل الجنرال مارشال ابرفقة برادلى إلى مقر قيادتى وتباحشنا طويلاً فى مكتبى ، فصارحته بوجهة نظرى فى سير الامور بعد أن تقلد ايزنهاور قيادة المعركة فى البر وهو لا يزال القائد الأعظم المشرف على تسيير الحرب فى الجو والبر والبحر وكانت الجيوش حينئذ قد فصل بعضها عن بعض قوميا مع كونها تقاتل فى منطقة جغرافية واحدة ، لا وحدة توجيه فى تسيير العمليات الحربية ولا وحدة مراقبة . بل فوضى تعم المعركة فى كل مراحلها ومناطقها وكان مارشال يصفى صامتا ولكن لاشك فى أنه كان مستنكراً ذلك كل الاستنكار . وفى الشهر ذاته ، بعد أيام قلائل نقلت مقر قيادتى إلى بروكسيل ليتيسرلى توجيه العمليات ضد أنفرس فانهتت منها فى أوائل نوفمبر وأطلعت عليها

ايزنهاور في ٣ منه ، على أن ضواحي انفرس كلها مع منطقة مصب نهر الاسكو قد أنقذت من يد العدو . وأسروا ١٤٠٠٠ مقاتلا من الألمان . فاستخدام انفرس أصبح بعد ذلك أمراً راجعاً إلى السلطات البحرية فاجاب ايزنهاور فوراً ليشكرني وكافني أن أنوب عنه لتبليغ شكره إلى الجيش السكندى وقائده إذ أن السكنديين هم الذين قاموا تحت إشرافي ، بمهمة تحرير منطقة انفرس من الألمان .

أن مصير تطور خطة الحلفاء الحربية في شمالى نهر السين هو أن يصبح من أعظم المجادلات التى عرفها تاريخ الحرب فإن الألمان . هم الذين إستفادوا من إختلافنا في نهاية الأمر ؛ فإننى كنت ولا أزال على يقين من أننا أخطأنا ولم نستغل تماما الفوضى التى عمت صفوف العدو بعد هزيمته القاضية في نورمنديا في أغسطس ١٩٤٤ فالمهم بعد تلك الهزيمة ليس فقط أن نستولى على مرفأ انفرس ، كما ظن بعضهم ، بل أن نتخذ تصرفنا في نورمنديا كحافز حتى نتبع الألمان ونتحرش بهم ونستولى على المرافىء اللازمة لنا في الجانب الشمالى مع التقييد بخطة حربية واضحة بسيطة منذ منتصف أغسطس ، ولو فعلنا لكنا عسكرينا في مناطق متقدمة إلى ما وراء الرين وأستولينا على الرور قبل أوائل الشتاء ، هذا علاوة على أننا كنا أنهينا الحرب بسرعة ومهدنا الأمور إلى توازن سياسى يؤمن عن طريقه إستقرار قريب سلمى غير الذى نحن فيه اليوم .

كان ايزنهاور يريد السار ، ومنطقة فرنكفووت والرور ؛ وانفرس وخط الرين وكل ذلك ليس إلا سعيًا وراء المشا كل وطالبا لها فمن

المستحيل أن نحصل على كل ذلك عن طريق هجوم عام واحد إلى الأمام .

فلو تقيد ايزنهاور بخطة لكان استطاع أن يحصل على انفرس والورور مع وجوده في مناطق متقدمة إلى ما وراء نهر الرين فتصبح حالته بذلك على خير ما يرام .

أو أنه لو تقيد بخطة برادلي لكان استطاع أن يحصل على السار ومنطقة فرنكفورت مع إقامة معسكر له في مناطق متقدمة إلى ما وراء نهر الرين في الوسط وفي الجنوب .

إلا أنه كان متفائلا وأصر على تفاؤله فلم ينل هدفا قط من أهدافه وأصبحنا في حالة يرئى لها .

وفي ٦ نوفمبر غادرت بروكسيل للاستراحة بعض أيام في إنجلترا وكنا عشنا جميعا أياما شاقة منذ نزولنا في البر في نورمنديا ، ويوم ٦ يونيو وقد مضى على ذلك ستة أشهر بالضبط ، فرأيت أنني استحق شيئا من الراحة .

وعند وصولي إلى إنجلترا ذهبت نوا إلى رئيس الوزارة لأطلعه على أمورنا ولا أقول له أيضا أنه لا بد له ، الآن من أن يتوقع أن تدوم الحرب كل الشتاء ، لا بل تبقى حتى عام ١٩٤٥ .

وفي ١٠ نوفمبر عدت إلى مقر قيادتي في بروكسيل .

الفصل الخامس عشر

معركة ارnhem

١٧-٢٥ (سبتمبر) ١٩٤٤

ان زحفنا عن طريق الشمال للاستيلاء على الرور ، بمقتضى أوامر ايزنهاور ، كان يعترضه حاجزان مهمان وهما نهرا الموز والرين. وأى طريق اخترنا ، كان يعترضنا حواجز أخرى وهى القنوات الواسعة .

أما خطى فكانت أن أندفع بقوة الى الامام نحو نهر الرين بعد اجتيازي تلك الحواجز كلها ، ثم أعسكر فى منطقة متقدمة الى ما وراء الرين قبل أن يستعيد العدو قواه فينظمها ليقفنا .

وكان قد وصلنى فرع الحلفاء الاول ، تحت قيادة الجنرال بروننج وهو فرع مؤلف من قوى بريطانية وأمريكية وبولونية فأدجته بالجيش الثانى تحت قيادة دمبسى .

هذا وقد سبق لى أن ذكرت أن ذلك الزحف كانت وجهته ارnhem، وذكرت أيضاً الأسباب التى من أجلها تم . وطابع خطى فيه هو أن أنزل عن طريق الجو قوى بين القنوات الخمس الرئيسية التى تقطع الطريق

العام المار بايندوفن والواصلة الى ارنهم . فيزحف الفرع الثلاثون (هروكس) في ذلك الطريق والمناطق الموازية له وهو على اتصال دائم بالفرع الاول البريطاني الذي يكون قد أنزل في منطقة ارنهم عن طريق الجو ، ويكون في شمالى تلك المنطقة منطقة متقدمة إلى ما وراء نهرالرين الشمالى . أما الجيش الثانى فكان عليه أن يعسكر فى المنطقة الواقعة بين ارنهم والزويدرزى ، متطلعاً نحو الشرق بحيث تيسر له العمليات ضد الجانب الشمالى من الرور . ثم أن الفرع الثلاثين ، يكون معه أثناء تقدم الفرع الثامن من الشرق (أو كوتر) والفرع الثانى عشر (ريتشى) من الغرب فيوسعان الطريق الذى يشقه .

وعرفت مجموعة هذه العمليات باسم (مركت جاردن) . فإن الخطة التى تسير بمقتضاها خطة جريئة ، يصفها برادلى على (أنها أشد خطط الحرب امتيازاً بالابداع) . إلا أنه قام ضدها خوفاً من أن نجاحها فى الجانب الشمالى قد يسفر عن امكانيات لا بد من أن تستمر فيقتضى ذلك طلب قوى أمريكية أخرى تنضم إلى قوى لاستغلال تلك الامكانيات وهو حينئذ يجذب الهجوم المضاعف على السار وعلى الرور فى نفس الوقت .

وقد ذكرت أنه فى ١٠ (سبتمبر) عند اجتماعنا فى بروكسيل مع ايزنهاور كان قد وافق على الخطة المصممة لها . نيته آنذاك أن تستمر الجيوش زاحفة نحو السار والرور لاحتلالها معاً . وفى أثناء زحفها تستولى على مرفأى الهافر وانفرس وتفتحهما للسفن . أما احتلال مرفأ انفرس

وثرميه ، وتقدم تلك العملية على غيرها من العمليات ، فلم تستقر نيته عليها لأول مرة إلا في ٩ (اكتوبر).

هذا ما تثبته التعليمات التي أذعتها على قواتي في ١٤ (سبتمبر) والتي فيها أتقيد تمام التقيد بنوايا ايزنهاور وأوامره .

توجيه للعمليات : م ٥٢٥

١ - الآن وقد احتلنا الهافر أصبحنا على استعداد أشد للقيام بالمهام المطلوبة منا لاحتلال الرور .

٢ - احتلنا مرفأ أنفرس إلا أننا لا يمكننا أن نستخدمه لأن العدو لا يزال مرابطاً في مصب نهر الاسكو وطرده من هناك عمل يكلف به الجيش السكندى ويقدمه على غيره من المهمات المطلوبة منه .

٣ - على جانبنا الايمن دخل الجيش الاول الأمريكى الى المانيا وهو الآن متصل بمراكز خط سيجفريد الدفاعية .. وفي الجنوب عسكر الجيش الثالث الأمريكى في مناطق متقدمة الى ما وراء نهر الموزيل .

٤ - مع مجموعة الجيوش الثانية سنباشر بعمليات ، الغاية منها عزل الرور واحتلاله . وإذن فهدفنا الحقيقي هو الرور إلا أننا في طريقنا سنحتل مرفأى أنفرس وروتردام إذ أن احتلالنا الرور ليس إلا المرحلة الاولى في زحفنا إلى داخل المانيا .

القصد العام

٥ — اتلاف العدو في غربي الخط العام زوله — دفنتر — كايف
— فنلو — مايستريش ، ، إذ أن هدفنا الزحف نحو الشمال واحتلال
الرور .

الحدود التي يتم الزحف ضمنها

٦ — بين مجموعة الجيوش الواحدة والعشرين ومجموعة الجيوش
الثانية عشر .

فمجموعة الجيوش الثانية عشر تشرف على هسات - سيتار - غرتزفيلر
ليفركوزن (على نهر الرين) .
ومجموعة الجيوش الواحدة والعشرون تشرف على أوبلادز (على نهر
الرين) - وريورج - برنسويك .

٧ — وليس تعيين الحدود تلك إلا دليلا عاما لتسيير العمليات .
فإن زحف الجيش الثاني البريطاني يتجه أولا نحو الشمال ثم نحو الشرق
بحيث يطوق الرور من ناحية جانبه الشمالي ، وزحف الجيش الأول
الأمريكي يتم نحو الشرق بحيث يطوق الرور من ناحية جانبه الجنوبي .
والجيشان إذن قد يبتعدان بعضهما عن البعض بحكم زحفهما فلا بد من
أن تتخذ التدابير اللازمة لحماية قواهما الوراثية .

الجيش الأول الكندى

٨ - تتميم لاحتلال بولونيا . ثم لاحتلال كاليه .

٩ - إن الاهتمام بدنكر كيرجأ إلى بعد ، أما فى الوقت الحاضر فحجب ذلك المركز يكفى .

١٠ - يجب أن يوجه الجيش كل قواه إلى عمليات الغاية منها التمكن من استخدام مرفأ انفرس استخداماً تاماً . وستعاونه فى كل ذلك قوى تنقل عن الجو . ولقد قام الطيران بعمليات ضد جزيرة والشيرين .

١١ - أن مقرى قيادة الفرع الأول والفوج التاسع والأربعين سينقلان بأسرع ما يمكن من الوقت من منطقة الهافر إلى منطقة انفرس وسيبقى الفوج الواحد والخمسون فى مكانه فى شبه جزيرة الهافر لتكون أدوات النقل المخصصة له تحت تصرف الجيش الكندى مادام قائماً بالمهمات المطلوبة منه والمشار إليها آنفاً .

١٢ - يجب على الجيش الكندى أن يحل محل الجيش الثانى البريطانى فى منطقة انفرس ابتداء من نحو ١٧ (سبتمبر) . أما فيما

يختص بعمليات التبديل فالجيش الثانى يتقيد بالتوجيهات الصادرة من الجيش الكندى .

١٣ - بعد الانتهاء من عمليات أنفرس ، يتجه الجيش الكندى نحو الشمال ، وتكون مهمته إتلاف الأعداء غربى خطه وتحرير مرفأ روتردام .

١٤ - وبعدئذ ينقل الجيش الكندى إلى يسار (الجانب الشمالى) الجيش الثانى ، ثم يتجه نحو بريم وهمبورج .

الجيش الثانى البريطانى

١٥ - إن مهمة هذا الجيش الاولى هو الاتجاه نحو الشمال واجتياز نهري الرين والموز فى منطقة أرnhem - نياج - غراف ، وسيجعل تحت تصرفه ، للقيام بتلك المهمة ، فرع مؤلف من ثلاثة أفواج ينقل عن طريق الجو .

١٦ - ومن ثم فإن الجيش يعسكر بقوة على الخط زفولة - دفتتر - أرnhem ، ووجهته الشرق فيحتل مناطق متقدمة على ضفة الايسل الشرقية . ثم يستعد بعد ذلك أن يزحف من ذلك المركز نحو الشرق فى منطقة رينه - أوستابروك - مونستر . وفى أثناء زحفه ذلك يشدد ضغطه بنوع خاص على يمينه . ، نحو هام حيث يندفع بزحف عنيف نحو الجنوب طوال حدود الرور الشرقية .

١٧ - إن الزحف نحو الشمال لاجتياز النهرين (بند ١٥) سيتم بسرعة وبعننف بصرف النظر عما سيحدث في الجوانب . ويتخذ الجيش بعد ذلك التدابير اللازمة لتوسيع المنطقة التي تم فيها زحفه بادیء الامر ولاحداث خطة لتأمين التموين .

١٨ - يباشر الجيش بالعمليات المشار اليها يوم الاحد ١٧ (سبتمبر) وقد تقتضى حالة الطقس إرجاء العمليات المفروض تميمها عن طريق الجو .

مجموعة الجيوش الثانية عشر

١٩ - يزحف الجبش الاول الامريكى نحو الشرق بالترتيب التالى :

(ا) يوجه الفرع الخامس على بون

(ب) يوجه الفرع السابع على كولونيا

(ج) يؤمن الفرع التاسع عشر لحماية جانب الجيش .

٢٠ - يحتل الجيش بون وكولان ويعسكر فى منطقة متقدمة إلى نحو

١٠ أميال على ضفة نهر الرين النينى .

٢١ - يزحف الجيش حينئذ مطوقاً جهة الرور الجنوبية . ويجب

أن تتم تلك العملية بحيث تتوافق وزحف الجيش الثانى البريطانى لاذ يطوق جهة الرور الشمالية . فلا بد من أن أبقي على اتصال مستمر مع برادلى أثناء تلك العمليات .

ملاحظات عامة

عند ما ندخل إلى ألمانيا يجب أن نتخذ التدابير اللازمة حتى لا تكون مقرات القيادات والمناطق التي تحتل فيها الوحدات ظاهرة بادية للنظر يسهل الوصول إليها فيتسلل فيها الجواسيس وعملاء الجستابو . ثم أنه لا بد لكبار الضباط من أن يحتاطوا لأنفسهم أثناء تنقلاتهم في مناطقهم خوفاً من رصاص عدو مطارده مستمر .

وعند ما نصبح في ألمانيا سوف لا نأبث أن نرى ما هو الموقف الواجب اتخاذه . فلنجأ حينئذ إلى التدابير اللازمة .

ومالبت أيزنهاور أن اطلعني على الوقع الحسن الذي أحدثته تعليماتي هذه في نفسه في نفسه . فيقول لي في كتابه بتاريخ ١٦ سبتمبر أنه يوافق على كل ما أمرت به ، ثم يصرح من أن العدو سيركز مجهوده على المرور ، فإذا انتهينا منه هناك تم لنا كل شيء . ولذا فإنه يريد أن يكون برادلي متفقاً معي وإن توازرنى القوى الأمريكية إلى أقصى حد ممكن . ويختم كتابه قائلاً إن الزاد المعد لي سيصلني في ٧ سبتمبر وأنه سينقل مقر قيادته إلى فرساي ولكنه سيقم هو بين كومبينيا ورمس في منطقة لا يزال يجهلها فيخبرني بها حالما تعين .

ووردني في الوقت نفسه من المكتب الحربي كتاب يطلب فيه مني أن أكون أول من يتقيد بالبند الثاني والعشرين من تعليماتي السابقة واتخذ كل الاحتياطات اللازمة للتأمين على روحي . وفي خاتمة الكتاب ورد أنه

من الواجب عل ألا أعتبر كل ذلك كاقترح ليس غير ، بل كأمر قاطع من قبل رئيس الأركان الامبراطورية العام .

بأشرنا بعملیات مركت جردن فی ١٧ سبتمبر ١٩٤٤ . وطالما عرض لها المؤرخون فی كتبهم . وخیر ما قیل فیها ، فیما أرى ماورد عنها فی کتاب تشستر ولود الجهاد فی سبیل أوروبا . . وألجمع یعلم أننا لم ننجح فی محاولتنا أن نعسكر فی منطقة متقدمة شمالی أرنهم ، ومن ثم فلم نتمكن من أن نستخدم الجيش الثانی ضد الجبهة الشمالیة من الرور . إلا أن احتلالنا لغراف علی نهر الموز ولنساج علی نهر الرین الأسفل أدى لنا مساعدة لا تقدر لاجتياز نهر الرین بالقوة اللازمة فی مارس ١٩٥٥ وللستيلاء علی رینانیا . ومع ذلك لا بد من الاعتراف بأننا لم ندرك غایتنا من عملیات مركت جردن .

فی لیلۃ ٢٤ سبتمبر وصلنی من الفوج الأول الذی كان قد نقل إلى أرنهم عن طریق الجوّ تعلیات یقول فیها من یخصه الأمر هناك أن البقاء فی المنطقة أصبح مستحیلا : لازاد ، لا أسلحة ، لا عتاد . كل شیء كان قد نفذ ، خسارات فادحة فی الأرواح ولا سیما من الضباط . لا طریق إلى هجوم قط ، وإذا هاجم العدو یحطم ما بقی من الفوج تحطیما . ففی هذه الحال ، تقتضى الأوامر أن یشق كل طریقته إلى صفوفنا المتقدمة فضلا عن أن یستسلم . وتنتهی الرسالة بهذه السکلمات : حاولنا إلى أقصى جهدنا وسنستمر نحاول بقدر ما نستطیع إلى الأمر سییلا .

ولم يتمكن من الوصول إلى نجدة هؤلاء البواسل بالقوة اللازمة ، فأمرت بسحبهم ، فانسحبوا إلى خطوطنا في ليلة ٢٥ سبتمبر وأسر منهم هناك نحو ٢٠٠٠ مقاتل مع أطبايهم وممرضيهم . وكان في عدد الراجعين قائد الفوج أوركوهارت ، فبقى في مقر قيادة العسكرية مدة تم سافر إلى إنجلترا بعد أن طلب منى بياناً يقرؤه على الفوج بعد تأليفه من جديد . وفي ذلك البيان شكرت هؤلاء الشجعان وهنأتهم على نخوتهم وشجاعتهم وأكدت لهم بأن كلا منهم يستطيع أن يكون غوراً فيما بعد لأنه كان في عدد الذين استبسلوا في أرنهم .

هناك أسباب عديدة حالت بيننا وبين أن يكون نجاحنا في أرنهم نجاحاً تاماً ، وأنتى لأذكر ، فيما يلي النقاط الرئيسية منها :

أولاً : لم يعتبر أعضاء مقر القيادة الأعظم تلك العملية ، كالمرحلة المهمة من زحف جبار يقوم به الحلفاء في الجانب الشمالى لعزل الرور وإحتلالهم بعد ذلك . لا أشك في أن ايزنهاور كان يريد ذلك وأصدر الأوامر اللازمة لتنفيذه ، إلا أن تلك الأوامر لم تنفذ والجميع يعلم الآن أن الزاد بالعتاد والأسلحة كان ، في الواقع ، يوزع على قدم المساواة بين القوى الداخلة في عمليات مركت جردن من ناحية والجيشان الأول والثالث الأمريكيان من الناحية الثانية . ونفذ زادنا قبل الاوان لأننا لم نميز عن غيرنا في توزيعه . وإنك لتتيقن من ذلك إذا قرأت كتاب تشيستر ولمود الجهاد في سبيل أوروبا ، ص - ٥٣١ .

ثانياً : إن القوى المنقولة عن طريق الجو إلى أرنهم ، نزلت بعيداً

عن البحر ، وهو هدفنا الأول ، فقضت ساعات طوال لتصل إليه .
وأنا المذنب هنا فأعترف بذنبي . كان على أن أمر بحيث ينزل لواء على
الأقل قرب الجسر فيحتله بعد دقائق ويعسكر فيه حالا . ولكنني
لم أفعل .

ثالثاً : كان الطقس عاطلاً بعد اليوم الأول من مباشرة العملية .
والطقس عامل لا بد من التقيد به في الحرب . إلا أنه كان من الممكن
أن نتفوق على ذلك المانع لو زدونا بما كان يلزمنا ولو تحولت العملية
إلى عمية تهم الحلفاء كلهم فيشارك فيها الجميع ولا تترك على عاتق
البريطانيين وحدهم .

رابعاً : إن الفرع الثاني من الإس إس بانزرس كان يستعيد قواه
في منطقة أرهم بعد انسحابه من نورمنديا حيث كان فت في عضده .
ولم أقم له الحساب الذي يستحق فقام بما لم نكن نظنه منه . وهو الذي
هاجم فوراً الفوج الأول المنقول عن طريق الجو ،

وهكذا كنت ساخطاً بعد أرهم كما كنت ساخطاً بعد معركة
نورمنديا . فإننا لم نحتمل الرور في الوقت الذي كنا نريده لذلك الصرح
الألماني دكاً من أساسه . ولا بد لي من الاعتراف بأنني ما كنت مصيباً
في نظرتي . لم أقدر أن إنقاذ مرفأ إنفرس كان من الصعوبة بحيث لا نقوى
على ترميمه بسرعة لاستخدامه ورأيت أن الجيش الكندي يستطيع أن
أن يقوم بتلك المهمة إذ كان باقي قوانا يواصل زحفة نحو الرور . أجل
ما كنت مصيباً في تقديرى هنا .

وأريد أن أنهى هذا الفصل بمقطع استخرجه من كتاب ولمو
«الجهاد في سبيل أوروبا» ص ٥٢٨ .

«لأنه لأمر يؤسف عليه كل الأسف أن يكون عاملا للضعف
الرئيسيان في قيادة الحلفاء العليا - خوف البريطانيين من الخسارات
ونفور الأمريكيين من تكامل القوى - قد أضاعوا ليؤثرا أسوأ التأثير
على تلك العملية الحربية التي كان من اللازم ومن الممكن أن تتم كالضربة
القاضية لفاطحة في الحرب في المنطقة العربية . وما كان الوقت وقت تردد في
دفع الثمن غالياً ، ولا وقت اعتبار نفوذ ومتمام قادة يتنافسون في أن يقدم
بعضهم على البعض الآخر إنما أقل ما يقال في الأمر هو احتلال الروور
ولإنهاء الحرب بسرعة مع كل ما يعنى ذلك من حيث مستقبل أوروبا ،
وإبنى لأرى أن العملية الحربية تلك لو سددت كما كان يليق أولاً
ولو خصص لها الطائرات ، والقوى البرية والإمكانات الإدارية
اللازمة ، لكانت نجحت بالرغم من أخطائى . ومن الطعس المعاكس ،
ومن وجود الفرع الثانى إس إس من البانزرس في منطقة أرهم .

فإننى لا أزال المحامى المصر لعملية موكت جردن .

الفصل السادس عشر

معركة الأردن ونهاية الحرب



إن معركة الأردن اتى ابتدأت في ١٦ ديسمبر ١٩٤٤ وانتهت في ١٦ يناير ١٩٤٥ ، ولدت فيما بين البريطانيين والأمريكيين تنافراً لا أستطيع أن أهمل ذكره . غير أنه لا بد لي أولاً من سرد الحوادث التي سببته ، مما يبدو أن تلك المعركة كان تجنبها ممكناً .

في ٢٨ نوفمبر ، قصدني أيزنهاور ليقضى السهرة معي في مقر قيادتي العسكرية في زنهوفن . فتباحشنا طويلاً عن الحالة وهي أقل ما يقال عنها أنها ليست مرضية .

إن بقاء الحرب حتى الشتاء ، وهو بقاء ساقتنا إليه أخطاؤنا بعد معركة النورمنديا ، أدى إلى خسارات جسيمة في الأرواح والعتاد وشق كثيراً على الأمريكيين بنوع خاص .

وفي أثناء حديثي مع أيزنهاور قلت له إن مجموعة جيوش برادلي الثانية عشر كانت تظهر لي ضعيفة بعض الشيء ، فيجب أن يضاف إليها بعض أفواج تؤخذ من باتون، ويتوقف باتون عن الهجوم في الجنوب

وبلغ برادلى اقتراحى ذلك فلم يرض به معللا موقفه بأن جيش باتون مرابط فى جهة طولها ما يربو على ٧٠ ميلا . فلا يمكن نزع فوج أو فوجين منه بدون إحداث ضعف يمنعه بعدئذ من أن يشترك فى الهجوم الذى لا بد من أن يقوم به الجيش السادس فى الجنوب تحت قيادة دوفر .

ثم ذكرت ايزنهاور بأن الخطة التى عرض لها فى بيانه فى ٢٨ أكتوبر والتى كانت تقضى باحتلال الرور والساار ، إن تلك الخطة إذن لم تنفذ فلا بد لنا الآن من خطة أخرى .

وقبل افتراقنا فى ٢٩ نوفمبر اقترحت أن يعقد اجتماع بينه وبين تدر وأحضره مع برادلى ، فيعرض كل رأيه ويطلعنا على خطته المقبلة . فوافق على أن يعقد ذلك الاجتماع فى ميستريرشت فى ٧ ديسمبر .

وقد افتتح هو مستعرضاً الحوادث التى جرت منذ أول سبتمبر، ثم ذكر العمليات الأخيرة بجاهرأ برضاه عنها وما أراه صادقا هنا ، وهو يحاول وصف تطور الحالة بحيث يخفف من شدة نقدى لها ، وهو يتوقع ذلك النقد منى ، عندما يسمح لى بالكلام . وختم ايزنهاور كلمته قائلا إن غاية اجتماعنا أن يبدى كل رأيه بالصراحة التامة ، فبساعدنا ذلك على تصميم الخطة التى نريد أن نتقيد بها . وعند ذلك طلب منى أن أعرض رأى فى تطور الحالة .

فتناولت أولا المشكلة فى خطوطها العامة . وهى أن لإنهاء الحرب بسرعة متعلق بمعاملين أساسيين . فالعامل الأول هو احتلال الرور

فتمتطع على الألمان إمكانياتهم لمواصلة الحرب . والعامل الثاني لإرغام الألمان على حرب قائمة على الحركة والنقل ولا تتجمد في مكان واحد ، فإن حرباً كنتك تتطلب أدوات نقل ، ونفطاً ومصفحات ، ونحن أقوى من العدو في كل ذلك . ولذا فإنه سيحاول جهد المستطاع أن تبقى الحرب جامدة . والعاملان هذان يقتضيان أن نكون مستعدين الاستعداد التام للعمليات في أوائل الربيع والصيف وأن تتم تلك العمليات في الشمال حيث تكون الحرب القائمة على الحركة والنقل ممكنة بحيث ، لا تكون في الجنوب حيث يستطيع العدو أن يتحصن في خطوط دفاعية فيرغمنا إلى الحرب الجامدة . وللقيام بهذا كله لا بد لنا الآن من خطة جديدة تنقيد بها تقتضى فيما تقتضيه ، عمليات من شأنها تخلخل قوى العدو وتزعزعها أثناء الشتاء حتى نهزمها بسهولة في أوائل الربيع والصيف عندما نقوم بهجومنا . وفي مقدمة القوى الواجب تخلخلها منذ الآن جيش الباترس الألماني السادس . فهو الجيش المصفح الوحيد الباقي عندهم والممكن إستخدامه في حرب قائمة على الحركة والنقل .

ثم انتقلت إلى عرض الخطة التي أراها ذا كراً بالتفاصيل اللازمة لعمليات مجموعتي الجيوش الثانية عشر والواحدة والعشرين . ثم طلبت أن توحد القيادة في الشمال فيما أكبر أن القائد وبرادلي تحت تصرفي وإما أن يكون هو القائد وأنا تحت تصرفه . وكنت مستعداً أن أرضى بالحل الأخير .

ولم يوافق أيننهاور على ضرورة تركيز مجهودنا في الشمال مدعياً أن المهم ليس احتلال الرور بل لإتلاف الألمان حيثما حلوا . ولذلك

رجع إلى خطة الجبهة الموزعة الممتدة . ثم أضاف أنه لا يرى معنى بضرورة توحيد القيادة وختم كلامه قائلاً إنه ولو كانت الخطة التي نسير الآن بمقتضاها فاشلة فإنه إذن من الواجب أن نعتبرها كناجحة وأن نستمر في تنفيذها .

وهكذا لم يسفر اجتماع ميسترش في ٧ ديسمبر عن نتيجة قط . وفي هذه الأثناء عسكرت مجموعة الجيوش الثانية عشرة ككتلتين رئيسيتين كل منهما معدة للهجوم . وبين الكتلتين فاصلة على بعد نحو ١٠٠ ميل يشغلها الفرع الثامن الأمريكي المؤلف من أربعة أفواج وهوتحت قيادة مدلتون في ١٦ ديسمبر كنت ألعاب الجولف مع صاحبي دي ريس إذ بلغني الخبر أن الألمان اندفعوا بهجوم عنيف على جبهة الجيش الأول الأمريكي ، وأن الحالة تدعو إلى القلق . فودعت ريس ورجعت إلى مقر قيادتي الجزيرة في زونهوفن .

وقع الهجوم على الناحية الضعيفة من جبهة الجيش الأول الأمريكي في الاردن ، حيث كان فرع مدلتون الثامن معسكراً واستطاع العدو أن يتجاوز بعيداً في جبهة الأمريكيين . وإنني لأرى من الخير أن يكون قولي بتحفظ في شأن تلك المعركة إذ أنهم ، فيم أظن ، سيؤولون كل ما أقوله إلى وجهه قبيح ولكن لا بأس أن ذكرت ما ظهر لي من المراحل المهمة آنذاك .

تفاقت الحالة بسرعة فقطعت مجموعة الجيوش الثانية عشرة إلى قسمين وفصل برادلي عن القسم الشمالي منهما . فبادرت إلى تأمين الحالة في

الجانب الآمن والوراء الآمن من مجموعة الجيوش الواحدة والعشرين .
وفي الساعة ١٠.٣٠ اتصل آيزنهاور بي تليفونيا وأمرني بأن أتسلم فوراً
قيادة القوى الأمريكية الموجودة في القسم الشمالي وهو مؤلف من
جيشين : الجيش التاسع (سمبسون) والجيش الأول (هودجس)
وكلاهما عن يميني . فما لبثت أن اجتمعت بقائدي الجيشين بعد محاضرة
دارت بيني وبين دمبسي وكريرار في الساعة ١١ وتباحثنا معاً في التدابير
اللازم اتخاذها . وهما في حاجة إلى الأمر إذ أنهما كانا قد فصلتا تمام
الانفصال عن برادلي منذ ابتداء الهجوم .

أما موقف الجيش الأول فكان حقاً حرجاً ، وهذا ما حملني على
أن اعتبر المعركة في القسم الشمالي كسكل لا يتجزأ . فأخذت أناكد من
تمسكنا من المناطق المهمة وأدخر القوى الاحتياطية لهجوم معاكس
ثم جعلت قوى بريطانية تحت تصرف الجيش التاسع وطلبت من ذلك
الجيش أن يحتل جزءاً من جهة الجيش الأول . وأخيراً جمعت وراء
الجيش التاسع والأول قوى احتياطية بريطانية حتى تصل القوى الاحتياطية
الأمريكية وأخذت الحالة تتحسن شيئاً فشيئاً ، وقام برادلي في
الجانب الجنوبي عن الجيش الثالث بعمل شبيه بالذي قمت به . ودلت
الظواهر كلها على أن المعركة انتهت في منتصف (يناير) ، وفي ١٤ منه
كتبت إلى برادلي في شأن إرجاع القوى الأمريكية إلى قيادته فهناك
على موقف تلك القوى وقوادها في القتال وشكرته على عمله في الجنوب
مع الجيش الثالث وهو عمل خفف ولا شك ضغط الألمان علينا في
الشمال . هذا ولم أنس أن أذكركم كنت أعد نفسي مشرفاً بأن أسعدني

الحظ وجعل تحت قيادتي بوسائل مثل أفراد الجيشين الأمريكيين التاسع والأول .

والواقع هو أن معركة الأردن انتهت في ١٦ (يناير) وفي ٧ منه بلغني من ايزنهاور الأمر بأن أرجع الجيش الأول إلى برادلي وبأن احتفظ بالجيش التاسع تحت قيادتي . فأجبت له أنني انتهيت من العمل الذي كلفني به وأن الجيش الأول والثالث قد اتصلا في هوفالين وهما الآن يتجهان نحو الشرق . وختمت مؤكداً أنني اعتبره كشرف عظيم أن أكون قد عينت لأقود في القتال جنوداً من طراز جنود الجيش الأول .

هذا ولا بد لي من أن أذكر أن الألمان ، أثناء إحدى غاراتهم الجوية على باجيكاهولندا ، كانوا قد دمروا طائرتي ، فأخبرت ايزنهاور بالأمر ، فجعل تحت تصرفي حالا طائرة أخرى .

وإن أنس لن أنسى البيان الذي أذاعته للصحف والصحافيين في ٧ (يناير) في شأن معركة الأردن . كانت الصحف البريطانية قد حملت حملة عنيفة على ايزنهاور . فاقترحت على رئيس الوزراء أن أروى أنا أمام الصحفيين ، قصة تلك المعركة مع تطوراتها طالبا من الجميع أن يعملوا على بعث روح التعاون والتآلف والتأخي بين الحلفاء . ووافق تشرشل على اقتراحى وهو يتوقع من عملى النتائج الجائلة ، وشتان بين ما كنا نتوقع وما تم . فإن تصريحى للصحف ما كان فقط خطأ بمعنى أنني أدليت به في حين كان رأى العام مهيج الأعصاب ، بل أيضاً إن

الذى قلته "نقطه العدو" وأذاعه على معنى يناقض تمام التناقض ذلك الذى كنت أريده وأصبح بذلك كلامى كأنه موجه ضد الأمريكيين . فالتقط مقر قيادة برادلى تلك الإذاعة المزيفة الأخيرة ، وظنوها صادرة عن البيبسى فعلا الصراخ .

وعلى كل حال فإننى أرى الآن أنه من الخير لى لولم أقل ذلك البين للصحف . فإن موقف القواد الأمريكيين منى حينذاك ما كان يسمح لهم بأن يرتاحوا إلى ما أقوله ، مهما كان . ثم إن كلامى كان يدل على ثقة عندى لا اعتدال فيها ولا توازن فأبدد معها فى ظواهر القائد المظفر المنتصر ، لا على الألمان بل على الأمريكيين الذين لم يتقيدوا بخطى ، وكأن ما تم هو البرهان القاطع على صحتها وعلى فشل خطتهم .

والحق هو أننى لم أذكر فى تصريحى الصحفى ذلك أن العلماء فى معركة الأردن أصيبوا بضربة عنيفة . فإن الأمريكيين خسروا فيها ٨٠٠٠ مقاتل . وهذا أمر ما كان يقع لو أننا تقيدنا بخطة حربية صحيحة بعد انتصارنا فى نورمانديا ، أو على الأقل لو كنا راعينا التوازن التسكيكى فى معسكرات القوى البرية عندما أخذ القتال يسير ويتطور أثناء الشتاء . هذا علاوة على أن تلك الحركة التى كان يمكن تجنبها أخرتنا ستة أسابيع ولذلك التأخير مالا يخفى عن العواقب السياسية الوخيمة فى حين نريد اقتراباً يوماً بعد يوم ، من نهاية الحرب والتخلص منها .

وكل هذا ، راجع أبداً ودوماً إلى سبب واحد وهو مشكلة القيادة

وتنظيمها بعد أول سبتمبر ١٩٤٤ . والجميع يعلم أنني ماكنت راضياً بها وأنني صارحت بدل سميث وايزنهاور بفكرتي ، ولم أخفها على مارشال نفسه . فإن القيادة العليا لتسيير العمليات في البر تتطلب رأساً واحداً يكون على اتصال مستمر مع قادة الجيوش والفروع والأفواج حتى يقبض على زمام المعركة ويوجهها إلى حسن الخاتمة . ولم يوافق ايزنهاور على فكرتي هذه بل يرى أن الأوفق أن تعمل مجموعة في منطقتها بعد أن تعين لها مهمتها ولا يقوى على تعيين ذلك إلا القائد الأعظم فيكون القتال قائماً بسلسلة معارك ولا بمعركة واحدة وهو أمر مستحيل على جهة تمتد من سويسرا إلى بحر الشمال هذا علاوة على أن ثمة نعرات قومية لا بد من مراعاتها .

فكانت تلك الفترة المؤلة بعد ٢٣ أغسطس وأدى عدم تقييدنا بخطة واحدة سديدة إلى حالة يرثى لها أخرجت موقف ايزنهاور وأقلقته . فامتنعت عن كل مناقشة فيما يختص بتوحيد القيادة واطلعت ايزنهاور على نيتي المخلصة في أن أكتفي بالقيام بما يطلبه مني فقط بدون كلام ولا تعليقات فأجابني على الفور معرباً عن شكره الجزيل .

إلا أنه كان لا بد لنا من خطة حكيمة يتقيد بها أثناء الحرب في الشتاء ، ومن تسديد وتوجيه رشيد لمجهود الحلفاء حتى لا يتوزع ويذهب سدى ونحن قادمون على المعركة في رينانيا . فاتم شيء وكانت حوادث الاردن ، وهى في طبيعة الأمور وسيرها الذى لا مرد له . فأرغمت ايزنهاور إلى العمل بما كنت أطلب به . وعينى كقائد أعلى للقوى في الجانب الأيسر وجعل تحت تصرفى جيشين أمريكيين . وهو

أمر من طبيعته أن يزيد في استياء خصومي من مقر القيادة الأعظم
وفي استياء القادة الأمريكيين المخالفين لآرائى ، فاشتد حنقهم
وسخطهم على .

وجاءنى أيزنهاور زائراً فى ٢٨ ديسمبر وتباحثنا طويلا وعدت
أصارحه بأن هدفنا الأول هو احتلال الرور .

وبأن لابد من تركيز كل مجهودنا عليه ومن جعل القوى كلها تحت
قيادة واحدة لتأمين نجاحها فيه .

وفى ٢٩ ديسمبر كتبت له أذكره بحديثنا بالأمس وأطلب منه أن
يكون صاحب عزم وحزم ولا يكتفى بأن يفرض « التعاون » ،
« والتآلف » ، بين القوى الموجودة ، بل يأمر بتوحيد تلك القوى تحت
قيادة واحدة ويعينى أنا لتلك القيادة ، ولو كان برادلى قد لا يرتاح كل
الارتياح لذلك التعيين .

ثم إن أيزنهاور ، عند رجوعه إلى مقر قيادته ، استلم تعليمات من
مارشال يعرب فيها هذا عن ثقته التامة وثقة رئيس الولايات المتحدة
به هو أيزنهاور .

والموقف هذا جواب على ما ورد إلى من بعض الصحف البريطانية
من التحامل على قيادة أيزنهاور . وأضاف مارشال قائلا إن كل محاولة
ترمى إلى جعل برادلى تحت قيادتى ، ستعتبر فى أميركا كمحاولة مرفوضة
فى الأساس .

وكان ده جنجان فى مقر قيادة أيزنهاور عندما وردت التعليمات
الآنفة الذكر .

فتباحث الرجلان فى الأمر وبدأت عند أيزنهاور علامات الانزعاج
والقلق . وأطلعنى ده جنجان على التفاصيل كلها فكتبت فوراً
لأيزنهاور أهدىء من روعه مؤكداً أننى فى كتابى السابق اقترح عليه
حلاً للمشكلة التى نتخبط فيها فإننى لست مصراً على موقفى بل لا أزال
مستعداً أن أعمل بما يراه هو من خير الجميع لاسيما وأنه مطلع على أمور
قد أجهلها أنا وأشير بذلك إلى تعليمات مارشال . واعتقادى ، حتى
ذلك اليوم ، أن أيزنهاور ما شعر قط بأننى اطلعت على مضمون
تلك التعليمات .

وفى تلك الاثناء كان أيزنهاور قد انصرف إلى تصميم خطة من
عنده . فأرسلها إلى فى ٣١ ديسمبر مرفوقة بكتاب فيه يعتذر من
أنه لا يستطيع أن يحقق رغبتى فى توحيد القيادة مع أنه فى الوقت
نفسه يعمل بما اقترحته وهو بمجهودنا على احتلال الرور ويجعل تحت
تصرفى جيشاً أمريكياً .

وتلك الخطة تقتضى قبل كل شىء تحطيم العدو فى الفرجة التى كان قد
أحدثها فى الاردن ، ثم مواصلة الهجوم حتى غابات ريشوالد حيث
يتحتم علينا أن نجتاز نهر الرين .

وبذلك حصلت على ما كنت أرغبه ماعدا توحيد مراقبة العمليات
وتسييرها ، وهو أمر أصبح خارجاً عن البحث بعد برقية مارشال .

فإن جهود قوانا يركز في الشمال ، ويضاف الجيش التاسع الأمريكى إلى مجموعة الجيوش الواحدة والعشرين .

هذا علاوة على أنه يعترف لى بأن رأى يقدم على رأى برادلى فى حين إذا وقع خلاف بينى وبينه فيما يتعلق بتعيين المهمات لكل من مجموعتى الجيوش الثانية عشر والواحدة والعشرين . فماذا أريد بعد ذلك ؟ .

فكشبت إذن لأيزنهاور معرباً عن شكرى وطالباً من أن نريث ونتحين الفرصة المناسبة للتعديلات المقررة فى القيادة .

ثم ذكرت أن العمائات الحربية فى الاردن لابد من أن تتطلب مدة قد تطول بعض الشيء ، ولن نتمكن من القيام بهجوم قط بعد الانتهاء إلا بعد استعداد وافر .

إلا أن ذلك لا يمنعنا عن المباشرة حالا بتنفيذ عملية فريتابل فى بعض مراحلها .

أما عملية فريتابل هذه فهى عبارة عن هجوم يتم من ناحية غابات ريشوالد ، والغاية منه أن نوطد أقدامنا فى منطقة غرب نهر الرين كله . وبعد ذلك ننتقل إلى المرحلة الثانية وهى اجتياز الجيش الثانى لنهر الرين فى حين نواصل تطور عمليات فريتابل فى مراحلها الأخرى .

ابتدأنا بتلك العمليات فى غابات ريشوالد ، شرق نيماج ، فى ٨ (فبراير) واتجهنا نحو الجنوب ، نحو نهر الرين عن جانبنا الأيسر . وفى

١٠ (مارس) كانت قوى الجيش التاسع الأمريكى وبمجموعة الجيوش الواحدة والعشرون معسكرة على الضفة الغربية من نهر الرين منذنوس إلى نياج ، والجسور جميعها مدمرة . ولكن قبل ذلك بقليل ، فى ٧ (مارس) كان الجيش الأول الأمريكى استطاع أن يستولى فى ريماجن على خط القطار الحديدى وهو لا يزال صالحاً تمام الصلاح فنتمكن عن طريقه من أن نعسكر فى منطقة متقدمة إلى ما وراء الرين على ضفته الشرقية. ولا يخفى ما كانت عايمه أهمية تلك المنطقة المتقدمة لأنها أوالشغلت جانباً قوياً من أفواج العدو الباقية ، وثانياً أتاححت لنا بعد تمسكنا أن نواصل هجومنا بسرعة وسهولة . وهكذا فى الأسبوع الثالث من (مارس) كانت جيوش الحلفاء قد اقتربت من نهر الرين على طول امتداده من سويسرا حتى البحر .

فى (فبراير) ١٩٤٥ أثار رئيس الوزراء من جديد مشكلة قيادة القوى البرية إذ طلب مناقشتها ، فيما أظن، مع رؤساء الأركان الحربية البريطانية . ولشد ما كانت دهشتى للأمر لأنها مشكلة كنت أنا - كما يعلم الجميع - قد سبقت وأبديت رأى النهائى فيها سنة ١٩٤٤ .

والمناسبة فى ذلك هى أن تشرشل كان يسعى أن يبدل تدر بالسكندر كعماون وبدل لايزنهاور فى مهمته كقائد أعظم . أما أنا فما فهمت قط الدور الذى كان يلعبه تدر ، إلا أنه لم يلبث أن انصرف انصرافاً تاماً إلى مجرد التأليف فيما بين العماليات الجوية . وأرى أن الذى ساقه إلى

ذلك هي المناقشات المستمرة بين قادة القوى الجوية كما أن ايزنهاور كان عرضة للذعات تناله من قبل قادة القوى البرية .

ومهما كان من أمر فإن المسؤولين في لندن كانوا على يقين من أن الكسندر أصلح من تدر أن يكون بدلا للقائد الاعظم ، لأن مقدرته الفنية في العمليات البرية ، وهي مقدرة لم تكن عند تدر الطيارى ، تمكنه من تخفيف وطأة همومها على ايزنهاور . واستشارنى رئيس الوزراء ورئيس الأركان الامبراطورية فى الأمر فأجبتهما على الفور أن الأصلح هو أن ندع الحالة على ما هى ولا نغير فيها شيئا . ومع ذلك فانهما عرضا فكرتهما على ايزنهاور ، فطلب منى أن اجتمع به فى ١٤ (فبراير) وكان اجتماعنا فى مقر قيادتى الحربى فى زنهوفن .

وكان وفدا الامريكيين والبريطانيين إلى مؤتمر يلاتا (أوائل — فبراير — ١٩٤٥) قد عقدا بعض اجتماعات فى مالطا، وهى احدى محطاتهم فى طريقهم إلى بلاد القرم ، وانتدب ايزنهاور بدل سميث ليحضر تلك الاجتماعات . فقبل هناك كلام من شأنه أن يجرح ايزنهاور وشعرت باستياء ايزنهاور منه عند اجتماعنا.والذى عرفته هو أن تشرشل قال حينئذ للرئيس أو إلى ما رشاى أن أليك ما كان يجتمع بى ، ويعنى بذلك أنه يهمل البريطانيين . هذا علاوة على أن مارشال والقادة الامريكيين يشكون من ميل ايزنهاور نحو البريطانيين ومن اهماله للبريطانيين . ثم إنه كان ثمة أمر آخر يقلق ايزنهاور وهو تنظيم القيادة طلب منى أن أبدى رأى فى الأمر فأجبت اننى الآن راض على ما نحن

فيه وهو تعيين شخص يكون مسؤولاً هو وحده عن العمليات في الجانب
الشمالى حيث يكون المجهود الرئيسى . ولا ضير بعد ذلك إذا كان ثمة
عدة جهات كلها متعلقة بايزنهاور. وأحسست أن ايزنهاور أبدى بعض
الارتياح والاطمئنان عندما أعربت عن رضى على تنظيم القيادة
وما كنت لأعرف لماذا وجه إلى ذلك السؤال .

إلا أننى علمت بعد ذلك أنه بعد تيقنه من اننى موافق على تنظيم
القيادة كما كانت عليه ، كتب إلى رئيس الأركان الامبراطورية طالباً
منه أن يتقيد بالاعتبارات التالية قبل أن يبدل تدر بالكسندر :

(ا) إن ايزنهاور الذى يسير المعركة . أما بدله فيهتم بأمور
الطيران والأمور الإدارية وراء الجهة وغير ذلك من الأمور الثانوية.

(ب) لن يرضى أبداً بأن يحل أحد بينه وبين قادة مجموعات
جيوشه .

(ج) إن تبديل تدر بالكسندر من شأنه أن يثير المناقشات
والأسئلة المغرضة .

ثم اجتمع بي ايزنهاور في ١ (مارس) واستشارنى هو أيضاً
في الأمر ، فأعدت نصيحتى بأن تترك الحالة على ما هى ، فيبقى الكسندر
في ايطاليا وتدر حيث هو حتى نهاية الحرب .

وجاء رئيس الوزراء في ٢ (مارس) فاطلعت على الحديث الذى
جرى بينى وبين ايزنهاور . ولم يكن تشرشل راضياً كل الرضى . ولكنه

بعد اجتماعه بايزنهاور في ١١ (مارس) كتب لى ليخترنى أن الامر أصبح الآن « خارجاً عن البحث » .

في ٢٢ (مارس) أذعت لجيوشى بياناً أطاعهم فيه على أن الحلفاء كانوا قد باشرُوا في الليلة السابقة بعمليات بلوندر وهى مصممة لاجتياز نهر الرين . فإن الجيشين الأمريكيتين التاسع والثانى ، والجيش السكندى كانوا قد عبروا النهر بين رينبرج وريس . والآن جاء دور مجموعة الجيوش الواحدة والعشرين فى الامام والله معنا .

وكان رئيس الوزراء معى ، فى صباح ٢٤ (مارس) يراقب عن كثب نزول الافواج المنقولة عن طريق الجو على الضفة المقابلة من نهر الرين ، وقوانا حينذاك معسكرة فى مناطق متقدمة فى الاراضى الالمانية . فطابت من تشرشل أن يوجه بياناً حماسياً لجنودى ففعل . ثم قفل راجعاً إلى لندن فى ٢٦ (مارس) .

بعد اجتيازنا نهر الرين أخذت أفكر ، مع ايزنهاور ، فى الخطط الحربية المقبلة واجتمع يعلم اننى كنت وما ازال أقدم الزحف السريع نحو برلين على غيره من العمليات الجارية . وكان ايزنهاور قد وافق على ذلك أول الامر ، فى عام ١٩٤٤ ؛ إلا أنه فى ٣١ (مارس) ١٩٤٥ كتب لى ليصارحنى بأن برلين ليست فى نظره إلا نقطة جغرافية لا غير وأن هدفه الرئيسى بل الوحيد هو تحطيم قوى العدو أينما وجد .

فلا جدوى بعد ذلك من طول المجادلة . أما هزيمة ألمانيا فهو أمر أصبح الآن لا شك فيه ، ولكن المهم هو أن يستسلم الألمان ونحن - الأمم الغربية - في مراكز نستطيع أن نحقق معها ذلك التوازن السياسى فى أوروبا الذى يمكننا من أن نوطد السلم والأمن فى ربوعنا .

وهذا يعنى أنه لا بد لنا من أن نسبق الروس إلى احتلال مراكز سياسية هامة ، ولا سيما فيينا ، براغ وبرلين .

وكان الأمر ممكناً لو تهيأنا له وأقمنا له حساباه . فماذا جرى ؟ إن عمليات دراجون فى جنوبى فرنسا خففت من قوى الحلفاء فى إيطاليا وحالت بين تلك القوى وبين أن تصل إلى فيينا قبل الروس .

وكان ستالين قد وافق بدون تردد على عمليات دراجون . ولماذا لا يوافق عليها وهى تؤدى إلى صالحه وصالح بلاده .

أما فيما يخص براغ فإن الجيش الثالث الأميركى أمر بالتوقف على الحدود الغربية لتشيكوسلوفاكيا ، ليدع تلك البلاد للروس . ولو لم يتلق تلك الأوامر ، فإن باتون كان يستطيع أن يصل إلى براغ فى ظرف ٢٤ ساعة أما برلين فأننا خسرناها منذ (أغسطس) ١٩٤٤ ، إذ لم نقبل على تصميم خطة حربية عامة سديدة . فإن الأمريكين ما كانوا ليفهموا أن لاقيمة لحرب ربحت إذا أدت بعد ذلك إلى هزيمة من الناحية السياسية . فإن الحرب أداة سياسية ، فلا بد من أن تشرف السياسة على تسييرها بعد التيقن من أننا سنخرج منها ظافرين .

ولم يبق شيء أقوله بعد كل الذى قاله غيرى . فأننا ، بعد اجتيازنا

نهر الرين أخذنا نندفع إلى الأمام نحو البلتيك ، حتى نسبِق الروس إلى مدخل ذلك البحر ونمنعهم من الدخول إلى الدانمرك . وحتى نزيد من سرعتنا كانت أفواجنا تتجاوز بعيداً وهي تتقدم في خطوط ضيقة أما المناطق التي يقاوم فيها العدو فكانت المصفحات تطوقها ، وتهاجمنا بعد ذلك وحدات أخرى تتبع المصفحات .

وفيما كنا نسعى هكذا إلى الشرق أصبح رئيس الوزراء وايزنهاور يخشيان على ألا أستطيع أن أقطع الطريق على الروس وأمنعهم من الدخول إلى الشلسويج - هولشتين والدانمرك . فأبرقالي في هذا الشأن وهذا ما أسخطني بعض الشيء ، ولربما ظهر سخطي في جوابي لهما . أما ايزنهاور فقلت له أنني على بصيرة بما لا بد من القيام به . إلا أنه من الواجب عليه أن يفهم أن إبطائي في العمليات في الجانب الشمالي راجع إلى أنه نزعى الجيش التاسع الأمريكى في ٣ (ابريل) . وعلى كل حال فاننا سبقنا الروس بست ساعات وقطعنا عليهم الطريق إلى الدانمرك .

وهكذا استطعنا أن نشكل أولاً جهة شرقية تمتد من وسمار على البلتيك إلى دوميتز على الألب ، وهناك أيضاً جهة غربية تمتد من لوبك نحو بادالسلو وجنوبى نهر الألب . وبين هاتين الجهتين جنود ومدنيون من الألمان يهربون من الشرق أمام الروس . وارتفع عدد الأسرى عند الجيش الثانى إلى نحو نصف مليون فيما بين ٢ و ٢ (مارس) .

إن القوى الألمانية ، بعد معركة نورمنديا استطاعت أن تستعيد نشاطها وتقاتل ، أما الآن فما عاد لها سبيل إلى ذلك ، وسقطت على ألمانيا الهتلرية الضربة القاضية مع ما تجره من هلاك وخراب .

في ٢٧ (أبريل) بلغني من المكتب الحربي أن هملر كان قد عرض طلباً للاستسلام عن سبيل الصليب الأحمر الاسوجي ، وذلك في ٢٤ منه وكان هملر يدعى أن هتلر في حالة لا أمل فيها ، وأنه هو أصبح صاحب الأمر . فما عبثت بكل ذلك بل رأيت أن العدو الآن أصبح الجيش الروسي فلا بد من أن أوصل زحفي حتى أسبقه إلى حدود الدانمرك وبحر البلتيك ثم توالى الحوادث بسرعة . ففي ١ (مايو) التقطنا من إذاعة ألمانية أن هتلر كان قد مات في متمر قيادته وأنه عين الاميرال دونيتز كخلف له بعد موته . أما هملر فلم يذكر قط وعرفت بعدئذ أنه كان قد عزل من منصبه

وفي ٢ (مايو) أبرق الجنرال بلومزريت ، قائد القوى الألمانية بين البلتيك والوزير إلى مقر قيادة الجيش الثاني عارضاً الاستسلام غداً ، لكنه عاد وأبرق بأن للمباحثات جارية ليتم ذلك الاستسلام عن طريق مستوى أعلى ونطاق أوسع .

وفي ٣ (مايو) انتدب الفلد - مارشال كيتل وفدا إلى مقر قيادتي في ألونبرج للمباحثة في شروط الاستسلام مع موافئة دونيتز . ووصل الوفد في الساعة ١١.٣٠ وهو مؤلف من :

- الجنرال - أميرال فون فريد بورج ، القائد الأعلى للبحرية الألمانية .

- الجنرال كنزل ، رئيس أركان القلند - مارشال بوش ، القائد الأعلى للقوى البرية الألمانية في جانبي الغربي والشمالي - الكونتيراميرال فاجنر .

- الماجور فريدل . ضابط أركان . ثم اجتمع إليهم ضابط أركان آخر وهو الكولونيل بولك .

وصلوا إلى مكتبي واصطفوا تحت العلم البريطاني ، فبباطات قليلا ثم خرجت ، فأخذوا جميعهم السلام العسكري تحت العلم البريطاني ، وكانت ساعة جد مؤثرة .

فسألت المترجم : « من هؤلاء الرجال ؟ » ، فذكر أسمائهم فقلت : « ماذا يريدون ؟ » .

فقرأ الأمير فريدبورج على كتاباً من القلند - مارشال كيتل عارضاً أن أقبل استسلام الجيوش الثلاثة للمنسجبة أمام الروس بين برلين وروستوك ، ومعرباً عن قلقه في شأن سكان إقليم المكلنبورج الذي دخله الروس واستولوا عليه .

فأجبت بالنفي فيما يختص باستسلام الجيوش ، وقلت إن كل تدبير في الجهة الشرقية بين وسمر ودونيتز ، لا بد وأن يتفق عليه الألمان مع الروس . وإذا كانوا ليخافوا منهم ، فلماذا دخلوا الحرب ولماذا اصطدموا بالروس في ١٩٤١ ؟

كل ذلك كان يجب أن يفكروا فيه قبل ابتدائهم بالحرب . ثم طلبت

منهم إن كانوا يريدون أن يبحثوا معى فى كيف يكون استسلامهم
فى الجهة الغربية ؟

فأجابوا بالنفى مضيفين أنهم مع ذلك على قلق فيما يختص بالمدينين
المقيمين فى تلك المنطقة ويريدون أن يتفقوا معى على خطة يتم بمقتضاها
سحب جيوشهم أمام زحفى المستمر .

فرفضت وعزمت على تشديد الموقف وعرضت عليهم أن يتم بين
يدى استسلام جميع القوى الألمانية الموجودة على الجانب الغربى والشمالى
بما فيها من قوة لا تزال فى هولندا وجزر الفريز والهلميجولند والشلسويج
هلمستين والدانمرك وذلك بدون قيد ولا شرط ؟

فأجاب فون فريدبورج أنه ليس منتدباً للاتفاق على هذه المنطقة
بل للباحثة فى تأمين شؤون المدينين من تلك المناطق . فرفضت المناقشة
فى هذا الموضوع .

ثم هددتهم بمواصلة القتال إن أصروا على عدم الاستسلام بدون
قيد ولا شرط ، وهم يعرفون ماينتج عن المواصلة تلك من خسائر بين
الجنود والمدينين الألمان .

ولدعم كلامى بسطت خريطة أمامهم لأطلاعهم على الحقيقة فى الجهة
الغربية ، وهم لافسكرة لهم عنها فاشتد اضطرابهم وشعرت أنى سأصل إلى غايتى
معهم بدون كبير صعوبة . غير أنى أردت أن أريحهم قليلا ودعوتهم
إلى تناول الغذاء تحت خيمة معدة لهم ، عسى أن يفكروا ويتروا
بما يدهم عليه الواجب . وتناولوا الغذاء وحدهم فيما عدا ضابط

من ضباطى أقام معهم . وعرفت أن فريدبورج بكى أنساء الغذاء ،
أما الآخرون فلزموا الصمت .

وبعد الغذاء طلبتهم إلى الخيمة المخصصة للحاضرات والاجتماعات
فبسطت الخريطة على الطاولة للمرة الثانية وعرضت عليهم الاستسلام
بشدة على نحو ما ذكرت آنفاً ، فإذا رضوا بالاستسلام كنت مستعداً
أبحث معهم فى كيف يتم احتلالنا لمناطق القتال بدون أن يلحق المدنيين
ضرر . وإلا فالقتال مستمر .

ومالبثوا أن رأوا أننى مستعد أن أقرن القول بالعمل ، وهم على
يقين من هلاكهم فأجابوا أنهم لم ينتدبوا للمفاوضة فيما كنت أطلب .
إلا أنهم سينصحون فون كيتل بقبول شروطى وأستسلم القوى
الألمانية الموجودة على الجانب الغربى والشمالى ، فيرجع اثنان منهم
إلى مقر قيادة كيتل ليحصلوا على اتفاقه .

فكتبت مستنداً فحست فيه التقارير السابقة الذكر التى بحثنا
فيها ، على أن نوقع ذلك المستند أنا وفون فريدبورج فيجمع — ل
إلى فلانسبورج حيث يعرض على كيتل ودونيتز .

فرجع فون فريدبورج وفريدل بسيارة إلى فلانسبورج ورافقهم
العقيد ترومبول وارن ، مساعدى العسكرى الكندى وبقى فى مقر
قيادتى كنزل وفاجنر . وطلبت من فون فريدبورج وفريدل أن يكونا
عائدين إلى فى الغد ، ٤ (مارس) فى الساعة ٦ مساء .

وكنيت على يقين من أن السلطات الألمانية ستوافق على مطالبي
فدعوت الصحفيين في : (مارس) ، الساعة ٥ مساءً وذكرت لهم ما كان
قد تم ، وما كنت متوقفاً أن يتم في الساعة ٦ من المساء نفسه . وأثناء
تصريحى وصل فون فريدبورج وفريدل ورأيت الكولونيل ايوارث
مقبلاً إلى ليطلعنى على الخبر . إلا أننى واصلت في إلقاء تصريحى .
ثم سألت إيوارث إذ كان الوفد الألمانى قد وصل ، فأجبنى بالإيجاب
فتمت للصحفيين إننى أسمح لهم بأن يرافقتنى جميعاً إلى خيمة المحاضرات
ليروا بأنفسهم المشهد الهائى .

اصطف الوفد الألمانى تحت العلم البريطانى ثم طلبت إلى فون فريدبورج
أن أنفرد به في خيمتى . وهناك سألته إذا كان مستعداً أن يوقع على
شروط الهدنة . فأجاب بالإيجاب . حينئذ أمرت بأن يتم كل شيء
كما قررت ، الساعة ٦ مساءً ، في الخيمة المعدة لتلك الحفلة وحيث كانت
أجهزة التصوير والتسجيل وفيما بينها إذاعات للببيسى

وسبقنى الألمان إلى تلك الخيمة والجميع ينظرون لإيهم ، ثم وصلت
أنا فنهض الألمان وجلسنا جميعاً بعد ذلك إلى طاولة بسيطة مثل التى
توجد في المعسكرات .

فقرأت حينئذ شروط الاستسلام بالانجليزى مضيفاً أننى مستعد .
لذا لم يوافق الألمان على تلك الشروط ، أن أواصل القتال .

ثم وقعت باسم ايزنهاور . ودفعت إلى الألمان نسختين من ترجمة
النص الاصلى الانجليزى الألمانى . أما الوثيقة التى كتب عليها النص

الانجليزى فهى من الورق العادى المستخدم فى الجيش ، وطلبها من
مقر القيادة الاعظم فلم أرسل إلا صورة شمسية لها . وإننى لا أزال
محتفظاً بها لقيمتها التاريخية .

نص استسلام جميع الجيوش الألمانية

فى هولندا وفى شمالى غربى ألمانيا بما فيها الجزر كلها ، وفى الدانمرك

١ - إن القيادة العليا الألمانية موافقة على أن تستسلم بدون قيد
ولا شرط ، لقائد مجموعة الجيوش الواحدة والعشرين الاعلى جميع
الجيوش الألمانية الموجودة فى هولندا ، وفى شمالى - غربى ألمانيا بما فيها
جزر الفريز والهليجولند وسائر الجزر ، وفى الشياسمريج - هاشتين
وفى الدانمرك . ويشمل ذلك الامر بالاستسلام لجميع السفن الحربية
فى تلك المناطق فإن تلك القوى جميعها تسلم أسلحتها وتستسلم
بدون قيد ولا شرط .

٢ - إن كل المعارك ، فى البر والبحر والجو ، التى كانت القوى
المسلحة فى المناطق المذكورة أعلاه داخله فيها تنتهى فى الساعة ٨ ،
بمقتضى التوقيت الصيفى البريطانى صباح السبت ٥ (مايو) ١٩٤٥ .

٣ - إن القيادة العليا الألمانية تنفذ على الفور ، بدون مناقشة
ولا تعليق ، كل أمر يصدر ، فيما بعد ، عن القوى المتحاربة . فى أى
شأن كان .

٤ - إن التمرد على الأوامر تلك أو عدم تنفيذها يعتبران كنقض لشروط الاستسلام ، ويحكم عليهما بمقتضى قوانين الحرب وسننه .

٥ - إن نص الاستسلام هذا نص مستقل لا يمس قط ، كما أنه لا يحل محله ، كل نص استسلام آخر أعم تفرضه القوى المتحالفة أو يفرض باسمها ويطبق على المانيا وعلى القوى المسلحة الألمانية في كاملها .

٦ - إن نص الاستسلام هذا كتب باللغتين الانجليزية والألمانية والنص الانجليزى هو الذى يعتبر النص الصحيح .

إن تأويل القوى المتحالفة لذلك النص يعتبر كالتأويل القاطع في حال أنه يحدث شك أو مناقشة على معنى شروط الاستسلام .

فريدبورج

ب . ل . مونتهجرى

كنزل

فلدر مارشال

فاجز

٤ - ١٩٤٥

فريدل .

١٨٣٠

ولم يبق على قيد الحياة إلا واحد فقط من الألمان الأربعة الذين وصلوا إلى مقر قيادتي العسكرى في ٣ (مايو) ، وهم الكونتيراميرال فاجز وهو حالياً الرئيس المساعد لجزء البحرية في وزارة الدفاع في المانيا الغربية . أما الآخرون فماتوا جميعاً د قتلا ، ففون فريدبورج تسسم ، وكنزل انتحر برصاصة ، وفريدل قتل بعد ذلك بقليل في حادث سيارة .

وتراكت على الأشغال بعد توقيع نص الاستسلام . فإنتى قد
أمرت بالتوقف عن كل هجوم فى ٣ (مايو) عندما جاءنى الألمان للمرة
الأولى ، كنت شاعراً أننا أدركنا النهاية فاردت تجنب الخسارات
الجديدة فى الأرواح التى كنت مكلفاً بها . وعند ذاك أمرت بوقف
إطلاق النار على أن ينفذ أمرى ذلك يوم السبت ٥ (مايو) ١٩٤٥
الساعة ٨ .

ثم بدأ لى أنه من الواجب على أن أذيع بياناً للقوى التى حاربت
تحت قيادتى من قادة وجنود . فابتدأت بيان لقادة جيوشى شاكراً
همتهم وإخلاصهم فى المجهود الجبار الذى كان مطلوباً منهم ومعرباً عن
افتخارى بأننى كنت قائداً لهم إلى النصر . ثم أضفت أننى لى الأمل بأن
أعود وأشكرهم للمرة الثانية بشكل أبلغ مما أفعل الآن ، إلا أننى كنت
أرى من الواجب على أن أوجه إليهم كلمة قصيرة فى الموضوع .

ثم انصرفت إلى تأليف بيان لضباط وجنود مجموعة الجيوش
الواحدة والعشرين . فإن كثيرين من بينهم كانوا معى فى الجيش الثامن
فطلبت منهم أن يذكروا متخشعين رفاقنا الذين استشهدوا ويشكروا
الله على أنه حفظنا فى الحياة . ثم أشرت إلى أن كيف الامبراطورية
البريطانية وقفت وحدها ضد العدو بادية الأمر قبل أن ينضم إليها
الروس والأمريكيون . ثم نهتهم إلى المشا كل التى لا بد من أن تعترضنا
بعد نهاية الحرب . وإلى أن بريطانيا قد تكابد أياماً شاقة . فمن الواجب
علينا أن نستعد منذ الآن لها وأن ينوى كل منا مخلصاً على أن يضحى

بنفسه كفرد فى سبيل المجتمع ، مهما كلفه الأمر ومهما كانت الظروف التى يجتازها .

وأخيراً شكرتهم على ما اخلصوا لى من ولاء وطلبت منهم أن نستمر سائرين إلى الامام فزبح السلم كما كنا قد ربحنا الحرب .
ولابد لى من الاعتراف بأن تأليف بيانى هذا ماكان أمراً يسيراً وطالما فكرت وترويت قبل أن أقول ان ثمة اياماً شاقة قد نكابدناها وانه من الواجب علينا أن نربح السلم كما ربحنا الحرب . وانى لا ازال اتساءل حتى اليوم هل ربحنا السلم حقاً . لا أعتقد .

بقى على توجيه شكرى إلى القوى البحرية والجوية للمساعدة الجليلة التى أدتها للقوى البرية منذ ابتداء الحرب فى سنة ١٩٢٩ .
فكتبت باسم أفراد القوى البرية جميعهم كتاباً إلى السر أندرو كوننجام اميرال الاسطول البريطانى ، وكتاباً إلى السر شارلس بورتال القائد الأعلى للطيران الجوى . فاجابانى على الفور مقدرين شكرى لهما ومعربين عن اعجابهما بالعمل الذى قامت به القوى البرية تحت قيادتى .

والآن وقد استسلم الألمان وانتهى القتال ، أصبحنا أمام مشكلة من أعنف المشاكل . وقع بين أيدينا مليون ونصف مليون من الاسرى ومليون من الجرحى الالمان وليس لدينا الادوات اللازمة لمعالجتهم . هذا علاوة على المليون من المدنيين الهاربين أمام الروس والذين كانوا قد انتشروا فى القرى والارياف يأكلون من النهب والسرقة .

وتجمدت التجارة والزراعة في معظمهما ، ونفذ الزاد واشتد خطر
الجوع والوباء وليس هناك من حكومة أو مراكز إدارية لتعيد سير
الحياة العادية في البلاد . أما أنا فكانت جندياً ، وما كان لي اختبار
بمثل تلك الأمور . ومع ذلك فكان لابد من القيام بعمل ما وعلى
ما يمكن من السرعة .



الفصل السابع عشر

مراقبة ألمانيا بعد الحرب

في ٨ مايو ١٩٤٥ انتهت الحرب بصورة رسمية في أوروبا إذ وقع ممثلو القيادة العليا الألمانية على شروط الاستسلام. إلا أن ذلك التوقيع كان توقيع سلطة عسكرية ولا توقيع الحكومة الألمانية التي يرأسها دونيتز وهو يدعى ، بعد موت هتلر، أنه يمثل الأمة الألمانية. والحق أن الحلفاء لم يعترفوا بتلك الحكومة وما لبثوا أن اعتقلوا دونيتز في فلنسبورج .

ومن ثم أصبحنا في موقف غير الذي اعتبر في مؤتمر يلتا بين تشرشل وروزفلت وستالين إذ بحث تنظيم مراقبة الحلفاء لألمانيا بعد نهاية الحرب وقد اتفقوا آنذاك على أن يشكلوا لجنة مراقبة تتألف من عضو أمريكي وعضو روسي وعضو بريطاني وعضو فرنسي. فكل من هؤلاء الأعضاء له قائمقامه وأركانه الحربية والمدنية ويصل بينهم جميعاً مركز عام يقيم في برلين ، ثم إن الأعضاء الأربعة الموجودين في برلين يفرضون على الحكومة الألمانية كيف تحكم البلاد ، هذا علاوة على أن ألمانيا كانت قد جزئت الى أربع مناطق، لكل عضو منطقة فيها يراقب فيما إذا

نفذت أوامر لجنة المراقبة وهي لجنة تشكل إلى أن توقع الحكومة الألمانية على نص الاستسلام .

إلا أن الحلفاء لم يعترفوا بحكومة قط ، فيما بعد ، فإمكان تحقيق تشكيل لجنة المراقبة . ثم إنه لم يكن ثمة حكومة إدارية مركزية يعمد اليها لتسيير الأمور المدنية في ألمانيا وإن برلين كانت قد دكت في أساسها فلا تقوى على إقامة حكومة تدير شؤون البلاد .

وأخيراً إن ايزنهاور كان قد عين كمضو في لجنة المراقبة من قبل الأمريكيين ، غير أن البريطانيين والروس لم يعينوا أحداً ليثلهم . ، فاضطررنا والحالة على الأمر هذا ، أن نحكم ألمانيا بأذى الأمر عن طريق السبل الادارية العسكرية .

ذكرت حالة المنطقة التي كانت مجموعة الجيوش الواحدة والعشرين معسكرة فيها : من مدنيين هاربين أمام الروس ، وأسرى حرب ومقاتلين استسلموا ، ثم لا مواصلات ، لا أمكنة للسكن ، خطر الجوع ، خطر الوباء . كل ذلك مالم يعالج قبل الشتاء ، لابد من أن يحدث الاضطرابات العنيفة في مناطق الحلفاء الغربيين .

لابد إذن من الإقبال على تلك المشاكل بحزم وفي أسرع وقت يمكن فقبل انتهاء الحرب ، في ٢٤ (أبريل) ، طلبت من المكتب الحربى أن يعين حالا الرجل المتوقع أن يكون القائد الأعلى في المنطقة البريطانية والعضو البريطانى في لجنة المراقبة .

كانت تعقد المباحثات المختصة بتلك اللجنة يومياً في مقر قيادتي ،

وفي لندن ، ومع ذلك كنا لا نزال نجهل الرجل المعين لتلك الوظيفة ؛
مع أن الحرب كانت قد علمتنا أن العمل الذي يتم أثناء غياب الرئيس
هو عمل لا نفع فيه .

إلا أنني ما كنت أستطيع أن أحمل هويت هول على تحديد موقف ما
في هذا الشأن . وبما أنني كنت أنا المسؤول حالياً قررت أن أبأشر العمل
من تلقاء نفسي ، فان انتدبت رسمياً له فيما بعد ، كان به ، وإن عين غيري
له فإنني أكون قد مهدت له الطريق ثم أدعاه وشأه داعياً له بالتوفيق .

وأول شيء تدعو إليه الحاجة هو إصدار الأوامر الشديدة لمنع
التهب واستخدام أدوات المواصلات الألمانية . فإن هناك أعمالاً يتساهل
فيها أثناء المعركة ولكنها آثام أثناء السلم . فأذعت بياناً أ منع فيه التهرب
الفردى واستخدام سيارات الجيش الألماني وغيرها من أدوات الشحن
والنقل ، وهددت بأشد العقوبات كل عصيان لتلك الأوامر مضيفاً أن
كل ما يبدو ضرورياً للبريطانيين ، يجب أن يطلب ويحصل عليه من
الطرق القانونية .

أما خطتي في تدبير شئون المنطقة البريطانية فكانت قائمة بمبدئياً
على استخدام السلطات العسكرية الألمانية . تصل أوامري الى الفلد
- مارشال بوش فينفذها هو عن طريق الدوائر التي تسير بمقتضى
توجيهاته . ولذا طالبت أن تتناسب حدود السلطات في الجيش البريطاني
ثم أمرت بنقل كل الأسرى الالمان الى السواحل الألمانية . وهناك
أجريت عليهم عمليات الاحصاء ووزعت عليهم المستندات والبطاقات

المدينة . فأخذنا بعدئذ نجردهم من أسلحتهم ونوزعهم أفواجا أفواجا على المناطق المدنية للعمل في الزراعة أو المعادن أو البريد الخ . . . وكان يذهب كل الى منطقته وهو مرتد الالبسة المدنية ، أما الأسلحة والعتاد فالأصلح ، فيما رأيت ، أن نحتفظ بها ، عسى أن يصبح الغربيون في حاجة اليها .

ثم قسمت المنطقة البريطانية الى تقسيمات إدارية موافقة لوحداث الجيش من فرع وفوج ولواء وكتيبة ؛ وعن طريق هذه التقسيمات أخذنا نعمل على تأمين المرافق المعاشية المدنية بالترتيب التالي :

الزاد والأكل ، السكن ، الاحتياط ضد الوباء . فان تأمين الزاد والأكل كان أشد الامور أهمية ، ولذلك أصدرت الاوامر الى القوى البريطانية ألا تأخذ شيئاً للأكل من الالمان وبذلت كل جهد في أن يكون موسم الزرع المقبل موسماً ناجحاً .

وهكذا أخذت أنظم منطقتي منعاً لتعميم الفوضى . فإتني كنت أصبحت مسئولاً عن ٢٠ مليون نفس من الالمان ورأيت من الواجب على أن أتخذ التدابير اللازمة في شأنهم قبل أوائل الشتاء ، وإلامات الكثيرون من بينهم من الجوع والبرد والوباء .

وفي ٥ يونيو ، اجتمع قادة الحلفاء في برلين لتوقيع المذكرة المتعلقة بسحق ألمانيا ، فأخبر يوكوف ايزنهاور وأخبرني أيضاً أن ستالين قرر أن أفلد وسام النصر وهو وسام سوفيتي جديد لم يعط بعد لاجنبي قط وتمت حفلة التقليد في ١٠ يونيو في مقر القيادة الأعظم في فرنكفورت

وكنت قد طلبت من ايزنهاور أن أقلد ذلك الوسام معه إذ حصل لي الشرف أن أخدم تحت أوامره فرضى وعندما وصلت علق على صدرى وسام «الدستنجو» بشد سرفيس ميدال ، وهى أرفع وسام يقلده جندى غير أمريكى . ثم وصل الروس قبل الظهر فابتدأوا بايزنهاور وبى ثم انتقلوا إلى تكريم ٢٤ ضابطاً أمريكياً وبريطانياً ومصورهم أثناء ذلك يتزاحمون بدون نظام ولا أدب لالتقاط الصور .

وقبل الغذاء مرت فوق رؤوسنا فى الجو ١٧٠٠ طائرة أمريكية وبريطانية منظمة بحسب أسرابها ، وهواستعراض مؤثر كان له وقعه فى نفوس الروس ورافقت الغذاء حفلة موسيقى ورقص على «الجاز» أثارت إعجاب الروس الذين لم يشاهدوا مثيلاً لها قبل تلك المرة .

وأخذت الأيام تتوالى بعد انتهائنا من الحرب فى ألمانيا وأنا أزداد همّاً لعدم التنظيم اللائق فيما يختص بإدارة شؤون ألمانيا ، نعم كنت قد أخبرت بطرق غير رسمية أتى سأكون المكلف بالمنطقة البريطانية من قبل حكومة جلالة الملك ، ولكنهم أرجأوا تاريخ تعيينى الرسمى لتلك الوظيفة . وأدى ذلك إلى عدم انسجام فيما بين لجنة المراقبة البريطانية المقيمة فى لندن والتنظيمات الإدارية التى تتممها فى ألمانيا السلطة العسكرية وهى تعمل تحت تصرفى . فركبت الطائرة فى ١٤ مايو إلى لندن لأطلع رئيس الوزراء على ضرورة تعيين المسئول عن الوظيفة تعييناً رسمياً حتى يمكنه بأسرع وقت أن يوافق بين خطط لجنة المراقبة وتصرفات الحكومة العسكرية فى ألمانيا فوافق تشرشل على الأمر وعينت قائداً

أعلى لقوى الاحتلال في ألمانيا ، وطلبت أن يكون مندوبى السرونالد
ويكس الرئيس المساعد للأركان الأبراطورية فى المكتب الحربى. وأعلن
التعيينان رسمياً فى ٢٢ مايو .

وفى صباح الغد جمعت أعضاء لجنة المراقبة البريطانية رغبة منى أن
أعرفهم بحالى أولاً وأن أطلعهم على المشكلة التى تعترضنا . فقلت لهم أنه
لا بد من حكومة عسكرية الآن فى ألمانيا ، ولكن يجب ألا تبقى تلك
الحكومة مدة طويلة حتى لا تحتل الإدارة المدنية محلها . ولذا فإنه من
الخير للجميع أن تنتقل لجنة المراقبة البريطانية بأسرع وقت ممكن إلى
ألمانيا ، فتقيم فى المنطقة البريطانية من ألمانيا .

وعند رجوعى إلى ألمانيا بلغت أن الألمان . من مدينين وعسكريين
كانوا على حالة استياء واضطراب وهم يتساءلون فيما عسى أن يكون
مصيرهم . ولا بد لى من أن أذكر هنا أنتى كنت قد احتفظت وقتياً
بالتنظيم العسكرى الألمانى تسهيلاً للأمر حتى تباشر لجنة المراقبة
البريطانية أعمالها .

أما القادة الألمان ، فإنهم بعد أن فروا من أيدي الروس ، كانوا
على استعداد إلى مساعدة البريطانيين إلى أقصى حد ممكن وهم يريدون
فى مقابل ذلك ، أن يعاملوا كحلفاء ، فأخذوا يناقشون بعض أوامرى
ويرجئون تنفيذ البعض منها . فاستدعيت بوش فى ١١ مايو وصارحته
بأننى لن أحتمل ذلك منه ، وأنه من الواجب عليه أن يكون موقفه منى
موقف العدو المستسلم ليس أكثر . وبعد هذا التوضيح لم أجد صعوبة
قط فى علاقاتى مع بوش أو غيره من قادة الألمان .

أما الألمان المدينون فعزمت على أن أذيع عليهم بيانات أطلعهم فيها على خطى فى تسيير أمورهم ، كما كنت أفعل مع جنودى أثناء الحرب . وما أحدثت بياناتى لجنودى تعليقاً سياسياً قط ؟ أما بياناتى للمدنيين الألمان ، فإنها فيما يظهر ، أفلقت بعضهم فى هوايت هال . وشككت حكومة حزب العمال فى ضرورة تلك البيانات . مع أنى ما كنت إلا لأدعوهم إلى الرجوع إلى العمل بنظام ، وأعدهم باعادة الأسرى فى أسرع وقت ممكن إلى حياتهم المدنية ، ولا سيما المزارعون منهم ، وإبلاغهم عن طريق الراديو كل ما يختص بتدبير شؤونهم وإصلاحها .

وفى مارس ١٩٤٥ فى وقت أن كنا نجتاز نهر الرين وأصبحنا على يقين من انتصارنا ، صرت أتسامل فيما عسى أن يكون من علاقاتنا مع الألمان بعد استسلامهم . ولابد فى الامر من موقف سديد ، فأذعت على الجنود والضباط تعليمات انصحهم فيها ألا يسترسلوا إلى كثير من اللطف والبشاشة فى علاقاتهم مع الألمان أول الامر خوفاً من أن يودى بهم ذلك إلى حرج بعد ذلك . فالأولى أن يتخذوا أولاً موقف الحذر والتباعد ، ثم يتساهلون فى الامر شيئاً فشيئاً بعد ذلك .

ففهم الجنود مقصدى من هذه النصائح وعملوا بها . ثم ما لبثنا أن رأينا أنه لابد من تغيير موقفنا من هذه الناحية . فأذعت للبريطانيين نصائح فى هذا الشأن وأذعت للألمان بيانات أخرى أشرح لهم موقفنا السابق وأعرض لهم خطتنا الجديدة وهى خطة استرسال فى الإخاء والصدقة .

هذا وأن الألمان إجمالاً ، عسكريين ومدنيين . اتخذوا منا موقفاً
لائقاً ، وكانوا مستعدين الاستعداد التام أن ينفذوا كل ما نأمرهم به ،
ولا خوف منهم إلا من أن يقدفوا من جديد إلى المنطقة الروسية .
أما الرأي العام عندهم هو أن البريطانيين اليوم . بعد هزيمة ألمانيا ،
لا بد من أن يتفقوا معهم ضد الروس وهم يظهرون كالخطر الكبير المقبل
من اقاصى آسيا والمندرج أوروبا بالكوارث والمصائب . وهو بالضبط
الرأى الذى صارحننا به هملر بعد أن قبضنا عليه وهو متنكر . وبعد
قوله هذا عض على أنبوبة صغيرة فيها سم ومات مسدوماً .



الفصل الثامن عشر

الصعوبات تبتدىء مع الروس

فى ٢٣ (مايو) قلدى الملك الساطة المطلقة لتوقيع بيان الحلفاء فىما يختص بهزيمة ألمانيا واستسلامها وللفاوضة مع كل دولة أخرى فىما يتعلق بكل أمر له اتصال بالاستسلام . وكلفت ، بعد ذلك . بأن أحرص على ان أتقيد بنود ذلك البيان .

وعين ٥ (يونيو) لحفلة التوقيع والاجتماع لجنة المراقبة فى برلين . فوصلت فى اليوم نفسه الساعة ١ بعد الظهر ، إلى مطار تمبلهوف واستقبلنى جماهير من الصحافيين ، ثم استعرضت فرقة شرف من الروس . إلا أنه طال انتظارى ليوكوف ، فطلبتة فأجابونى أنه مشغول . فألححت فى السؤال وهددت بأننى سأرجع إلى المنطقة البريطانية . فأخذونى إليه وهو نازل فى طرف حى معمور بالمنازل الحديثة كان قد عين لنا . وهناك اقترح أن يوقع الحلفاء الأربعة على البيان فى الساعة ٤ مساءً ثم يلى ذلك عشاء ويغادر أيزنهاور برلين بعده . فوافقت على كلا الأمرين لأننى أنا أيضاً كنت عازماً على أن أغادر برلين فى المساء نفسه . فأخذنا نتباحث ، انا ويوكوف ، فى شؤون لجنة المراقبة

وتسييرها . واقترحت أنه من الضروري إحداث سكرتيرية لتلك اللجنة في برلين ثم جمع أعضائها في أسرع وقت ممكن لدرس المشاكل الحرجة وتهديد الأمور قبل اجتماع رؤساء اللجنة الأربعة . فلم يوافق يوكوف مدعياً أننا لن يمكننا أن نأتي بعمل قط قبل أن يسلم الحلفاء الغربيون المناطق التي احتلوها والتي كانت قد قسمت للروس في مؤتمر يلتا بين تشرشل وروزفلت وستالين . فأجبت أن هناك مشاكل كثيرة يجب حلها قبل انسحاب القوى الغربية إلى المناطق المعينة لها . فوافق يوكوف ولكنه قال إن برلين لا يمكنها الآن ، وهي على ما كانت عليه من حال ، أن تأوى جزءاً قط من أجزاء لجنة المراقبة إلا بعد إعداد قد يستغرق الأسابيع فأخذ مني القلق مأخذه عندما سمعت كل ذلك .

وبعد مغادرتي ليوكوف أسرع إلى أيزنهاور قاصداً إطلاعه على ما جرى بيني وبين زميلنا الروسي . فان تحديد المناطق الألمانية لكل من الحلفاء الأربعة كان قد اتفق عليه في لندن ١٢ (سبتمبر) ١٩٤٤ ، وأعلن اعلاناً نهائياً مؤتمر بلتا ؛ في ١١ (فبراير) ١٩٢٥ . مع العلم أن منطقة احتلال الفرنسيين كان قد أرجىء تحديدها إلى اتفاق آخر بين الحكومات الأربع ، ولكنه لم يعلن إلا في ٢٦ (يوليو ١٩٤٥) بعد اجتماع مؤتمر بوستدام في ١٦ (يوليو) من السنة نفسها فمن الواضح ، والأمر على الحالة تلك ، أننا لن يمكننا أن نأتي بعمل ما لم ننسحب من المناطق المعترف بها للروس إلى مناطقنا وكنا قد تجاوزناها أثناء كان القتال جارياً .

إلا أن تشرشل كان مصرأ على أن تبقى قوانا حيث وصلت عند نهاية القتال . وغايته من ذلك الا يتخلى للروس عن المناطق المقسومة لهم مبدئياً ما لم يعدلوا موقفهم فيما يخص ببعض المشاكل التي كانوا عازمين على حلها في اجتماع برلين (بوسندام) بين رؤساء الحكومات البريطانية والامريكية والروسية . وفي مقدمة تلك المشاكل ، اعتبار المانيا كوحدة اقتصادية غير قابلة للتقسيم ، والمسائل المتعلقة ببولونيا والبلقان والنمسا وغيرها من المشاكل الثانوية . أما الحكومة الامريكية فانها كانت قد جاهرت بانها لن تتأخر عن سحب جيوشها من المناطق المذكورة إذا ألحت روسيا على أن ينفذ كل ما اتفق عليه فيما يخص بتقسيم مناطق الاحتلال .

وما كنت لأرتاح لسكل ذلك وباحث مع أيزنهاور في اختلاف وجهتي نظر حكومتينا من هذه الناحية . أما هو فكان يرى أن لا بد من أن نقف موقف الصديق من الروس فنتخلى لهم عما وعدوا به وإلا فلن تطول مدة صداقتنا معهم . وهو على صواب فيما يرى إلا أنني كنت مقيداً بتعليمات حكومتى وقد استلتهما في الامس فقط ، وهي تنص على ماسبقت وذكرت . فاقترحت على ايزنهاور أننا إذا ما الحوا علينا في مسألة المناطق ، سنقول معاً إن هذا أمر راجع إلى حكوماتنا ولا بد من أن يبت فيه بين الحكومات تلك فقط . فوافق على ما اقترحت .

وفي تلك الاثناء كنت انتظر بفارغ الصبر ، مع ايزنهاور ، أن نبلغ أن وقت توقيع البيان قد حان . وتباطأ الروس في الأمر

وازددنا استياء وسخطاً أنا وايزنهاور . ثم اتصلنا بالروس وهددنا بأننا سنرجع فوراً كل إلى منطقته ما لم يتم فوراً الاجتماع الموعود به بين قادة الجيوش الأربعة . فما لبثنا أن دعينا إلى ذلك الاجتماع ولكن هناك حدث أيضاً تأخير من أجل كلبة في النص الانجليزي لم يرض بها الروس . فاقترحت أن تحذف الكلمة المقصودة وهكذا صار . فتم التوقيع على بيان الحلفاء الأربعة في الساعة ٣.٤ مساءً تحت أضواء لاقطات الصور وبحضور عدد غفير من ممثلي الصحف .

وبعد التوقيع انسحب أعضاء اللجنة الأربعة لمباحثات سرية فيما بينهم وهم كل مع مستشاريه . وافتتح ايزنهاور المباحثات قائلاً ان قادة الحلفاء الأربعة ، يؤلفون ، بمقتضى البيان الموقع ، وحدة حكومية . فما عليهم إذن إلا الاتفاق على شكل الحكم الذي يريدون أن يطبقوه . والافق في الامر أن يجتمع أعضاء أركان الحلفاء ويتباحثون في القضية ثم يعرضون نتائج تباحثهم على القادة ويطلب هؤلاء الآخرون موافقة حكوماتهم على ما يكون قد اقترح عليه .

إلا أن يو كوف صارحنا فوراً بأن لجنة المراقبة لن تباشر أعمالها ما لم ينسحب الأمريكيون والبريطانيون كل إلى المنطقة المخصصة له . فقلت ان ذلك الانسحاب لن يتم الا بعد مدة . فسأل يو كوف : كم ؟ فأجبت ثلاثة أسابيع على الأقل فافتنع حالا وأضاف أن تلك المدة كافية لتشكيل الأركان اللازمة للعمل في لجنة المراقبة ، وأنه سوف لا يرى مانعاً ، من تباشر تلك اللجنة اعمالها في برلين نفسها . ورفع ايزنهاور الجلسة

بكلمة لا ثقة بالموقف قال فيها إنه لابد لنا الآن من مباشرة العمل قبل التخلي للروس عن مناطقهم ، من الاتصال كل بحكومته لطلب تعليمات جديدة تسير الأمور بمقتضاها . وبعد ذلك ذهبنا إلى قاعة مجاورة لتناول الطعام وكانت الساعة ٦ مساء . فلم نبق ، انا وايزنهاور ، إلا للساعة ٧ وألحنا في أننا مضطرون لمغادرة الحفل إلى مقرينا ، فرافقنا يوكوف إلى مطار تمبلهوف حيث كان فيما بيننا وداع قلبي ودى لا غش فيه .

وعند وصولي الى مقر قيادتي انصرفت الى تدوين بيان لحكومتى اطلمها فيه على موقف الروس الواضح : فهم لا يريدون أن تبأشر لجنة المراقبة بأعمالها ، او أن يبحث في مشكلة قط تختص باحتلال المانيا مالم ينسحب الأمريكيون والبريطانيون من المناطق المعترف بها للروس مبدئياً في يلتا . صرحت بأننى أرى من الخير أن ننسحب لاننا ليس لدينا داع عسكري الى أن نبقى في تلك المناطق ، إن الدواعى السياسية كثيرة الى أن نتخلى عنها . واذا لم نفعل نصبح لا سبيل لنا الى مراقبة ألمانيا بعد احتلالها .

لم يوافق تشرشل على اقترأحى هذا للأسباب التى ذكرتها . واذكر اننى تبأحثت فى الامر مع ايزنهاور فى واشنطن عام ١٩٤٦ اذ كان رئيس اركان الجيش الأمريكى وكنت رئيس اركان الامبراطورية . فقال إنه اصبح يرى أنه كان من الواجب علينا أن نقف موقف الشدة قبال الروس . حتى اننا لو اصرروا على عنادهم ، لكننا دخلنا معهم فى حرب وما أرى ذلك من الصواب : فان البريطانيين لم يكونوا على استعداد

الى الدخول فى حرب جديدة لانهم اولا كانوا يهابون الروس الذين
أبلاوا البلاء الحسن أمام الالمان ، وثانياً لانهم كانوا منهوكة القوى بعد
انتهائهم من الحرب ضد الالمان . اما الامريكيون ، فكان لا بد لهم من
جمع قواهم لانهاء الحرب مع اليابان . واما فرنسا ، بالرغم مما قلته
فى ٢٦ (مايو) فانها كانت لا تزال مطروحة على الحضيض لا قيمة لها
ولجيشها . .

وما كنت أستطيع أن اهتم امور جيشنا . والمهم هنا ، فيما رأيت
هو ألا يشتمز الجندى من عمله الدائب القائم على حرس مستمر . فقررت
أن أخفف عليه تلك المهمة وأمرت بأن يؤمن له على الاقل ٣ ليال
على ٤ ، ينام أثناءها فى سريره . ثم عرضت الحالة على الجنود ذاكرآ
أن الالمانيين خاصة والاروبيين عامة يعانون الجوع والشقاء ، فن
اللائق الا نظهر أمامهم مظاهر الرفاهية المتجاوزة الحدود ، ثم إن
بريطانيا لا تزال تحارب فى الشرق الاقصى ، ولا بد لنجاحنا هناك
ولترميم وطننا من الاقتصاد وشئ من الحرمان . وكانت ثمة اخيراً
مشكلة الزوجات فان اوامرى فى الموضوع كانت واضحة : لا عائلات
ولا زوجات تنقل إلى المانيا لتعيش ، مع رجالها . اما النساء القائمات
بمهمات فى الجيش ، فانهن سيخدمن فى مناطق بعيدة عن التى يخدم فيها
أزواجهن . وهى خطة تطبق على الجميع تأميناً لنجاح العمل ولو كانت
مقومة عند الجميع أو اكثرهم . الا اننى تساهلت الى الحد الاقصى مع
الجنود والضباط فى الترخيص لهم بالذهاب الى منازلهم بين الحين والحين

وكان يستفيد من ذلك الترخيص نحو ٧٥٠٠ جندي وضابط كل يوم هذا وانتى قد أمسكت عن التصريحات للصحف لان الجو السياسى فى المانيا كان متلبداً ولان السياسيين اخذوا ينظرون الينا بعين الحذر والاستياء بعد انتهاء الحرب ؛ فكلفت رئيس اركانى أن يسلم للصحف التعليمات المهمة وهو المسؤول وحده عن تلك التعليمات واخيراً بعد اجتماعنا فى برلين فى ٥ (يونيو) ، قررت توزيع الاعضاء البريطانيين قررت توزيع الاعضاء البريطانيين فى لجنة المراقبة على عدة نواح من المنطقة البريطانية فيما بين هانوفر وأسنا بروك ؛ ثم جعلت مقر قيادتى فى فرانكفورت قرب ايزنهاور حتى اسير أنا واياه فى ركاب واحد . وبعد إصدار أوامرى فى تلك المسائل كلها ، ركبت الطائرة الى لندن فى ١٦ (يونيو) لاحاول أن اجعل الحكومة تحدد موقفها بالنسبة الى المشاكل الثلاث التالية :

١ - ضرورة انسحابنا الى المناطق المعينة لنا والتخلى للروس عن المناطق المعترف بها لهم فى مؤتمر يلنا ، على نحو ما سبقت وذكرت .

٢ - ان تصريح أفراد الجيش يعرض بعض أقسام من الأركان إلى أن تحرم من ضباط محنكين مدربين لا يمكن أن يحل محالهم غيرهم بسهولة .

٣ - إن الكميات الكبيرة من أسلحة العدو لا تزال باقية عملاً بالأوامر التى صدرت بعدم إتلافها وليس من السهل على الجيش البريطانى تأهين الحرس على تلك الأسلحة ؛ فهى دائماً فى خطر أن ترجع إلى العدو فالرأى لإذن فى إتلافها بأسرع وقت ممكن .

أما فيما يختص بالمشكلة الأولى فإننى مالمبث أن جامنى فى ١٩ يونيو أن المارشال ستالين . بعد مفاوضات جرت بين الحلفاء ، قبل بأن يلتزم كل من هؤلاء الحلفاء المنطقة المخصصة له فى ألمانيا والنمسا وبأن ترابط فى برلين قوات انجليزية - فرنسية أمريكية ، ويباشرو بالعمل هذا منذ أول يوليو وكانوا يعلقون أهمية كبيرة على ذلك القرار لأن مؤتمر الكبار الثلاثة كان من المتوقع أن يعقد فى برلين فى منتصف يوليو والسكل يفكرون أن الحلفاء جميعهم سيكون كل منهم قد التزم منطقته عند ذلك التاريخ .

فبعد ذلك الاتفاق قصد الجنرال وينكسر (من قبل البريطانيين) والجنرال كلاى (من قبل الأمريكين) المارشال بوكوف يتفاوضا معه فى كيفية تسليم المناطق للروس . ودخول الحلفاء الغربيين إلى برلين ، وحدثت مناقشة مهمة فيما يتعلق بالمواصلات بين المنطقتين البريطانية والأمريكية من ناحية وبرلين من الناحية الأخرى ، فوافق الروس على أن يترك طريق وسكة حديدية للبريطانيين والأمريكين فيتصرفون بهما كما يشاؤون على أن يقوم الروس بالحرس عليهما وتأمين صيانتهم اتفاق الطرفان على الاعتراف للحلفاء الغربيين بطريق جوية تتسع إلى نحو ٢٠ ميلا شرط أن يخبر الروس عن مرور كل طائرة قبل مرورها بساعة على الأقل فى منطقتهم فابتدأ انسحاب الجيوش كل إلى منطقته فى أول يوليو وفى اليوم نفسه توجهت وحدات الحلفاء الغربيين إلى برلين وكان الفوج السابع المصفح يمثل الجيش البريطانى .

أما مستقبل ألمانيا ومهمة لجنة المراقبة فهما أمران أرجىء البحث
فهما إلى مؤتمر الثلاثة الكبار المقرر انعقاده في برلين يوم ١٦ يوليو
وكان قد اتضح لى أن الروس لن يوافقوا على ترميم ألمانيا كبلاد لها وحدة
اقتصادية غير قابلة للتجزؤ ، فإن الجيوش الروسية كانت تعيش على نفقة
المناطق النازلة فيها فنهبوا منها .

ثم لأننى عندما عيّنت كعضو بريطانى فى لجنة المراقبة ، كنت تسلمت
التعليمات المتعلقة بوظيفتى وهى تنص على أن حل المشاكل التى قد تعترضنا
بعد الرجوع إلى إجماع أعضاء تلك اللجنة فى تحديد كل موقف وبما أن
اللجنة المذكورة لم يتسن لها أن تباشر أعمالها علاوة على أنه لم يكن
ثمة سلطة ألمانية مركزية يعول عليها لتسيير الأمور فى ألمانيا ، فإن حكومتى
سمحت لى ، فيما بعد ، أن أتصرف بحسب ما أراه موافقاً فى كل حالة
تقع بشرط أن تتميد ما استطعت ، بخطة أمريكيتين لتوحيد موقفنا أمام
الروس فانتقلت على العمل الجبار الذى كان ينتظرنى ويساعدنى فيه
خيرة الرجال عسكريين ومدنيين .

تلك كانت أفكارى فى ذلك الصيف من سنة ١٩٤٥ ، إلا أن تلك
الأفكار تتعلق بألمانيا كلها ، فى حين أن همى الآن فى الوقت الحاضر
هو تنظيم الأمور فى المنطقة البريطانية وما كنت مستعداً أن أنصرف
عن ذلك المهم بسبب مشاكلنا مع الروس .

الفصل التاسع عشر

العمل فى سبيل نهضة ألمانيا

فى منتصف يوليو ١٩٤٥ ألقى مقر القيادة الأعظم للقوى المحاربة المتحالفة ، إلا أن ايزنهاور بقى الفائز الأعلى والحاكم العسكرى فى المنطقة الأمريكية . ولقد رأيت ولا أزال أرى أن ذلك الإلغاء كان خطأ كبيراً ، وانتهى بنا إلى أن الروس أصبحوا السادة على وجه الإطلاق فى ألمانيا الشرقية كلها ، فى حين أن ألمانيا الغربية جزئت إلى ثلاث مناطق مستقلة بعضها عن بعض فما عاد عندنا جهة واحدة تقف بها أمام الروس . ونحن الآن نجنى ثمار تعصبنا القومى الأحمق .

وكتب لى ايزنهاور كتاباً بعد انتهاء ذلك المقر . يشكرنى فيه على مساعدتى له فى الحرب والسلم ، ويبدى إعجابه لى وللجنود البريطانيين ويقول أننا أثبتنا معا أننا نستطيع ، أمريكيين وبريطانيين ، أن نقاتل ونموت فى سبيل الأهداف الشريفة والحرية .

كنت أشعر نحو ايزنهاور بإعجاب عظيم لصفاته الإنسانية ، أما الآن فأخذ إعجابى يتحول إلى شيء من الإخلاص والولاء وهو لا يزال حتى اليوم من أعز أصدقائى . غادر ألمانيا فى نوفمبر ١٩٤٥ راحلاً إلى واشنطن

حين عين رئيس أركان الجيش الأمريكى ، ففقدت برحيله نصاحه
السديده ومساعدته الجميلة .

عند انتهاء مقر القيادة الأعظم للقوى المحاربة المتحالفة كانت كل من
الدول الأربع قد احتلت منطقة من ألمانيا وأخذت تحكمها حكماً عسكرياً
أما مناطق الحلفاء الغربيين فالموصلات بينها كانت حرة . أما الدخول
فى منطقة الروس فكان لا يزال أمراً ممنوعاً . ثم إن الحلفاء الغربيين
كان قد ترك لهم طريق وخط حديدى ومنفذ جوى للوصول إلى مناطقهم
فى برلين ، أما داخل برلين فالموصلات حرة بين المناطق كلها .

هذا وإن الحلفاء الغربيين كانوا يؤمنون اتصالاً مستمراً فيما بينهم
لتوحيد وجهتهم فى تدبير الأمور الألمانية ، والجنرال ويكس يمثل
البريطانيين فى الاجتماعات المنعقدة فى فرانكفورت لذلك الشأن .
أما بين الروس والحلفاء الغربيين فما حدث اتصال قط .

ووصل ترومان والمارشال ستالين وتشرشل إلى برلين فى ١٥ يوليو
لمؤتمر پوستدام . فأسرعت إلى مواجهة تشرشل وهو برفقة إيدن ورئيس
الأركان الامبراطورية لأطلعهم على حالتنا ولأخ عليهم أن يبذلوا
مجهودهم للحصول على قرارات عاجلة فى عدة مشاكل . وأول هذه
المشاكل ومصدرها هو السؤال الآتى . هل تعامل ألمانيا كبلاد واحدة
أو كبلاد ذات منطقتين ؟ وإذا كانت تعامل كوحدة اقتصادية وإدارية
فلا بد من فسخ المجال لحرية المواصلات بين المناطق كلها ، وتأمين
الاقتصاديات على نمط واحد فى جميع أنحاء ألمانيا .

وعندما ظهر أن أعضاء المؤتمر سيصلون إلى نتائج حاسمة مرضية اضطر الوفد البريطاني إلى الرجوع إلى لندن للاستطلاع على نتائج الانتخابات في ٢٦ يوليو . وكان قد أعد كل شيء لرجوع ذلك الوفد في ٢٧ منه ، فلم يرجع ، بل حل محله وفد آخر يرأسه مستر إيدن ويبقى فواجها المشاكل كلها بحزم وسداد ، وكان لها التأثير العميق على كل من اجتمعوا بهما . وأسفرت اجتماعات المؤتمر عن نتائج لا بأس بها ، لا سيما من حيث اعتبار ألمانيا كبلاد لها وحدة اقتصادية ، ومن حيث معاملة الألمان على نمط واحد في المناطق المحتلة كلها ، ومن حيث القبول بأن تعوض ألمانيا ببضاعتها بدلا من أن تعوض بنقدها ، وأخيراً من حيث السعي في سبيل تأليف حكومة ألمانية يحل محلها في الوقت الحاضر لجنة يشكلها وزراء الخارجية للأمم المتحالفة .

بقى الآن أن تنفذ تلك التقارير فألح ايزنهاور على أن تجتمع لجنة المراقبة وتباشر العمل فعقدت اجتماعها الأول في ٣٠ يوليو وقالت أنه لم يكن ثمة إدارة مركزية لتدبير الشؤون في ألمانيا . فأخذ الجنرال ويكس يعمل مجاهداً في أن يحل محلها تقسيمات إدارية في المناطق الغربية على الأقل ، حيث استطعنا أخيراً أن نسير الأمور على انسجام تام بين فرنسيين وبريطانيين وأمريكيين . وتم لنا ذلك خاصة في الحقل الاقتصادي . ثم اضطر الجنرال ويكس أن ينسحب بسبب المرض ، ففقدت بفقدانه ليس فقط صديقاً حميماً بل صاحب النصيحة السديدة الصائبة في كل ما يتعلق بشؤون ألمانيا . ولقد أسعدني الحظ أن حل محله الجنرال سريريان روبرتسون الذي كان قد خدم معي في الجيش الثامن .

وفي تلك الاثناء كنت أفكر ملياً بمشكلة توجيه العقلية الألمانية ،
وكان لا بد لذلك من خطة فعزمت على تصميمها على نحو ما يلي :

١ - فسح المجال للألمان إلى أن يتناقشوا فيما بينهم وأن يتخذوا
هم بأنفسهم التدابير اللازمة التي تقيم الرجوع إلى ما فيهم .

٢ - ابعاد واتلاف كل ما من شأنه أن يساعد النازية ، ولا سيما
البطالة ، والممل ، والخوف من المستقبل ، وتبديله بكل ما من شأنه أن
يوحى الأفكار السليمة الصحيحة مع الأمل .

٣ - قبل كل شيء التأثير على الشباب الألماني .

وقلت في ذلك الشأن بياناً لألمان المنطقة البريطانية ولم أذعه إلا بعد
انفضاض مؤتمر بوستدام ؛ وكان ذلك البيان مؤرخاً من ٢٥ يوليو
١٩٤٥ . ولم ينشر إلا في ٦ أغسطس من السنة نفسها . ذكرت فيه
للألمان الدور الاول من عملي في منطقتهم وهو تسريح الجنود وإعادتهم
إلى الجد والنشاط في الحقل المدني ثم بذل المستطاع لتأمين السكن والزاد
للجميع . وانتقلت بعد ذلك إلى الحديث عن الطور الثاني من ذلك
العمل وهو الطور الذي أريد أن أبشر به فأعيد إليهم حرية التفكير
والنشر فيما عدا الامور المتعلقة بأمانة الجيش قاصداً من وراء ذلك
الوصول إلى تشكيل حكومة ديموقراطية ونظام عدلي سديد بعد التطهير
من كل ما يمت إلى مذهب النازية بصلة . ومن هذه الناحية قلت أنني
سأشجع كل مجهود يبذل في سبيل التربية والثقافة والتعليم في سبيل
العناية بالشباب ؛ ولذلك سمحت لجنودي أن يدخلوا في المباحثات

معهم حتى يتم التفاهم فيما بيننا . وأنذرتهم أخيراً بالشتاء القاسى المقبل واعداء ايامم بأننى أخذت التدابير اللازمة له وطالبا منهم أن يحتاطوا هم أيضاً لانفسهم حتى يتقوا شره على قدر الإمكان .

فى ٢٢ (أغسطس) ركبت طائرة صغيرة إلى حيث كان الفوج الثالث الكندى فى زيارة له ، فسقطت الطائرة عند وصولها فوق المطار ولم يصب أحد بضرر إلا أنا . فإن فقرتين من فقرات سلسلة ظهري كانتا قد انشعبتا . فلم أستطع أن أقول الكلمة بكاملها التى كنت قد أعدتها لالقاءها على ضباط ذلك الفوج واضطرت إلى الرجوع إلى مقرى وأرادنى الكنديون أن يتم ذلك الرجوع بسيارة ولا بطائرة خوفاً من حادث ثان . فلم ارض . وعدت إلى مقر قيادى بالطائرة . وفى سنة ١٩٤٥ - ١٩٤٦ أكرهت على ملازمة الفراش غير مرة من وراء حادث الطائرة ذلك وانتهى بى الأمر إلى أن قضيت فى سويسرا شهراً كاملاً للاستعفاء التام ، ولم أحصل عليه إلا بعد سنوات .

وفى أوائل (أكتوبر) ١٩٤٥ انتهى مؤتمر وزراء الخارجية فى لندن على خلاف . كان قد عقد لتمهيد المعاملات لتوقيع اتفاقية السلم مع البلدان العدو ، فاسفر عن صعوبات تكاد لا تقاوم .

واصطدمت لجنة المراقبة الرباعية بالحواجز التى منعتها فيما بعد عن القيام بمهامها . والسبب الرئيسى فى ذلك هو أن فرنسا أثبت أن تشكل حكومة موحدة مركزية ألمانية ، عن طريقها تدبير الشؤون فى ألمانيا فان فرنسا كانت لا تزال تخاف من طمع الألمان فيها ، فترى أن

تجزؤ ألمانيا هو الوسيلة الوحيدة للحفاظ على أمنها . هذا علاوة على أن الفرنسيين كانوا يرون في منطقة الرور المصدر الأقوى للجهاز الحربى الألمانى فيريدون فصل تلك المنطقة عن ألمانيا وتدميرها .

وبعد فشل مؤتمر وزراء خارجية الحلفاء الأربعة ، قدمت إلى لندن لأجتماع برئيس الوزراء المستر أتلى ، وأطلعته على وجهة نظرى فيما يلى :

(أ) كنت أرى من الممكن أن تحكم ألمانيا الدول المتحالفة الأربعة معاً فعدلت عن رأى اليوم . فإن الحلفاء ليسوا على وئام هناك ولقد هدد الأمريكيون بأن يطالبوا بإطلاق الحرية لكل دولة متحالفة أن تتصرف كما تشاء فى منطقتها ما لم توحده الكلمة فى لجنة المراقبة الرباعية ومع ذلك فإن يقينى هو أن الحلفاء الغربيين يجب أن يستعدوا منذ الآن إلى جهاد عنيف مع روسيا ، وستطول مدة الجهاد . فإن نصف ألمانيا بين يدينا اليوم ، ومن الواجب أن نتمسك به ولا ندعه يفلت منا .

(ب) أما مشكلة الرور فأتى أرى أنه لا بد من تشجيع نهضته التجارية والصناعية شرط أن تسير تلك النهضة تحت مراقبة الحلفاء . فنؤمن بذلك اللوازم الغذائية لألمانيا والمواد الصناعية للحلفاء الغربيين .

(د) يجب أن نحتفظ بقوة محاربة كافية حتى نستطيع أن نفرض إهابتنا ولا سيما على الروس ، فنسهل بذلك لنا الحصول على مطالبنا ثم نقسام بعد ذلك فيما إذا كان من مصلحة بريطانيا أن توحده ألمانيا الآن

وعلى كل حال فإن المناطق المهمة بالنسبة إلينا هي ألمانيا الغربية مع المنطقة الشرقية من البحر المتوسط وإيطاليا . أما البلكان فلا يدخل في الحساب لأن نفوذ روسيا هناك مطلق لا قيد له قط . وأوضحت لرئيس الوزراء أن المانع الحالى الذى يعترض لجنة المراقبة الرباعية فى أعمالها الآن هو مقاومة فرنسا لتحقيق كل إدارة ألمانية مركزية . أما المانع الحقيقى فهو «الستار الحديدى» الذى يقيمه الروس . فإن الإدارة الألمانية المركزية لا يمكن أن تتم وتباشر أعمالها مالم يرفع ذلك الستار . فلا بد إذن من وجود حل لمشكلتنا هذه لإنقاذ ألمانيا من الفوضى الاقتصادية ، وذلك الحل يجب أن يتخذ عن سبيل إدارات منطقية مستقلة تعمل كل منها فيما يتعلق بالنقد والضرائب والمشاريع الإدارية الأخرى .

وفى أواخر السنة أخذت أفكر فى حالتنا فى المنطقة البريطانية . . فانتنا كنا سائرين إلى الأمام فى الإصلاح ولا يهددنا إلا تفاؤل أحق يمنعنا من أن نسعى من الأحسن إلى ما هو أحسن منه وعن أن نسير الهويننا ، بدقة وحكمة فى إصلاحنا . فإن الألمان ، قضوا شتاء سهلا لاهم لهم إلا تأمين غذائهم والفحم لتدفئتهم . ولكن بعد الشتاء سيخرجون منه ، ويرون حينئذ أنهم لا يستفيدون من نهضة بلادهم بل يذهب انتاجها كله الى الخارج . ثم إننا كنا قد عزلنا عن مناصبهم عدداً كبيراً من النازيين وهم رجال إدارة وحكم من الطبقة العالية الممتازة فلا بد من أن تؤدى بهم بطالتهم الى أن يحدثوا شيئاً من القلق والاضطراب

في البلاد . هذا علاوة على ما قد يحدثه الجنود المسرحون وعددهم لا يقل على المليونين والنصف مليون .

كنت قد بلغت رسمياً ، في ٢٦ (يناير) ١٩٤٦ ، اننى قد عينت كرئيس للأركان الامبراطورية على أن أباشر أعمال وظيفتى في ٢٦ يونيو وما فكرت قط بأننى سأحصل يوماً على هذا الشرف ، وأن أحداً من عرفونى لن يفكر ، فيما أرى . فرحت أتساءل فيما عسى أن تكون علاقائى مع رؤسائى السياسيين الجدد . أما أتلى وبينى فإن روابط الثقة كانت قد تمكنت بنى وبينهما ، ولكننى ما كنت على نفس الاطمئنان من غيرهما من نواب حزب العمال . فإن اثنين منهم ، وأحدهما وزير ، كانا قد قصدا فى المانيا لجولة أرادا أن يقوموا بها فى الجيش ، فى ١٥ أغسطس ١٩٤٥ . فأحسنيت لقاءهما فى مقر قيادتى ، ثم طلبنا أن يجمعنا بأفراد بعض الوحدات جنوداً وضباطاً . وعلمت فيما بعد ، أنهما فى أحد تلك الاجتماعات كانا قد طلبا من الضباط أن ينسحبوا قصداً منهما أن ينفردا بالجنود . فاستأت لذلك وأصدرت أوامر لكل القوى البريطانية فى المانيا مانعاً أن يعود ويتم عمل كهذا ، وصارحت النائبتين بالأمر وأفهمتهما اننى أنا المسئول عن النظام فى الجيش ولن أتسامح بأن يواجه الجنود رسمياً فى غياب ضباطهم .

وعلى كل حال ، بما أننى كنت على قرب من مغادرة المانيا . أخذت أضعف اهتمامى بالمشكلتين اللتين كنت أراهما فى أساس كل عملنا هناك ألا وهما : مشكلة الشعب الالمانى ، ثم المراحل الادارية التى لا بد من قطعها لمجابهة تلك المشكلة .

كان من الواجب على أن أغادر ألمانيا في ٢ مايو ١٩٤٦ لأنتم في يونيو وظيفتي الجديدة في المكتب الحربى ، فإن المدة التى قضيتها فى ألمانيا منذ انتهاء الحرب كانت قد جعلتنى على يقين من أن توحيد ألمانيا أصبح أمراً مستحيلاً اليوم ، لا بل أصبحت أشك فى أن يتم ذلك التوحيد بدون حرب . ومن الواجب عليهم أن يرفعوا مستوى الحياة ومعنوياتها فى مناطقهم فتنتعش تلك المناطق وتزدهر بحيث يصبح ألمان المنطقة الروسية ينظرون إليها ويودون لو كانوا فيها إذ يقابلون فيما بين بؤسهم والسعادة التى يتمتع بها مواطنوهم من هذه الناحية من الستار الحديدى .

وبهذا المعنى، ودعماً لتلك الأفكار والآراء التى عرضت لها فيما يتعلق بنهضة ألمانيا والألمان كتبت مذكرة قبل مغادرتى لألمانيا، وسلمتها للرئيس الوزراء يدأ بيد عندما وصلت الى لندن فى ٢ مايو . وكانت خاتمة تلك المذكرة ما يلى :

« ان ألمانيا إذا أصبحت بلاداً مطمئنة لها جهاز سياسى سليم ، لا بد من أن يكون ذلك من المساعدات القوية الثمينة على صيانة أمن الامبراطورية البريطانية ، وتأمين السلم فى العالم ، .

الفصل العشرون

استعدادى للدخول الى وايتهاال



فى بيان الوداع الذى وجهته الى ضباط جيش نهر الرين ، أعربت عن حزنى على أنى لن أسلم ، بعد ذلك ، قيادة تصلى مباشرة بالجندى البريطانى ، إلا أن وظيفتى كرئيس الأركان الامبراطورية كانت تقتضى أن أصبح مسئولاً عن تنظيم الجيش وتأمين الرفاهية لكل أفرادهم. فعزمت على أن أفكر فى واجباتى الجديدة وبعملى الجديد مدة الأسابيع السبعة التى تفصلنى عن يوم تسلى منصبى فى المكتب الحربى .

أثناء وجودى فى المانيا استطعت أن أتبع عن كسب كل ما جرى فى إنجلترا فيما يتعلق بالسياسة والجيش فإن رجال الحكومة آنذاك كان لاهم لهم إلا التأمين الاجتماعى ، وتدويل المشاريع التجارية والصناعية الكبرى وغيرها من الأمور وكل ما تتطلب تلك التدخلات والعلاقات من قوى مسلحة تسير وتوجه بمقتضى خطة تمتد وتتسع على نحو ما تمتد الظروف وتتسع ، فكل هذه الأمور كانت قد أرجئت الى وقت آخر لم يعين . فان صرف الاهتمام هكذا الى مجرد الشؤون الداخلية أسخطنى سخطاً شديداً وعزمت على أن أوضح لنفسى الخطة التى أريد أن أتقيد

بها حتى أكون على بصيرة من أمرى عندما أسلم وظيفتى فى ٢٦
(يونيو) ١٩٤٦ .

فما كنت أريد الجيش البريطانى أن يكون مصيره بعد الحرب
العالمية الثانية مثل مصيره بعد الحرب العالمية الاولى فتهمل أموره
ويصبح لامذهب له ولا سياسة .

عند رجوعى من ألمانيا ، عشت فى هندها د ، عند أصدقائى الماجور
والسيدة رينولدز اللذين كانا قد تعهدا تربية ولدى داود أثناء غيابى .
وكننت قد نقلت مكتبى المتنقل من ألمانيا ، فركرتة فى زاوية من البستان
وأخذت التحدى . اليه لاشتغل . وأول ما أردت أن أعالجه هو إيجاد
أساس متين صحيح للجيش حتى لايسير هكذا مع الظروف بل يبقى ثابتاً
على ماهو عليه مدة عشر سنوات أو خمس عشرة سنة . فلا بد إذن من خطة
تصلح لمدة طويلة . فشرعت فى دراسة موضوع : « مشكلة جيش ما بعد
الحرب » . فيها أعرض لما يجب أن تؤمنه حتى نجعل حياة الضباط
والجنود ملائمة للعصر الذى يعيشون فيه فيشكلون جيشاً له معنويات
عالية سامية يفتخر كل إنسان بالانتماء اليه .

ثم إنه كان لابد من تصميم خطة تكتيكية ذات خطوط عامة فقط
فيسهل تطبيقها فى ميادين تختلف مع الازمنة والامكنة . ولذا قررت
إحداث سلسلة تمارين فى مدرسه الاركان فى كبرى فيحضر تلك التمارين
كل القادة البريطانيين الذين لايزلون تحت قيد الخدمة فى بريطانيا

وفيما وراء البحار ، ويدعى إليها رؤساء أركان الدول الداخلية في الكومونولث . وأول خطوة في تحقيق ذلك هي أن أحصل على موافقة قائدى الطيران والبحرية ، فتم لى ذلك وبشرت بالعمل ستة أسابيع بعد تسلى وظيفتى .

وأخيراً كنت أريد أن أومن لى نفوذاً فعلياً على الجيش الذى أصبحت رئيسه ، فيتلقى قاداته الأوامر منى مباشرة . فأخذت أجمع كل ثلاثة أشهر ، منى المكتب الحربى ، كل قادة الجيش الداخلى ، فنتباحث فى أمورنا ويحدد المكتب الحربى موقفه منها إذا اقتضى الأمر . وقررت أن أفضى شهرين فى انجلترا وشهراً فى ما وراء البحار ، بالتبادل والغاية من هذه السفريات إلى ما وراء البحار — وقد دامت حتى ١٩٤٧ — ان اتصل بكل أرجاء الكومونولث ، وبينها بلدان لم يزرها قط أحد من رؤساء الأركان الحربية وهو أثناء خدمته .

وكل هذا الذى أسلفت وذكرت انما هو يخصنى بصفتى كقائد للجيش البريطانى ورأيت أتى من هذه الناحية الأخيرة ، سأضطرب حتماً إلى أن أبدى رأيى ، حال وصولى إلى هويتسال ، فى كل ما يتم ويحدث على وجه الأرض وهى الاضطراب الذى نعرفه ، فلا بد لى إذن - حتى يكون رأيى مستنداً إلى الواقع متقيداً به - من الاطلاع المباشر على ذلك الواقع ، وذلك بدرسه فى المكان الذى يتم فيه ، مما ساقنى إلى التيقن من حاجتى إلى رحلة أقوم بها إلى كل أقطار البحر

المتوسط التي كانت الجيوش البريطانية معسكرة فيها . فغادرت هندهاد في ٩ (يونيو) على أن أعود إلى إنجلترا في ٢٢ منه غير أنني عند نزولي في القاهرة ، وصالتي برقية من صديقي القديم أرثشي وافل ، نائب الملك في الهند ، يطالب فيها إلى أن أقصده هناك ليتباحث هو واوشنلاك (القائد الأعلى في الهند حينذاك) معي في مسائل حرجة . فلبيت طلبه وما استطعت أن أعود إلى لندن إلا في مساء ٢١ (يونيو) يوم تسلى الفعلي لوظيفتي كرئيس للاركان الأمبراطورية . كان سفرى مفيداً نعم . ولكنه كان أيضاً متعباً وما كنت على مايرام من العافية والراحة عندما دخلت إلى المكتب الحربى في ٢٧ (يونيو) .

أما فيما يختص بمصر ، فإن المفاوضات المتعلقة بمعاهدتنا معها ، كانت عند زيارتي لها لا تزال جارية منذ زمن طويل . وهى آنذاك واقنة لا تتقدم ولا تتأخر . فإذا وقعت حرب ، أو هددنا بحرب ، كنت أعرف أننا لابد من ان نطالب بالحقوق المعترف بها لنا في المعاهدة البريطانية ، المصرية السابقة . أما الآن في وقت السلم ، فكنا في حاجة إلى قناة السويس لمواصلاتنا مع الشرق الأقصى ، وكنا في حاجة أيضاً إلى امكانية استخدام القواعد الاساسية حيث ترابط جيوشنا النازلة في الشرق الأوسط . إلا أن الوفد البريطانى في مصر كان قد علم أن كل محاولة للاحتفاظ بشروطنا تلك ، ليس من شأنها إلا تعقيد الأمور ، واستخدام القوة واللجوء ، نهائياً ، إلى مجلس الأمن في الأمم المتحدة . وعليه فالوفد يقترح سحب القوى البريطانية من

مراكزها في مصر والتفاوض للحصول على اتفاقية مرضية ، ويرى أن حلا كهذا أخف الشرين وطأة . وأعلن تصريح بذلك المعنى ولكن بدون فائدة فإن المصريين بقوا على إصرارهم .

وعند مغادرتي لندن اجتمع بي بييفين وقال انه مصر على أن ننتهز بمطالبنا الأساسية ، إلا أنه طلب إلى أن استفهم ما عسى أن يكون موقف المصريين إذا ما عرضنا أن نلجأ من مدن الدلتا ، وأمله هنا أن يلين المصريون في إصرارهم ويوافقوا على مطالبنا عندما يرون منا ذلك الاستعداد للتفاهم معهم .

وحال وصولي إلى مصر في ١٠ يونيو اجتمعت بسفير بريطانيا في مصر وبالقائد الأعلى للقوى البريطانية في الشرق الأوسط ، ثم بالملك فاروق ورئيس وزرائه صدقي باشا وصارحت الملك ووزيره بأن مصلحة مصر تقضي أن تتعاون قوى بريطانية مع الجيش المصري لصيانة كيان مصر والدول العربية إذا ما نشبت حرب ، وعليه فلا بد للاعتراف بقاعدة حربية يخلى عنها للقوى البريطانية في الشرق الأوسط وإلا دخلت بريطانيا ومصر الحرب وهما على غير استعداد لها ولا بد من أن تكون تلك القاعدة في مصر .

وواصلت قائلاً أن لابد من بحث تلك القضية في جوقة متبادلة بين الطرفين ثم إنه من الطبيعي أن ترجع حراسة تلك القاعدة إلى المصريين قبل غيرهم إذ أنهم أصحاب الأرض ، غير أن المرغوب فيه هو أن يبقى ممثلون بريطانيون على اتصال مستمر مع هؤلاء الحرس بحيث أنه عندما

تظهر في الآفاق تباشير أزمة دولية تتمكن من الإفبال على العمل
معا لمقاومة تلك الازمة وذلك بأسرع وقت ممكن

ولم يظهر لى الملك أنه مهم بهذه القضية : أما صدق فإنه أبدى تفاهما
لا بأس به ووعدنى بمساعدته .

ثم أعلنت أننا سنسحب من مدن الدلتا بأسرع وقت ممكن وسيتم
ذلك الانسحاب فى ظرف ثلاثة أشهر ، وفى مقابل ذلك نطلب ألا نتخلى
عن قاعدة القنال إلا بعد ٥ سنوات على نحو التقريب ، وأمرت بعد ذلك
السلطات العليا للقوى البريطانية بسحب تلك القوى إلى منطقته القنال
معربا عن أملى أن أرى العملية متقدمة عندما أستلم وظيفتى فى هويتال
فى ٢٦ يونيو .

ثم أرسلت إلى هويتال بيانا عن نتائج اتصالاتى فى مصر ، ورأى
بعد زيارتى لمالطا ومصر وقلت إننا نستطيع أن نحفظ بسيطرنا على
المنطقة الشرقية من البحر المتوسط . بدون الحاجة إلى البقاء فى مصر
ولكن بشرط أن نحرص على المقتضيات التالية ، وهى أولا الاحتفاظ
بالحق فى أن نبقى القوى التى نريدها فى ليبيا ، فإن وجودنا فى ليبيا
وفى مالطا كافيان لتأمين مصالحنا فى البحر المتوسط وفى أفريقيا الشمالية
ويجب ثانيا أن نحفظ بقوى برية وجوية فى قبرص وقوى جوية فى شرقى
الأردن مع الاحتفاظ بكل حقوقنا العسكرية فى فلسطين ثم لا بد لنا
ثالثا من الحق بالرجوع إلى مصر فى حالة الحرب . فنستعيد القواعد التى
يسكون المصريون قد حفظوها لنا . ولكى يؤمن لنا ذلك الحق يجب

أن نبقى أقوياء في السودان حتى نتمكن من مراقبة النيل وهو عرق مصر الحيوى .

ثم ركبت الطائرة إلى فلسطين حيث كانت الحالة على أسوأ ما يمكن من الاضطراب والإرهاب بسبب المنظمين الإرهابيين اليهوديتين الارجون والسترن. والذي زاد في الاضطراب تقرير اللجنة الأمريكية- الانجليزية بالسماح لدخول فلسطين لـ ١٠٠٠٠٠ يهودى ؛ وعلم الناس بذلك التقرير وعيل صبر اليهود في انتظاره .

هذا مع العلم أن المفوض البريطانى لم يكن رجل حزم وعزم . أما أنا فالذى كان يهمنى هو حالة الجيش ، فأريده متمتعاً بمعنوياته كلها حتى يستطيع أن يفرض على الناس هيبة السلطة المدنية ، لا سيما وأن الشرطة كانت عاجزة عن القيام بمهامها وذلك بغير ذنب منها .

ولا شك فى أن ضعف موقف السلطة البريطانية ذلك كان من شأنه أن يجعل السلطة الفعلية بين أيدي اليهود ، يتصرفون كما يشاؤون وهم يتحدون كل من حاول مقاومتهم . فصارحت القائد الأعلى فى فلسطين أن تلك حالة لا يمكن أن تدوم فلا بد له من اتخاذ الاحتياطات اللازمة لإعادة الأمن والطمأنينة إلى القلوب مهما كلف الأمر ولا بد من أن يقودنا ذلك إلى حرب ضد اليهود وهم منبثون فى كل مكان ، متسكرون فلا نعود ندرى أين العدو لنقاتله . فعلى كل حال يجب أن تعطى التوجيهات السديدة لقمع الفتن أينما كانت وسأكون أنا إلى

جانب الجيش دوماً لآساعده في مهمته الشاقة . ثم أبرقت إلى هويتها لاطاعهم هناك على وجهة نظرتى تلك، وبعد أن جمعت عدداً من الضباط في معسكر صرفند وقت لهم ما قلت لزملائهم في مصر ، ركبت الطائرة لمغادرة فلسطين .

ولم اتجه رأساً إلى الهند بل إلى عمان حيث استقبلنى الملك عبد الله استقبالا عظيما . والملك عبد الله صديق قديم وقد وعدنى بأن يدافع عن المصالح البريطانية في الدول العربية . فوعده بأن أطلع رئيس الوزراء برغبته وهكذا فعلت .

وإبحرت بعد ذلك إلى إيطاليا ، وهناك نزلت في نابولى ثم اتجهت إلى كازرت .

ثم غادرت إيطاليا فى ٢٦ (يونيو) ووصلت إلى لندن وقد أعينى التعب . إلا أننى كنت مسروراً من رحلتى التى استطعت بها أن أطلع على صعوبات الجيش عن كسب . ومن شأن ذلك الاطلاع أن أتمكن من أن أبدى رأى فى كل مشكلة بالرأى اللازم . أما الآن فكنت قد اكتفيت بأن أعيد الثقة والاطمئنان إلى قلوب الجميع واعدت بمساعدتى أمام المشاكل كلها علنا حتى نجد لها معاً الحلول اللائقة بها .

الفصل الحادى والعشرون

خطواتى الأولى فى هويتها

عندما استلمت وظيفتى فى المكتب الحربى ، كنت داخلا إليه لأول مرة فى حياتى . ولا عهد لى قط بتنظيمه وكيفية العمل فيه .

أما الآن بعد خروجى منه فى ١٩٤٨ ، فإننى أرى أنه خير الوزارات فى هويتها :

ولا بد لى من القول الآن بأننى خدمت هناك تحت أوامر سكرتيرى دولة ثلاثة الأول منهم لورد لوسون ، لا مثيل له من حيث اللطف والبشاشة ؛ كان يعمل فى المعادن أثناء أيام شبابه وهو مؤلف كتاب " حياة رجل " ، قلما قرأت كتباً من مستواه . فى خريف ١٩٤٦ اضطر لوسون إلى الاعتزال لأسباب صحية تخلفه فرد بلانجيه ومعه أيضاً كان العمل هيناً مع العلم أنه كان أوفر اطلاعاً على الأمور من لوسون وطالما بدا لى أنه لم يكن على وئام تام مع زملائه من مجلس الوزارة .

وكان سكرتير الدولة الثالث عمانوئيل شنوال . هو خير الثلاثة مع العلم أن قولى هذا ليس طعنأ فى الاثنين الأولين . فإن شنوال كان

صاحب ذكاء قاده وعقل واضح ، وقلب كريم . كان سريع الفهم ، سريع العمل بعد الفهم . فيدافع عن كل تقرير اقنعناه به في مجلس الوزراء والبرلمان .

فكل المشاكل الإنسانية هذه ، كنت اقيم لها حساباً مهماً ، وهى أولى المشاكل التى صرفت إليها انتباهى عند دخولى إلى المكتب الحربى .

وفى أول اجتماع عقده مجلس الشورى للجيش بعد تعيينى ، قدمت المذكرة التى كنت قد أعدتها فى هندها دى فى مايو ١٩٤٦ ، فيما يتعلق بمشكلة جيش ما بعد الحرب ، . وفى أثناء قراءتى لتلك المذكرة ألفت انتباه زملائى إلى ضرورة تقيدنا بخطة بمقتضاها نسير لتعزيز جيشنا ، وطالبت منهم أخيراً أن يوافقوا جميعهم عليها حتى تتخذ فيما بعد كقاعدة أساسية لعمل المكتب الحربى فى اختلاف مراحله .

أما النقاط الأساسية التى عرضت لها فى تلك المذكرة فهى ضرورة اتفاقنا على الجهاز الواجب إعداده للجيش أثناء العشر أو الخمس عشرة سنة المقبلة ؛ ثم العلاقات بين وحدات الجيش المقيمة فى المملكة المتحدة وبين جيوش دول الكومنولث ، ثم أهمية الأبحاث العلمية واستخدامها فى الجيش الذى لا بد من أن يعد لاستعمالها . ثم تدريب الوحدات على القتال مع التقيد بكل الحاجيات العصرية ، ثم ضرورة المدارس الحربية وتوسيع نطاقها بحيث يمكن تدريب القادة والضباط الكبار على مستوى يتناسب ورتبهم . وأخيراً أشرت إلى أهمية المعنويات فى الجيش وإلى أهمية التعاون الوثيق فيما بين القوى البرية والقوى الجوية الملكية .

والحققت تلك المذكرة بملاحظات عديدة وبمذكرة أخرى فيها أطلب تعديل النظام الذى عليه كانت تقوم علاقات القائد الأعلى بأركانه . فالنظام البريطاني يجعل القائد الأعلى مسؤولاً عن تسيير العمل فى اركانه وكانت الحرب الأخيرة قد دلتنى أن نظاماً كذلك لا يمكن أن يطبق اليوم . فإن واجب القائد الأعلى أن يدرك جوهريات المشاكل التى تعرض له مع بعض التفاصيل الأساسية ليس أكثر ، ثم على ضوء ذلك الذى سبق ذكره يصمم خطته ، ويصممها هو وحده فلا تفرضها عليه لا اركانه ولا الظروف ولا العدو . ولتأمين ذلك لابد له من أن يريح نفسه من الاهتمام بالتفاصيل فيدعها إلى اركانه التى تعمل تحت توجيه يريح رئيس القائد الأعلى ويتيح له أن يفكر فى جوهر الهدوء والطمأنينة وقوبلت فكرتى هذه بمقاومة عنيفة فى المكتب الحربى ، وسواء أكان من قبل المدنيين أم من قبل العسكريين . وانتهى بي الأمر إلى أننى هددت بالاستقالة فأنهى ذلك التهديد كل مقاومة ونلت التعديل الذى كنت أرغبه ، ولكننى قضيت بضعة أشهر لأصل إلى نتيجة .

ثم إننى مالبثت أن رأيت ، بعد أسابيع فقط قضيتها فى المكتب الحربى أن ليس هناك خطة واضحة فيما يتعلق بالأبحاث العلمية وبضرورة الانتقال من البحث النظرى إلى الانتاج الفعلى بعد مدة محدودة . وشعرت أن احداً لن يتجاسر على اتخاذ التدابير اللازمة فى ذلك المضمار . فبعد مراجعة المستندات ، قررت أنا أنه من الواجب أن يجهز الجيش العادى بكل لوازمه بعد خمس سنوات (١٩٥١) ، اما الجيش بكامله بما فيه قوى المملكة المتحدة وقوى ما وراء البحار ، فلا بد

من أن يؤمن تجهيزه بكامله في سنة ١٩٦١ ، فيستطيع حينئذ أن يدخل في كل حرب مهما كانت دامية وشديدة . وارتاح المكتب الحربى كله لذلك التقرير بعد أن وافق عليه رئيس الوزراء وسكرتير الدولة للحرب ولجنة رؤساء الأركان . ثم اطلعت ايزنهاور ورؤساء جيوش دول الكومنولث ، فوافقوا جميعاً .

وما لبثت أن تبين أن أصحاب الامر في هو يتهاون لافسكرة عندهم عما سيكون اشتراكنا في حرب عامة مقبلة . ففي مذكرة كنت قد كتبتها قبل دخولى المكتب الحربى ، كنت أصف الشرق الاوسط على أنه في مقدمة المناطق التى تهمنا . ولم يوافق أتلى على هذا الرأى بعد نقده نقداً شديداً في أول اجتماع حضرته . فطلبت من زميلى فى البحرية والقوى الجوية أن يقدم كل منا مذكرة فى الموضوع إلى رئيس الوزراء . فرفض مدعين بأننا لا نزال نجهل مدى قوى الأسلحة التى ستستخدم فى الحرب المقبلة وبأن أركانها لا يتسع لها الوقت لتأليف مذكرة كذلك . فقلت إننى سأتكاف الأمر أنا بنفسى وسأقدم مذكرتى إلى المكتب الحربى . وبعد أن دونت ملاحظاتى فى خطوطها العامة ، دفعته إلى أركانى طالباً من ضباطها أن يتقيدوا بالنقاط التالية .

١ (قصدنا أن نعود فنشكل قوة حلفائنا فى اوروبا فنجهز كتلة غربية ضد هجوم قد يأتى من الشرق . ومن الواجب أن نستعد أن نقاتل فى البر الى جانب حلفائنا .

ب (يجب أن نسعى بحيث نحتفظ بحرية التجول فى البحار ، ولا سيما

فى الخط الساحلى لافريقيا الشمالية ، حتى تؤمن مواصلاتنا فى البحر المتوسط .

(ج) يجب أن نسعى جهدنا فى أن يبقى الشرق الأوسط كما هو عليه فنتخذة مع افريقيا الشمالية والمملكة المتحدة كقاعدة متينة منها نشن هجوماتنا الجوية على كل عدو يأتى من الشرق فلا بد للجيش من أن يحتفظ بمقر قيادة عام لفرع فى الشرق الأوسط بحيث يمكن توجيه ذلك الفرع إلى كل مكان تدل عليه الظروف .

وتم تأليف المذكرة بعد أسبوع ، فأرسلت نسخة منها لكل من قائد البحرية الأعلى وقائد الطيران الحربى الأعلى . فوافقا إلا على النقطة الأولى . ومع ذلك لم يرضيا بأن تقدم تلك المذكرة لرئيس الوزراء على أنها صادرة من لجنة رؤساء الأركان . وتلك كانت أوائل الجهاد الذى جاهدته فى هويتها حتى أحصل على تحديد استراتيجية بريطانية ويوافق عليها الجميع ، وتلك كانت أيضاً أوائل الحرازات العديدة التى نشأت فى لجنة رؤساء الأركان .

وهناك نقطة خلاف أخرى فيما بين رؤساء الأركان الثلاثة ، وهى تتعلق بتصميم الخطط الحربية المقبلة . أما أنا فاقترحت أن يدلى رؤساء الأركان بتوجيهات عامة تنقيد بها فئة الضباط المختلفى السلاح (برى ، جوى ، بحرى) المكلفة بتصميم تلك الخطط ، لاسيما إذا كانت تجهز لحرب واسعة النطاق . أما زميلائى فكانا يريان من الخير لتلك الفئة أن تعمل هى بحد ذاتها وتستنبط الخطط بدون اعتماد الى تصورات

سابقة تؤثر عليها . وكنت أرى أنه غير معقول أن نطلب ذلك من ضباط لا يزالون قليلي الخبرة ، خاصة إذا ما كانت العمليات المفروضة تقتضى اشتراك الاسلحة الثلاثة (السلاح البرى ، والجوى ، والبحرى) فى آن واحد . ولم يقتنع زميلائى بأدلتى ، ومع ذلك فانتى نهتهم الى أننى سأتقيد بوجهة نظرتى فيما يتعلق بالقوى البرية . وبما أن ضباط السلاحين الآخرين ما كانوا يتلقون تعليمات فى الموضوع ، فإن توجيهاتى لضباط سلاحى فى شأن تصميم الخطط كانت تنفذ غالب الاحيان .

ولا ضير ان ذكرت خلافاً آخر وقع بين رؤساء الاركان الثلاثة : وهو خلاف يختص بكيفية توحيد موقفنا مع الامريكيين تجاه الظروف التى كانت تعترضنا . فإن صعوباتنا مع الروس جعلتنا نحس فى أوائل أغسطس بحاجة نحن والامريكيين الى التمسك بمذهب واحد . وكانت قد جرت مفاوضات فى ذلك الشأن من الناحية الدبلوماسية . أما من الناحية الحكومية فما كان قد حدث شئ . نهائى . على كل حال ؛ فإن زميلائى كابران مع ذلك درس المشاكل الرئيسية وغير الرئيسية . وما كنت أرى هكذا أنا . فإنه ليس من الصواب أن نقف عند الصعوبات المحلية ، مثل التى فى فينيتيا وألمانيا مثلاً ونركز عليها وحدها انتباهنا بصرف النظر عن خطة عامة نكون قد صممناها وأعدناها لحرب عالمية ثالثة قد تقع . فإن المعارك المحلية من شأنها أن تجر إلى حرب لن تلبث أن تصبح عامة ، فلا بد من اعتبار تلك المعارك ضمن نطاق أوسع يشملها ويحدد تسييرها فى الوقت نفسه . فبعد مناقشة طويلة استطعت أن أستميل قائد البحرية الأعلى إلى وجهة نظر المكتتب الحربى فعدل قائد الطيران الحربى الأعلى عن إصراره .

وكل ذلك الذى عرضت له كاف لإعطاء فكرة عامة عن نشاطى
سواء أكان فى المكتب الحربى أم فى لجنة رؤساء الأركان ، وذلك حتى
١٩ أغسطس ١٩٤٦ ، يوم ركبت الباخرة فى ليفربول إلى كندا ،
والولايات المتحدة الأمريكية .

وصلت إلى الولايات المتحدة فى ١٠ سبتمبر ، وغاية جولتى هناك
زيارتى للبراكز العسكرية المهمة وإقامة فى واشنطن للاجتماع بالرئيس
وبرؤساء الأركان الأمريكية . وأثناء تلك المدة كلها كنت ضيف الجنرال
ايزنهاور والجيش الأمريكى .

وعند وصولى إلى واشنطن بلغنى جواب رؤساء الأركان البريطانية
على ما كنت أبرقت من كندا فيما يتعلق بمباحثاتى مع فكنزى كننج .
وخوى ذلك الجواب نصيحة بأن أتباحث فى الموضوع مع رؤساء الأركان
الأمريكية بدون مفاتحة الرئيس الأمريكى به . ويضيف الجواب أن
الوزراء البريطانيين لم يطلعوا على شىء قط من كل ذلك فلم أياس ،
بل فاتحت ايزنهاور بالمشكلة عند ما استطعت أن أنفرد به . فوافق
على أن الوقت قد حان أن يقبل رؤساء الدول أنفسهم مسألة توحيد
الصفوف والجهة فيما بين البريطانيين والكنديين والأمريكيين ؟ أما هو
فلا يريد أن يتباحث بذاته مع الرئيس فى الأمر ، إلا أنه شجعنى
أن أتحدث عنه مع ترومان إذ أجتمع به غداً فى الدار البيضاء . وكنت
عازماً على أن أفعل .

غادرت واشنطن إلى لندن عن طريق الجو بعد ظهر ١٩ سبتمبر .
وفما كنت فوق الأتلنتيك كنت أتساءل فيما عسى أن يكون الاستقبال
الذى يعده هويتال لى . وما كنت أتصوره فارشاً البسط أمامى .

الفصل الثانى والعشرون

غيوم سوداء فوق فلسطين

ذكرت فيما سبق كيف كانت زيارتى لفلسطين أيام قليلة قبل استلام وظيفتى فى هويتهاى وما كان اضطرارى لما سمعت ورأيت . وإننى إذ أورد ما جرى منذ ذلك التاريخ حتى جلاء القوى البريطانية النهائى من فلسطين فى صيف ١٩٤٩ ، لن أتناول المشكلة إلا من الناحية العسكرية ، وهى ناحية استخدام الجيش لمساعدة السطة المدنية . كان لابد من تحديد موقف بالنسبة لفلسطين ولا يعنى ما عسى أن يكون ذلك الموقف إلا أن الترددات المستمرة فى هويتهاى وعدم التقيد بسياسة واضحة سديدة كل ذلك أدى إلى هلاك الكثيرين من الجنود البريطانيين الشباب . وهذا هو الذى جاهدت ضده . ليسكون درساً مفيداً ، وخاصة للدلالة على كيف ينبغى ألا يقبل اصحاب الأمر على مشاكل مثل تلك .

بعد زيارتى فى يونيو ١٩٤٦ إلى المنطقة الشرقية من البحر المتوسط كان دمبسى قد خلف باجيت على رأس القوى فى الشرق الأوسط ، وباركر لا يزال قائد القوى فى فلسطين وكانت الحالة العامة فى تلك البلاد

قد تفاقمت . فإن الجيش ، بعد محاولات إرهابية ، كان قد هجم على الهاجانا وعلى الوكالة اليهودية وتوقف عدد كبير من زعماء هاتين المنظميتين . ثم بعد محاولة نفس فندق الملك داود في أورشليم في (يوليو) ١٩٤٦ عاد الجيش وقام بهجوم مفاجيء في تل أبيب ضد الأرجون ، وتوقف عدد كبير من المشتبه فيهم . فازدادت الحالة استياء وأصبح الجنود البريطانيون لا يتجولون إلا مع أسلحتهم ، واتخذت التدابير الاحتياطية الشديدة لحماية الأشخاص والمساكن ضد الهجومات الإرهابية .

وفي أواخر (أكتوبر) ١٩٤٦ على نحو التقريب ظن سكرتير الدولة للمستعمرات أن زعماء الحركات الإرهابية إذا ما سرحوا ، وإذا بطلت التفتيشات للعشور على الأسلحة . فإن الجو قد يتحسن وتستنكر الوكالة اليهودية الأعمال الإرهابية وتدعو اليهود إلى الإقلاع عنها . وهكذا تم ، فيما عدا التدابير الواجب أخذها بعد حوادث إرهابية جديدة ، فضيق على القوى البريطانية في فلسطين ولم ينقطع الإرهابيون عن قتل الجنود البريطانيين وأفراد الشرطة الفلسطينيين .

فامتلات غيظاً لهذه الحالة وقررت السفر إلى فلسطين بالطائرة في ٢٨ (نوفمبر) ١٩٤٦ ، وقبل سفرى اجتمعت برئيس الوزراء وصارحته بالموضوع بلهجة ولطف فيها . وخوى ما قلت له هو أن الجيش في فلسطين عدد أفراد مايربو على ١٠٠٠٠٠ وهو قادر على ضبط الأمور ، ومع ذلك فإنه لاترك له الحرية اللازمة في تصرفاته .

فهو الذى يجب أن يباشر بالعمل ولا يدع ذلك لليهود . وإن سكرتير الدولة للمستعمرات ظن أن الجو يرجع إلى الهدوء بعد تسريح زعماء الإرهاب عند اليهود ، والذى تم هو العكس بالضبط ، ويرى سكرتير الدولة للمستعمرات أن وقوف الجيش هكذا مكتوف الأيدي لا يتم الأمر إلا للدفاع عن نفسه ، لا أهمية له ؛ وهو مصر فى رأيه على أن الوكالة اليهودية لا تزال تنوى إلا على الخير . فإن كنا عازمين على ألا نوطد الأمن ونفرض احترام القانون وهيبته فى فلسطين فالخير لنا أن ننسحب .

وأضفت قائلاً : إننى لن أطيق أن يقتل للأشياء جنود بريطانيون لا يزالون فى مستقبل عمرهم .

وكان لـ الكلامى الوقع العميق ، فطلب رئيس الوزراء بياناً سريعاً عن الحالة . ثم مضيت إلى فلسطين .

وكان المفوض البريطانى فى فلسطين فى هذا الوقت السر ألان كوننجام ، هذا الذى كان قائداً للجيش الثامن فى الصحراء وعزله أوشنلاك عن منصبه فى ١٩٤١ . فاجتمعت بكوننجام ودمبسى فى ٢٩ (نوفمبر) واستعرضنا الحالة . فأقر كوننجام أن الجيش لا يمكنه أن يقوم بالمهام المتعلقة به بسبب التضييقات المفروضة عليه بسبب تدخل الجهات العليا والنفوذ الصهيونى المنتشر فى لندن ، وأن هناك خطأ موضوعاً بإحكام للقضاء على البقية الباقية من العرب فى فلسطين لتصبح فلسطين يهودية .

وصرت أزداد استياء للحالة في فلسطين على قدر ما كنت أزداد عليها اطلاعاً. فإن المفوض السامي البريطاني كان لديه كل ما يلزم لتوطيد الأمن : الجيش والشرطة وكلاهما لم يستخدمما بفطنة وحكمة . أما الشرطة فكان أفرادها يتجولون في السيارات المدرعة وهم مسلحون مثل الجنود ، ولا يقوون على استعمال أسلحتهم مثل جندي من الرتبة الثالثة : فلا يحترمهم الشعب ولا يثق بهم مثلما كان الأمر في إنجلترا حيث يبدو الشرطي مازحاً ، متساهلاً حتى في تنفيذ أشد الأوامر .

ومع ذلك فإن المفوض السامي كان لا يزال يظن أن الرأي في ألا تستخدم القوة بكل عنفها ضد الإرهاب إذ أن الوكالة اليهودية والهاجانا قادرة على الاستيلاء عليه ، فإن استعمال القوة ، في رأيه ، لا يؤدي إلا إلى زيادة اضطراب في الحالة .

وبتعبير آخر لن نستطيع أن نحكم فلسطين إلا بصبرنا على اليهود ؛ وإذن فالانسحاب خير لنا .

وأبرقت إلى هويتال لأطلع أصحاب الأمر هناك على استيائي من الحالة . فطلب رئيس الوزراء إلى كل من المكتب الحربى ومكتب المستعمرات بياناً عن وجهة نظره ، مشيراً بنوع خاص إلى كيف كانت القوى المسلحة مستخدمة . ولا عجب إن كان كل من البيانين مناقضاً للآخر ، مما أدى إلى تعيين اجتماع في أول (يناير) ١٩٤٧ الغاية منه مناقشة البيانين ، إلا أنه في ٢٩ (ديسمبر) جلد اليهود ضابطاً وثلاثة صفوف ضباط بريطانيين ، انتقاماً لجلد فتى يهودى من الإرهابيين .

فأثار الحادث سخط الرأي العام البريطاني وأسفر اجتماع أول (يناير) بسرعة عن النتيجة الحاسمة : طلب منى سكرتير الدولة للمستعمرات أن أدون أنا بذاتى التعليمات اللازم توجيهها إلى المفوض السامى فى فلسطين . ففعلت مشيراً إلى أنه لا بد من استعمال الشدة ولكن بحكمة وسداد ، وضد الارهابيين فقط ، على أن تكون المباشرة بالعمل بين أيدى القوى المسلحة البريطانية جيشاً وشرطة . وكل ما يقام به من ذلك القبيل فهو مدعوم مبدئياً من قبل حكومة صاحب جلالته . ووفق على تلك التوجيهات فأبرقت إلى المفوض السامى

وفى ٢٦ (يناير) ١٩٤٧ ، اختطف اليهود ضابطاً وقاضياً بريطانيين فأعلن المفوض السامى التشديدات اللازم اتخاذها مالم يرد الرجلان فى ظرف ٤٨ ساعة . فاستأت لذلك أيضاً قائلاً إن العدو لا يطلع على التدابير المتخذة ضده . وأبرقت إلى دمبسى بالمعنى نفسه مضيفاً أنه من الواجب علينا أن نتصرف فى سياستنا بحيث لاتهان السلطة البريطانية من وراء شُرذمة من اللصوص . فإنتى سأسعى جهدى إلى تأمين ذلك هنا فى لندن ، وعليه هو أن يقدم بنفس المهمة فى فلسطين .

إلا أننى ارتكبت خطأ كبيراً إذ أرسلت إلى مكتب المستعمرات نسخة عن البرقية تلك ، فوقع تحت منظر رئيس الوزراء . وكنت أتوقع منه أن يبدى فى الأمر استياء شديداً ، إلا أنه كان لطيفاً واكتفى بأن يقول لى إن تلك البرقية اذا ما عرف محتواها ستجعل الحكومة فى موقف حرج . ولذا فإنه سيكون لى شاكراً إذا سعت

بحيث لا تقع إلا في أيدي ديمبسي فقط . فعملت فوراً بتلك الرغبة وأبرقت لدمبسي أن يبطل برقيتي وأن يتلف كل نسخة منها . إلا أنها ولا شك ، كان قد رآها غير واحد . ثم أصدرت الأوامر بأن تمنع عائلات الجنود البريطانيين من أن تنضم إلى رجالها في فلسطين ، وتبع أمرى ذلك تعليمات من قبل المفوض السامي هناك تأمر بحملاء النساء والأطفال والرجال الذين لا عمل لهم ، عن فلسطين . فأصبحت المنطقة بذلك حرة للعمل في ربوعها . وكان لابد من ذلك إذ أن المنظمات الإرهابية ومن بينها سترن ، أخذت توسع نطاقها وتقدم بأعمالها الإرهابية حتى في أوروبا . مما دفع الحكومة إلى أن تعين لي شرطياً يرافقني في تنقلاتي ولربما كان هو الذي منع ، بمجرد وجوده إلى جانبي هؤلاء الإرهابيين من أن يضعوا في طريقي أو في منزلي قبلة كنت قد هددت بها .

وفي صيف ١٩٤٧ عرفنا فترة صعوبات في فلسطين واتضح لي أن الحكومة ، كانت عازمة على التخلي عن الانتداب وسحب القوى البريطانية من فلسطين في أول (أغسطس) ١٩٤٨ . ولكن . في تلك الأثناء ، في أواخر (نوفمبر) ١٩٤٧ ، قرر المجلس العام لمنظمة الأمم المتحدة تقسيم فلسطين وكلف لجنة لتخطيط الحدود . فقررت الحكومة البريطانية أن تتخلي نهائياً عن الانتداب في ١٥ (مايو) ١٩٤٨ ، وأن تسحب قواها في أول (أغسطس) التابع ؛ ثم قدم ذلك التاريخ

الآخير فجأة إلى أول (يوليو) وتسلم فلسطين لليهود بناء على خطة مدبرة ووافقت عليها الجهات العليا .

وأخذت الحالة تتفاقم منذ (ديسمبر) ١٩٤٧ . إن اليهود أخذوا يحاولون جهدهم أن يؤمنوا لهم كل المواقع المهمة من الناحية الحربية قبل انتهاء الانتداب . وأما العرب ، ما عدا جيش التحرير ، فلم يدخلوا في قتال بل اكتفوا بل قواهم النظامية ، ثم أخذوا يحاولون أن يتفقوا على قيادة واحدة للجهاد المقبل ويوجهون إلى اليهود التهديدات .

وفي ١٥ (مايو) ١٩٤٨ سلمنا انتدابنا في فلسطين إلى منظمة الأمم المتحدة وسحبنا جيوشنا في أول (يوليو) .

ونتيجة عملنا هذا هو أننا جعلنا موقفنا ضعيفاً في الشرق الأوسط وليس فقط موقفنا بل موقف العالم الغربي كله بصورة عامة ، إذ كان الغرب يساهم بصور ظاهرة وواضحة ويعمل على تثبيت اليهود في فلسطين . وفي ذلك التاريخ كنا قد فقدنا الهند التي جزئت بعدئذ ، ثم كنا على قرب من أن نطرد من مصر .

فلا بد لنا بعد ذلك من إيجاد معسكر قوى متين في السودان وليبيا وما زلت ألفت انتباه الوزراء إلى أهمية وجودنا في هذين البلدين .

الفصل الثالث والعشرون

في سبيل وحدة الغرب



عند دخولي المكتب الحربي في (يوليو) ١٩٤٦ ، تبين أن ليس هناك فكرة واضحة عما عسى أن تكون الاستراتيجية البريطانية في حرب عامة في أوروبا إذا نشبت . وما كان زملائي يفكرون بتلك الناحية ولا يريدون أن ترفع مذكرة في ذلك الشأن . أما أنا فأصررت على أن ترفع مذكرة مثل هذه وقدمتها في ١٥ (يوليو) إلى لجنة رؤساء الأركان ، مبيناً فيها ضرورة تشكيل كتلة أوروبية في أسرع وقت ممكن وضرورة وجود انجترا إلى جانب الدول الغربية في دفاعها ضد كل عدو آت من الشرق .

وكانت تلك المحاولة الأولى . فيما أعلم . في البعثات البريطانية لاقناع الناس بضرورة وجود انجترا للقتال في البر الأوروبي في حال حرب إذا نشبت . ولم يوافق زميلاي على اقتراحى ، وهذا طبيعى ، فلم أُلح لأننى كنت جديداً إذ ذاك في هويتها .

وتبدلت الحالة في ١٩٤٧ . فان وزراء خارجية أوروبا الغربية ، أثناء اجتماعهم في لندن ، رأوا أن لاسبيل للاتفاق مع روسيا . وبعد رجوعى من جولتى في أفريقيا ، استدعانى بيفن في ٢٣ (ديسمبر) ١٩٤٧ ليخبرنى أنه اقترح على بيدو ، وزير خارجية فرنسا أن الوقت قد حان لتشكيل اتحاد فيدرالى أوروبى وحمل أمريكا على أن تدخل فيه ، وأضاف أنه من الواجب أن تتفق فرنسا وبريطانيا على خطة استراتيجية

بعد مباحثات تجرى على مستوى الأركان الفنى وكان ينوى أن يحدث مباحثات بين بريطانيا وأمريكا من ذلك النوع ، ولكن بعد الوصول إلى حل مع فرنسا . وقد دعى الجنرال روفير ، رئيس أركان الجيش الفرنسى ، من قبل وزارة الخارجية البريطانية ، إلى لندن فتمباحثت معه طويلا فى المشكلة .

وفى أثناء ذلك كان يفن قد تقدم بمشروعه المتعلق بالوحدة الغربية وخطته مصممة على المرحلتين التاليتين : معاهدة بين فرنسا وبريطانيا من ناحية يدخل فيها بلدان البنلوكس (بلجيكا ، وهولندا ، لوكسمبورج) ، ثم تمتد إلى إيطاليا والبلدان السكندينية . ثم اطلع مارشال على نيته فى الموضوع ، فتحمس مارشال لتلك النية وشجع كل عمل على تسكتل غربي أوروبا والبحر المتوسط من الناحية السياسية والاقتصادية . فعرض يفن على أمريكا الدخول فى ذلك المشروع فرفض أصحاب الأمر هناك لعدم استعداد الرأى العام الأمريكى للمفكرة . أما وجهة نظرنا فى الأمر فكانت أن نوضح لأنفسنا نحن ، قبل كل شئ ، ما عسى سيكون موقفنا واستراتيجيتنا فى حال حرب فى أوروبا وطلبت أن نهتم ببيان مشترك فيما بين الأسلحة الثلاثة عن الموضوع ، وأبدت استعدادى أن أباشر أنا بنفسى فأقدم ياناً عن وجهة نظر المكتب الحربى . ورفض طلبى مع الادعاء بأن ضباط اللجنة المشتركة فيما بين الأسلحة الثلاثة كانوا منصرفين إلى درس خطة فى الموضوع . وتوصلتنا تلك الخطة ، آخر الأمر وفيها يعتبر أصحابها عملنا فى أوروبا على ثلاثة وجوه : إما عمالية عن سبيل الجو فقط ، وإما عمالية عن سبيل البر ، وإما عمالية نصف برية وهى تقوم على أن تدع كل البر الأوروبى

للعُدو في حال حرب ، ونحتفظ فقط باسبانيا والبرتغال ، ثم نسير من هذين البلدين فنحرر أوروبا كلها بهجوم عن طريق البيرينييه .

اما العملية البرية فسكانت المذكورة تنجها ببعض كلمات فقط . فثرت لذلك ورجعت أولاً إلى الملاحظة التي كنت سبقت وابديتها وهي خطأنا في ان ندع ضباطاً يصممون خطأً حربية بدون توجيه يصل اليهم من قبل رؤساء الأركان . ثم قلت إنه من المستحيل أن نشكل وحدة غربية بدون أن تؤكد دول الغرب من أننا سننزل إلى جانبهم ، في أوروبا البرية ، بكل قوانا الجوية ، والبحرية والبرية . ولا بد من أن نجعل ذلك نصب عيوننا عندما نقبل على تصميم خطة حربية للدفاع ضد عدو يأتي من الغرب . وإن لم نفعل فلا أمل لنا بوحدة غربية ، علاوة على أننا نكون قد عرضنا بريطانيا العظمى إلى خطر هائل .

وتباحثت في رأي هذا مع زميلاي في ٢ (فبراير) ، فلم يوافقاني عليه ، كما كنت أتوقع وهم يعلنون موقفهم بأن المقاتلة في البر الأوروبي امر مستحيل على إنجلترا ، من الناحية العسكرية ومن الناحية الاقتصادية ، ثم إنه من الواجب علينا أن ننتظر أمريكا حتى تحدد موقفها قبل ان نقبل على درس خطة ما لنا . فقلت إن أمريكا في الحربين الأخيرتين انتهى بها الأمر إلى أن تمثلت بنا ووقفت موقفنا ، وأنها لا بد من أن تفعل هكذا في الحرب المقبلة . ثم رفعت الجلسة في جو تسوده الفوضى ولكن كنت قد حصلت على أن ترفع مذكرتي إلى رئيس الوزراء .

وعقد اجتماع مع رئيس الوزراء في ٤ (فبراير) ١٩٤٨ فعدت إلى نظريتي ، فلم يوافق عليها أتلى مدعياً أننا لا نستطيع أن نرسل جيشاً

إلى البر الأوروبي . فقلت إن لنا جيشاً هناك وهو جيش الرين ، أيعنى أننا لا بد من أن نسحبه من هناك إذا ما انقلب الروس علينا ؟
فانضم إلى حينئذ ييفن ثم الكسندر فأخذوا يدافعان عن وجهة نظرى كل منها بأسلوبه وطريقته . واتفقنا نهائياً على أن تدرس مقتضيات الخطة التى كنت أدافع عنها إذا ما ووفق عليها مع ما تتطلبه من ناحية تأليف القوى المسلحة وامتداد نفوذها .

وأخذ نشاطنا فى المضمار هذا يشتد يوماً بعد يوم طوال شهرى (مارس) (أبريل) ١٩٤٨ . وما زلت أقول وأذيع فى كل آن ومكان أن لا بد لنا من الاشتراك فى الحرب فى بر أوروبا سواء أكان ذلك فى ١٩٤٨ أو بعد عشر سنوات أو بعد خمس عشرة سنة . فان فرنسا وبلدان البنلوكس ما لم تر بريطانيا إلى جانبها ، لن تتمكن لمقاومة العدو الآتى من الشرق لأنها لا تزال حديثة العهد بالاحتلال الألمانى ثم إن أمريكا لن تدخل حرباً جديدة ما لم تتيقن من أننا عازمون على المدافعة عن أنفسنا إلى أقصى حد ممكن . والحق هو أننى كنت أعمل بما قاله سموتس لى فى (مايو) ١٩٤٤ ، إلا أننى ما كنت أفكر بما قاله لى آنذاك بل أفعل ذلك من تلقاء نفسى لأننى ما كنت أرى خطة غير تلك التى أحاول حل أصحاب الأمر على أن يتقيدوا بها . وأتى مجهودى ذلك كله بالثمار الصالحة . ففى اجتماع ١٠ (مايو) ١٩٤٨ مع وزير الدفاع تم الاتفاق على « الضرورة الجوهرية فى أن نقاتل فى أوروبا الغربية ، وعلى كل ما يقتضيه ذلك الاتفاق . فأحرزت حينئذ انتصاراً باهراً .

وتفاقت الحالة فى أوروبا بسرعة أثناء النصف الأول من عام ١٩٤٨ وكنت قد وصلت إلى الموافقة على ضرورة نزولنا فى بر أوروبا للقتال

في حال حرب إذا نشبت ، ولكن لابد لذلك القتال من تنظيم ولا بد
للقائمين من قيادة واحدة مربوطة برجل واحد . وإلا يؤنا بالمشل
كما كان الأمر في مستقبل الحرب العالمية الثانية . هذا علاوة عن ضرورة
تلك القيادة . وذلك الرجل لحل مشاكل أخرى تدخل في الاستعداد
للحرب أثناء السلم فن الذي يؤلف فيما بين جيوش أوروبا الغربية ليشكل
منها آلة حرب فعالة ؟ وفي أول يونيو ١٩٤٨ نهت زملائي إلى تلك
الناحية فأجابوا مهربين أننا يمكننا أن نسكتفي بلجنة عباط أركان تقيم
في لندن ، وما كنت أرى ذلك أنا ، فما زلت ألح حتى كان ٢٤ يونيو ١٩٤٨
وحصار الروس لبرلين فأحدث ذلك على الفور رد فعله في لندن وفي
٢٧ يونيو صرح رؤساء الأركان للحكومة أنه لابد حالا من تعيين قائد
أعلى لغوى الاتحاد الغربى المتحالفة وذلك لاقتناع الروس وأمم أوروبا
الغربية من أننا عازمون على القتال في بر أوروبا الغربية إلا أن قائد
البحرية الأعلى تراخى موقفه من تلك الناحية في اجتماع آخر فأعلن
أن عزمنا على إحداث قيادة واحدة في أوروبا الغربية ليس إلا عملا
سياسياً متعلقاً بأزمة برلين وبما أن تلك الأزمة أخذت تتحلل . فلا
حاجة إلى التجاوز من النية إلى تطبيقها عملياً .

فانفردت بتدر بعد الاجتماع ، وما لبثت أن وافقت على ضرورة
توحيد القيادة التي كنت أسعى إليها وظللت أمضى حتى وافقت الحكومة
في ٩ يوليو على أننا في حاجة ماسة .

— إلى لجنة دفاع عن الاتحاد الغربى . تتألف من وزراء دفاع

أوروبا الغربية .

— إلى لجنة رؤساء أركان للاتحاد الغربى .

— إلى تنظيم القيادة بصورة تقرر فيما بعد .

وفي ٢٠ (سبتمبر) ١٩٤٨ دعاني وزير الدفاع الى مكتبه في الساعة ١٢:٥٠ وكانت ساعة غير مألوفة . فأخذت الظنون تشتغل وظن بعضهم أن الوزير قد باغه خبر محاولتي في أن أطلب عزله فيأخذ بثأره مني الآن . ولا أساس لذلك كله ، بل إن الوزير عرض على أن يعينني رئيسا للجنة قواد الاتحاد الغربي .

وجمع الوزير في الغد لجنة رؤساء الأركان وأطاعهم على الخبر فأجبت اني مستعد للوظيفة اذا كان هناك إجماع من قبل الحكومة ومن قبل زملائي من لجنة رؤساء الأركان ومن قبل حكومات اوروبا الغربية كلها . ولكن على شرط : هو أن أبقى ضابطاً بريطانياً متعلقاً بالمسكتب الحربي الذي تسكلف العهدة في منذ ٤ سنة وليس باحدى المنظمات الدبلوماسية التي لن تلبث أن تطالب بإقالتي ثم تلا ذلك مناقشة في شأن تعيين قائد أعظم في حال حرب إذا نشبت . فصرححت بأن ذلك إن تم أثناء رئاستي أنا فسأتخلى فوراً عن الوظيفة وأضفت أن منصب القائد الأعظم في حال حرب يعود إلى ضابط أمريكي . وستسهل على الأمور اذا ماقرر فوراً - انني لن أعين لذلك المنصب . فقبل اقتراحي وفي ٢٧ سبتمبر ١٩٤٨ ، اجمع وزراء دفاع دول الاتحاد الغربي الخمس على تعييني كرئيس للجنة قواد قوى الاتحاد الغربي المسلحة - وتم في اجتماعهم المنعقد في باريس في ذلك اليوم .

فوصات هكذا الى الهدف الذي كنت أنادي به، ولكن بعد جهاد عنيف تركزت شدته بنوع خاص على السيد الكسندر . وكنا صديقين حميين من حيث العلاقات الاجتماعية ولكن في المشاكل الفنية، كنا على طرفي نقيض . والحق يقال أنني أرغمت بعضهم على الاقتناع بحجة بعض المسائل الاساسية، الا أنني لم انجح في مسعاى الابعاد جهاد عنيف .

خاتمة

قبل أن أنتهى من مذكراتى هذه أريد أن أعرض بوضوح لآرائى فى المستقبل وأن أتركها توصية .

لابد من الرجوع إلى سنة ١٩٤٥ لفهم المحاولات التى حققت فى سبيل خلق أوروبا الغربية . فإن الدول الأوروبية بعد هزيمة ألمانيا أخذت تتناسى بعضها بعضاً كل منها منصرفة إلى مشاكلها الخاصة إلا أنها مالبثت أن شعرت بالحاجة إلى أمانة مشتركة تتحالف هذه الدول كلها على تحقيقها فخرج من ذلك الشعور سلسلة من المعاهدات الأولى منها بين فرنسا وبريطانيا فى دنسرك عام ١٩٤٧ فى شهر (مارس) ، والأخيرة هى حلف الأطلسى الشمالى فى ١٩٤٩ ، وهى أهم المعاهدات التى تمت .

وكانت المعاهدة الفرنسية البريطانية فى ١٩٤٧ ضد هجوم ألمانى جديد إذا حدث ثم منذ ربيع ١٩٥٥ ، وأخذت الحالة الاقتصادية فى أوروبا الغربية تتفاقم وخلق خطر الشيوعية عليها ، فاتضح أنه لابد من مساعدة تأتى من الخارج . فكانت خطة مارشال بعد خطبته فى جامعة هارفارد وفيها عرض مساعدة أمريكا على كل الدول الأوروبية فرحبت تلك الدول كلها بتلك الأريحية ما عدا روسيا فإنها فى (يوليو)

١٩٤٧، أعلنت رفضها ورفض الدول المنضمة إليها للمساعدة الاقتصادية الأمريكية التي تقتضيها خطة مارشال . ولا عجب فإن روسيا لا تريد الازدهار الاقتصادي لأنه يجعل الناس في اطمئنان وهي تسعى إلى الاضطراب لتهديد الطريق إلى نشر الشيوعية . ومع ذلك وبالرغم من رفض روسيا لها فإن مساعدة مارشال أخذ بها في الولايات المتحدة وعين للإشراف عليها أفريل هاريمان .

ثم إنه بعد رفض الروس لخطة مارشال في ١٩٤٧، ابتدأت الحرب الباردة ، وأخذت تستعد يوماً بعد يوم . مما دفع بعض البلدان الغربية إلى توطيد صفوفها أمام الخطر المقبل إليها من الشرق . وكان البنلوكس وهدفه اقتصادي فقط أول الأمر ، ثم انضم اليه وبريطانيا في معاهدة بروكسيل في ١٧ (مارس) من عام ١٩٤٨ . والهدف دائماً اقتصادي مع العمل على نشر المبادئ الديمقراطية .

وبأشر الروس بعد ذلك حصار برلين في (يونيو) ١٩٤٨ ، فأحست دول الغرب الخمس بخطور الحرب المهددة بها وأجمعت كلمتها على توحيد دفاعها ، فأنشئت لجنة رؤساء أركان الاتحاد الغربي في (سبتمبر) ١٩٤٨ ، وعينت رئيساً لتلك اللجنة مع الاعتراف برئاسة برئاستي على القوى البرية والبحرية والجوية ، ثم عين فونتنبلو . في فرنسا . مقرأً للقيادة العليا لتلك القوى وعرف فيما بعد بمجموعة الحروف اللاتينية أو نيفورس .

وفي أثناء ذلك ، قليلاً بعد ابتداء حصار برلين . كانت المفاوضات

مع أمريكا وكندا لضم هذين البلدين إلى الاتحاد الغربي ، وهو عمل لابد منه للحصول على أمانة تامة تقوم بمساعدة البلدين المذكورين وغيرهما لأوروبا الغربية عن طريق المحيط الأطلسي . فوقع هائياً ، في ٤ (ابريل) ١٩٤٩ على الحلف : الأطلسي الشمالي وهو حلف تنضم بمقتضاه ١٢ دولة بعضها مع بعض لتأمين السلم الدولي ولصيانة المواصلات والحياة العادية في منطقة المحيط الأطلسي الشمالي . وعرفت المنظمة التي تشكلت بعد ذلك المعاهدة باللفظة « أوطان » .

ثم عين ايزنهاور في ٣ (ابريل) ١٩٥٢ قائداً أعظم لقوى تلك البلدان التي انضمت اليها تركيا واليونان في ١٨ (فبراير) ١٩٤٢ ثم ألمانيا الغربية في (مايو) ١٩٥٥ فأصبحت تضم ١٥ بلداً بدلاً من ١٢ .

وأخذت أتصل برؤساء أركان القوى البريطانية وطلبت من هؤلاء الرؤساء أن يرضوا على الأقل بإضافة لواء إلى جيش نهر الرين وهو جيش لا قيمة له في حال الحرب ، حتى والإضافة هذه ليس لها إلا قيمة رمزية لعل الدول الغربية تطمئن إليها ، وما حصلت على طلب ذلك إلا بعد جدال طويل فرفع إلى الحكومة وهو تكتنفه الاعتراضات من كل صوب وجانب فرفضته الحكومة ولا غرو بعد ذلك أن استمرت الظنون في أوروبا الغربية ضد بريطانيا ولا أراها أنها زالت حتى اليوم . وتلك الظنون تتناول أمريكا في الوقت نفسه . فإنها في الحربين العالميتين الأخيرتين تریثت مدة طويلة قبل أن تدخلهما والدول الغربية تتذكر ذلك وهي لا تريد أن يتجدد ذلك الموقف .

ومع ذلك ، وبالرغم من كل الصعوبات التي اعترضت طريقنا ، فإننا توصلنا الى أن نضع ، من الناحية العسكرية ، أسساً متينة . فأُغيت الأنيجورس وحل محلها « الشاب » وهو الاسم الجديد لمقر القيادة الأعظم للقوى الغربية المتحالفة ، وهو يعمل تحت رئاسة ايزنهاور كقائد أعظم ، وتم ذلك في ٢ (ابريل) ١٩٥٢ . وعينت أنا كقائد معاون لايزنهاور . « والشاب » هذا همه اعداد قوى أوروبا الغربية للحرب التي اذا نشبت تحول « الشاب » إلى مقر تصمم فيه الخطط الاستراتيجية العامة حتى تطلق الحرية التكتيكية إلى قادة القوى المختلفة في الأسلحة الثلاثة واللغتان المتداولتان فيه هما الانجليزية والفرنسية مع ميل أقوى إلى الانجليزية وخدمت في « الشاب » تحت أوامر أربعة قواد ، ولا شك في أنني الضابط الوحيد الذي تم له ذلك .

أول هؤلاء القواد الأربعة هو ايزنهاور والجميع يعلم علاقاني به . ثم ما لبث أن انهمك بالانتخابات التي بوانه على رأس حكومة الولايات المتحدة . وكنت أحاول أن أردّه عن ذلك أولاً ثم رأيت أن من خير الجميع أن يكون رئيساً للولايات المتحدة فيساعدنا في أوروبا مساعدة قوية .

وخلفه ريدجوى . وهو قائد ممتاز وخدم تحت أوامري . إلا أنه ما كان يصلح للوظيفة . . فإنه ابتداءً باتخاذ ضباطاً أمريكيين لأركانته ، وأخذنا نشعر أن الرأي الأمريكي له وحده . الحساب في المقر العام . وهناك أمور أخرى كانت تجعلنا نحس بانزعاج أننا أصبحنا جميعاً كقوة تتلاشى .

غادر ريدجوى أوروبا فى ١١ يوليو ١٩٥٣ وخلفه جروينتر الذى كان رئيس أركان « الشاب » فى أيام ايزنهاور . ونجح جروينتر نجاحاً باهراً فألغى سيطرة النفوذ الأمريكى فى المقرر العام وأرجع الثقة والاطمئنان إلى القلوب . وان علاقات الصداقة لاتزال تربطنى به وبأمراته وحل محله فى نوفمبر ١٩٥٦ الجنرال نورستاد وهو ضابط المعنى من الطيران الحربى الأمريكى ولأنه صديق حميم لى وكنت سعيداً أن أخدم تحت أوامره .

تحت قيادة هؤلاء الرجال ، وايزنهاور على رأسهم ، أخذت قوانا تشتد يوماً بعد يوم ، لاسيما وأن الاختراعات العلمية جعلت بين أيدينا السلاح النووى . وبما أن الدول التى كانت تمثلها قوانا لم تكن مستعدة لتزويدنا بكل اللوازم من أعتدة وأسلحة ، لم يبق لنا ، حتى يكون عملنا منتجاً من ناحية تأمين السلم ؛ إلا أن نجاهر علناً بأننا لن نتراجع عن استخدام السلاح النووى إذا اقتضى الأمر للدفاع عن أنفسنا فى حال حرب إذا نشبت . فصرحت بذلك بعد الاتفاق مع الجنرال جروينتر ، فى باريس يوم ٢٤ مايو ١٩٥٤ ، ورددت كلامى فيه فى لندن يوم ٢١ اكتوبر عام ١٩٥٤ . وتناقش مجلس العموم فى الأمر بعد تصريحى وخرج من مناقشته أن العمليات الحربية قد تجرى على ما صرحت به بعد موافقة السلطة السياسية عليه . ولاعجب . فإن رأى العام العالمى اليوم يجمع على أنه لايجب ألا يستخدم القائد الأعلى السلاح النووى إلا بعد التأكد من أنه مرغوب فيه من حيث الاستراتيجية ، ومن أنه مفيد منتج من حيث العمليات التطبيقية التكتيكية ، ومن أنه مقبول من حيث

المبادئ السياسية . وهكذا توصلنا شيئاً فشيئاً إلى امكانية استخدام السلاح النووي للدفاع عن أنفسنا في حال حرب إذا نشبت ، ونحن لانزال على هذا الرأي اليوم في سنة ١٩٥٨ . والآن أرى نفسى في حاجة إلى أن أقول إن مستقبل المدنية العالمية متعلق بمصير الاتحاد الغربى المتبلور الآن بمنظمة « الأوطان » ، أى الحلف الآسيوى الجنوبى - الشرقى ، إلا أن أهم المنظمات الثلاث بكثير ، هى « الأوطان » . لكنه اليوم ١٩٨٨ أصبح جامداً كأن لا حياة فيه ولا نشاط . وكان رؤساء الدول الغربية قد أحسوا بذلك فاجتمعوا فى باريس فى شهر ديسمبر من عام ١٩٥٧ ليعيدوا إليها نشاطها السابق ولكنهم لم ينجحوا فى محاولتهم إلا نجاحاً نسبياً .

إن الاتحاد الغربى سببه الخوف من هجوم آت من الشرق . إلا أن اتحاداً مبنياً على مجرد الخوف لم يدم ، ولن يدوم ، إذ أن روابطه تنحل حالما يخف الخوف .

فإن أمم العالم الحر من الخير لها أن تضم صفوفها وتتعاون من كل قلبها وبدون تردد . إذا ما أرادت أن تحافظ على كيائها بالرغم من ضغط الشيوعية الدولية الشديدة ، يجب فيما يتعلق بالتعاون بين الحلفاء ، أن تكف عن الحديث عنه باللسان فقط ، بدون اشتراك القلب . بل من اللازم أن تدخل جميعها فى سياسة مناقشة صريحة متبادلة وتعاون بدون غرض ولا غاية . فإن التعاون يمكن أن يكون شيئاً أكثر من الموقف السياسى ، الذى به يقوم التعاون اليوم .

لا نكتفى بما هناك من وحدة سياسية . بالمعنى الحقيقى ، بين أمم

الاتحاد الغربى ، أما الشعور القومى فهو ظاهر أكثر من اللازم . يجب أن يكون بيننا جميعاً رابط أقوى من رابط الخوف . رابط الاقتصاديات مثلاً . ومهما كان من أمر فإن الرابط الجديد يجب أن يكون تألف الأمم الانجليزية اللغة وعزمها على مساعدة أمم بر أوروبا على أن تدافع عن حريتها وتحفظ بشكل انسجامها مع الحياة . ونواة ذلك التألف هى الصداقة الانجليزية - الأم يكية ، وتحطيم ذلك الرابط يعنى النهاية لكل منا . - بما فيه الولايات المتحدة . والزعامة العالمية هى اليوم ، ولاشك ، بين أيدي الأمريكين ، بعد أن كانت مدة طويلة بين أيدي البريطانيين . وهذا كلام يجرح ، مثل كل حقيقة تقال ، ولكن هذا هو الأمر الواقع . فليقدر الأمريكين مسئوليتهم ، وليفهموا أن الزعامة لا تفرض بعدد الدولارات بل بشئ آخر هو من عالم المعنويات وهل يلائم المنطق موقفهم ذلك فى منظمة الأمم المتحدة . الذى بمقتضاه يدافعون عن الدول الاستعمارية فى أوروبا الغربية ، ثم يحاولون خلع نفوذها وقوتها فى آسيا وإفريقيا . هذا ، من قبل الولايات المتحدة . سياسة لا منطق فيها ، وقد تودى ، إذا ما استمرت ، إلى تحطيم الاتحاد الغربى .

والاتحاد الغربى هو الشئ الوحيد الذى يخاف منه الروس ، وكل خططهم لاهم لها إلا ذلك الهدف الوحيد : تحطيم الاتحاد الغربى . فإن وحدة الغرب يجب أن ترمم وتؤمن مهما كلف الأمر .

هيئة قناة السويس

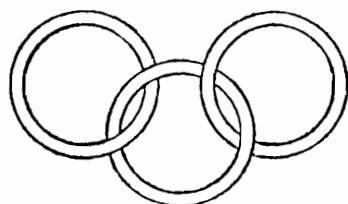
إعلان

تعلن هيئة قناة السويس عن طرح و عملية لإنشاء أحواض ترويب من الخرسانة المسلحة بمحطة المياه المرشحة بالاسماعيلية ، فى مناقصة عامة تحدد لفتح مظاريفها جلسة ظهر يوم الثلاثاء الموافق ١٦ يناير سنة ١٩٦٢ .

ويمكن الحصول على مستندات العملية من مكتب المناقصات والعقود بإدارة الأشغال بالاسماعيلية نظير دفع مبلغ خمسة جنيهات مصرية يضاف إليها مبلغ خمسمائة مليم فى حالة طلب لإرسال المستندات بالبريد .

وتقدم العطاءات داخل مظروفين يختم الداخلى منها بالشمع الأحمر ويعنون المظروف الخارجى باسم السيد / رئيس هيئة قناة السويس و إدارة الأشغال ، بالاسماعيلية ويرفق العطاء بتأمين مؤقت قدره ٢٪ من قيمة العملية .

كما يجب على مقاولى القطاع الخاص تقديم إقرار بعدم التعاقد حالياً مع القطاع العام على أعمال تزيد قيمتها بالإضافة إلى قيمة هذه العملية عن ٣٠٠٠٠ جنيه ولن يلتفت إلى العطاءات غير المستوفاة التأمين أ الإقرار المطلوب .



مطعم التعاون
في خدمتك
في كل مكان

الجمعية التعاونية للبترول

٩٤ شارع القصر العيني - القاهرة